

السنة الثانية　　العدد الاول　　يناير ١٩٨٠





مجلة البحوث التاريخية

مجلة علمية تهتم بالدراسات التاريخية الموثقة تصدر مرتين كل عام عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

* **لا تعبر الآراء المنشورة في هذه المجلة الا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر هيئة التحرير** *

يرجى ارسال نسختين من كل بحث أو مقال الى العنوان التالي :ـ

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

ص.ب (٥٠٧٠) ـ طرابلس

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الاشتراكات والتوزيع : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ـ طرابلس ص.ب ٩٥٩

قيمة العدد الواحد : دينار ليبي .

قيمة الاشتراك السنوي : ديناران ليبيان .

تضاف أجور البريد العادي أو الجوي الى قيمة النسخ المرسلة الى خارج الوطن العربي .

المقالات المنشورة في هذه المجلة ملخصة ومفهرسة في مجلة
America: History and Life ومجلة *Historical Abstracts*

مطبعة جامعة حلب

مجلة البحوث التاريخية

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

السنة الثانية العدد الأول يناير ١٩٨٠

محتويات العدد

افتتاحية العدد

يقول عبد الرحمن ابن خلدون : « اعلم أن فن التاريخ محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم يحكم أصول العادة ، وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني فربما لم نأمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصواب »* .

لم تصل مجلتنا بعد الى ما نريد .. برغم كل الجهد الذي يبذل لأختصار مسافة البعد بين الواقع وبين ما نريد . نريد لمجلتنا أن تكون لنفسها تياراً فكرياً جديداً يرفض التبعية الفكرية الخانعة ، ويرمي أمامه الأمية والأمعين ، نريدها عقلا أصيلا جديداً يناقش قبل أن يقبل ، ويتحدى قبل أن يذعن نريد لكل بحث في مجلتنا أن يكون اضافة جديدة للفكر ، وتصحيحاً جاداً للتاريخ ، نريدها منبراً من فوقه يرتفع صوت العقل محاجاً حول مئات القضايا التي تنقل التراث الفكري المعاصر أمثال : هل أدخل نابليون الحياة للمنطقة ؟ .. هل كانت مرحلة ما قبل حملة سنة ١٧٩٨ م مرحلة جمود وتحنط ..؟.. هل هدم الهلاليون والسليميون العمران في المنطقة ..؟.. ما دور الوندال والفرق الدينية المسيحية كالدوناتيين في تهديم الحياة الحضارية في شمال أفريقية قبل مجيء القبائل العربية ..؟.. هل للتاريخ أب ..؟.. واذا كان كذلك فمن أمه ..؟.. واذا صحت شرعية الزواج فهل كان هيرودوت الوليد الأول أم سبقه أبناء وبنات أنبتتهم أرض بابل وآشور ومصر والشام وشمال أفريقيا والصين وغيرها ..؟.. هل كانت الفتوحات الاسلامية مجرد تيار توسعي مثله مثل فتوحات روما والأسكندر ونابليون وهتلر أم أنها كانت ثورة انسانية كبرى فتحت الباب أمام حرية فكرية ودينية وذهنية لم يألفها العالم القديم ..؟.. هل كان هدف الفتوحات الاسلامية ذاتياً أم موضوعياً مثالياً ..؟..

---

* ـ مقدمة ابن خلدون ـ طبعة بيروت ، ص ١٧ .

حارب الجندي الفارسي من أجل كسرى ، والروماني من أجل عظمة روما ، واليوناني والجرماني من أجل سيادة جنس ، فهل صحيح أن العرب هم أول من خرج لتأكيد الحرية والمساواة التي نادى بها الاسلام ٠٠؟٠٠ وهل صحيح أن صولون ودراكو وغيرهما من مشرعي بلاد اليونان هم مؤلفو القانون العالمي ، واذا كان الأمر كذلك فما دور حمورابي وغيره ممن أنتجتهم حضارات الشرق ٠٠؟٠٠

هل صحيح أن دور الحضارة العربية الاسلامية كان دوراً تخزينياً صرفاً ، أي تخزين معلومات اليونان والرومان وحفظها حتى استفاق السيد الاوربي فاستلمها وواصل مسيرته الظافرة الى الطائرة والصاروخ ٠٠؟٠٠ واذا كان الحال كذلك فهل هذا يعني أن الابداع والابداعيين حكر على عنصر واحد ، واذا صحت هذه المقولة فما علينا الا أن نندب مع المفكر الاميركي ماديسون جرانت * (Madison Grant) على الحضارة الانسانيــة التي ستنتهي عام ٢٠٠٠ م والسبب كما يؤكده الكاتب نفسه هو تلوث دم الجنس الشمالي كما يسميه ، بدماء أخرى غير نقية ، ذلك الجنس الذي نزل كالغيث على الجماعات الجنوبية الكسولة فدربها ، وسخرها لتحقيق الحضارات القديمة في وادي الرافدين والنيل وعندما استنفذت شحنة الطاقة التي أفرغها فيها ذلك الجنس الخلاق ، عادت تلك الشعوب لغفلتها السابقة فانتشل هو الشعلة مرة أخرى وأوقدها في بلاد اليونان وروما ٠ وناله الاجهاد فأغفي ، فساد العالم ظلام العصور الوسطى الذي لم ينقذه منها الا استيقاظ البطل الشمالي الذي بات مهدداً الآن بفناء محقق بسبب اختلاطه بالأجناس الأخرى وتلوث دمه النقي بدمائها، وسيؤدي كل هذا بالعالم وحضارته الى الفناء عام ٢٠٠٠م . هل صحيح أن سكان ما قبل الاسلام في شمال أفريقيا من أرومة آرية ٠٠؟٠٠ واذا كان الحال كذلك فلماذا هذا التشابه الاجتماعي والمعيشي والخلقي بينهم وبين العرب ٠٠؟٠٠ لماذا قبلوا التعايش مع الفينيقيين والعرب بينما رفضوا الرومان والفرنسيين والايطاليون على ذلك ٠٠؟٠٠ لماذا التحموا مع العرب وحاربوهم معهم في السـنوات الأولى في اسبانيا وغـيرها ٠٠؟٠٠ ثم اذا كان ما يقوله مؤرخو الفترة الاستعمارية وأشياعهم من الامعين وتابعيهم المحليين حول هذه المسألة فكيف نفسر اصرار المؤرخ الروماني سالوت (Salust) (القرن الأول قبل ميلاد المسيح) والمؤرخ اليوناني بروكوبيس (Procopius)

(٢) * Madison Grant « The passing of the great race » 1916

(القرن السادس بعد ميلاد المسيح) على القول بأن المواطن الأصلي لسكان الشمال الأفريقي هو شمال الجزيرة العربية وانهم والفينيقيون يعودون الى أصول واحدة ٠

لماذا تؤكد غالبية الدراسات اللغوية المعاصرة على سامية اللهجات المحلية المستعملة في المنطقة المعنية ٠٠؟٠٠ لماذا التشابه بين فن العمارة وغيره من ضروب الفن الأخرى في الشمال الأفريقي ونظائره في اليمن والجزيرة العربية ٠

هل رحلات الأوربيين للصحراء هي التي كشفت لنا الصحراء ، أم أن هناك رحلات ورحالة مسلمين قاموا بهذا العمل ٠٠؟٠٠ وهل يهضم حقهم وينسى جهدهم ٠٠؟٠٠

هذه نماذج فقط وليست حصراً ، ذلك أنها كثيرة تلك النماذج التي تحتاج الى اعادة نظر وسرعة بديهة وجرأة في القول ٠٠ وكل ما نود أن نراه هو أن نفتح آذاننا وأعيننا ، وقبل هذا وذاك عقولنا حتى نستطيع أن نمسك بخيوط القضية الفكرية التي حيكت وتحاك حولنا ٠

اننا نعيش عصر تجدد فكري زاخر بالتناقضات تغطى فيها الوجوه والواجهات بالأقنعة المختلفة وتلبس المكائد ثوب الحقائق ، وتساء أو تجمل فيها الوسائل حسب مرامي الأهداف البعيدة وان ما نستهين به نحن لا يستهين به غيرنا ، وما نتوقعه في غيرنا من أريحية وعلمية وموضوعية ولا عنصرية قد لا يكون دائما صحيحاً ، والأفضل لنا أن نتذكر نصيحة ابن خلدون في أن مجرد نقل الأخبار دونما اعمال للفكر هو مجلبة للعثور ومزلة للقدم وحيدة عن الصواب ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الدكتور محمد الطاهر الجراري
رئيس التحرير





شروط نشر البحوث والمقالات
في
مجلة البحوث التاريخية

أولاً : تهدف المجلة إلى نشر الأنماط التالية من البحوث والمقالات :

أ) بحث أو مقال يعتمد أساساً على دراسة وثائقية لم يسبق استخدامها من قبل ، أو دراسة قائمة على استخدام مخطوطات أو وثائق سبق استعمالها شريطة أن يتناولها الباحث باطروحة مغايرة تنجم عنها نتائج جديدة .

ب) بحث أو دراسة قائمة على دراسة التاريخ الشفوي .

ج) بحث أو مقال يعتمد على افتراضات نظرية على أن تكون دراسة رائدة لم يسبق نشرها .

د) تقارير أو مخطوطات قصيرة محققة أو مترجمة تتعلق بتاريخ المغرب العربي اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو دينياً .

ان الفرق بين البحث والمقال لدى مجلة البحوث ينحصر في تقييم هيئة التحرير للعناصر الأساسية الآتية الواردة في كل بحث أو مقال .

أولاً) الأصالة في البحث .

ثانياً) حجم الدراسة ومدى الجهد الذي بذل فيها .

ثالثاً) نوعية المصادر التي اعتمد عليها الكاتب في حالة استخدام أية مصادر .

ثانياً : تطلب هيئة التحرير من صاحب المادة المقدمة للنشر مايلي :

١) أن يكون للبحث أو المقال مقدمة تثار فيها المشكلة الماثلة للبحث بوضوح وأن تطرح الاجابة أو الاجابات في متن البحث أو المقال باسلوب سلس ومن ثم الوصول إلى نتيجة أو نتائج للقضية أو المسائل المطروحة .

٢) فيما يخص استعمال المصادر فان من سياسة المجلة أن يأخذ المؤلف في الاعتبار مايلي :

١ ـ أن تعطى الاقتباسات و لتعليقات أرقاماً مسلسلة في المتن وتلحق هوامش كل صفحة بآخرها .

٢ ـ أن يكتب الباحث تباعاً المعلومات التالية إن وجد معظمها : اسم المؤلف الذي اقتبس منه ثلاثياً . وعنوان المصدر كاملا والجزء إن وجد ومكان النشر أو الناشر والسنة وتاريخ النشر والصفحة أو الصفحات التي اقتبس منها .

٣ ـ فيما يتعلق بحجم البحث المطلوب . فيمكن نشره على عدة مراحل تحددها هيئة تحرير المجلة مع الكاتب .

٤ ـ أما المقال فينبغي ألا يقل عن عشر صفحات ولا يزيد عن خمس وعشرين صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة

٥ ـ يمكن نشر المقال الذي يعتمد كاتبه على المصادر الثانوية إذا ماجاءت بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها

٦ ـ تنشر المجلة البحوث والتقارير المترجمة بشرط أن تكون هذه المواد قد سبق نشرها في مجلة علمية أو قدمت إلى مؤتمرات .

٧ ـ المجلة لاتنشر أي بحث أو مقال سبق نشره لنفس الكاتب .

٨ ـ من سياسة المجلة أن تحال المادة المقدمة للنشر إلى ثلاثة خبراء مختصين كحد أقصى لتقييمها وابداء الرأي فيها حذفاً أو اضافة . وإذا مانالت المادة استحسان أغلبية المقيمين فإنها تعاد إلى الكاتب لابداء الرأي واجراء التعديلات النهائية إذا تطلب الأمر قبل نشرها .

٩ ـ يجب أن يكتب عنوان البحث أو المقال على صفحة منفردة بوضوح ، إضافة إلى إسم الكاتب أو الكتاب ثلاثياً مع العنوان الثابت للمراسلة وبعض المعلومات الأساسية عن الكاتب نفسه كالعمل الذي يقوم به ومنشوراته .

ثالثاً : تدفع المجلة مكافأة تقديرية لكاتبي المواد التي تنشر فيها .

هيئة التحرير

مجلس الإدارة في ليبيا
في العهد العثماني الثاني

عبد الله علي ابراهيم

كلية الآداب ـ جامعة قاريونس
بنغازي

من أهم مظاهر حركة الاصلاح الكبرى التي عرفت باسم « التنظيمات » (١) في الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر هو اعادة تنظيم واصلاح المؤسسات الادارية .

---

(١) ان الأسباب الأساسية التي اقحمت الدولة العثمانية في مسألة الاصلاحات ترجع إلى تشجيعات وضغوط الدول الكبرى المستمرة على الباب العالي في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وذلك من أجل القيام بتعديلات جديدة على كافة المؤسسات والنظم السائدة في الامبراطورية تتمشى والمفاهيم والنظم الغربية الحديثة . وكان هدف بعض الدول الاوربية من وراء ذلك هو خدمة وحماية مصالح الرعايا المسيحيين الواقعين تحت نفوذ السلطان بينما هدف البعض الآخر ، مثل بريطانيا ، ضمان مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في الدولة العثمانية نفسها والشرق الأقصى.فقد رأت الحكومة البريطانية ان اجراء الاصلاحات يؤدي إلى تقوية الدولة العثمانية ومن ثم يمكنها الوقوف في وجه السياسة الروسية التي مانفكت تسعى إلى السيطرة على المضائق لتضمن لأساطيلها حرية العبور إلى البحر المتوسط وجهات الشرق وبذلك يمكنها منافسة بريطانيا في تلك الجهات . وأمام الاصرار الاوربي ونتيجة للتهديدات العسكرية الروسية ، استجابت الحكومة العثمانية لنداء الاصلاح . لقد تبنى مهمة تنفيذ المشاريع الاصلاحية المختلفة التي عرفت « بالتنظيمات » نخبة من رجال السياسة العثمانية ، في الفترة (١٨٣٩ – ١٨٥٦) ، أمثال الوزراء مصطفى رشيد باشا (١٨٠٠ – ١٨٥٨) وعلي باشا (١٨١٥ – ١٨٧١) وفؤاد باشا (١٨١٥ – ١٨٦٩) .

تمثلت المشاريع الاصلاحية « التنظيمات » في نصوص المرسومين السلطانين الذين صدرا في تلك الفترة . الأول – خط شريف كولخانة (Hatt - i و Şerif Gulhane) الذي اعلن في نوفمبر ١٨٣٩ والذي أشرف على اعداد مواده مصطفى رشيد باشا (١٨٠٠ – ١٨٥٨) الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية في تلك السنة . ومن بين المسائل التي نص عليها ذلك المرسوم هي تنظيم جباية الضرائب ، وتحسين النظم الادارية والتجنيد ثم التأكيد على أمن كافة سكان الامبراطورية وحماية ممتلكاتهم أما المرسوم الثاني فهو خط همايون Hatt - i Humayun وقد أعلن هذا المرسوم في فبراير ١٨٥٦ أي في أعقاب حرب القرم . وأهم ماجاء فيه التأكيد على مواد خط شريف كلخانة وأوصى بمبدأ المساواة بين جميع فئات شعوب الامبراطورية في الحقوق والواجبات بما في ذلك شغل الوظائف والخدمة العسكرية . وقد نادى المرسوم أيضاً بضرورة تحسين الأوضاع الاقتصادية وتنظيم قوانين العقوبات وانشاء المحاكم المختلطة وغير ذلك .

لقد انعكست ظاهرة الاصلاح الاداري الجديدة على جميع مرافق الأجهزة الادارية وشملت مختلف المناطق والاقاليم التابعة لنفوذ السلطان العثماني في أوربا وبلدان المشرق العربي وشمال أفريقيا بما في ذلك ولاية « طرابلس الغرب وبرقة » .

ولعل الهدف الرئيسي الذي قصد تحقيقه من وراء برنامج الاصلاحات الادارية الشاملة هو ارساء دعائم الحكم المباشر وبسط نفوذ الحكومة المركزية على كافة أنحاء الامبراطورية ، وذلك من أجل الحد من نفوذ الولاة بالدرجة الأولى ثم محاولة اعطاء الفرصة لبعض المشائخ والأعيان في الولايات ليشاركوا ، ولو بصفة رمزية ، في أعمال حكوماتهم المحلية ومساعدة الولاة المعينين لادارة شؤون بلدانهم (٢) .

وفي سلسلة المجهودات التي بذلت لتحسين وتطوير الأجهزة الادارية اصدرت الحكومة المركزية في ٨ نوفمبر ١٨٦٤ قانوناً جديداً يقضي بتحويل نظام الايالات إلى نظام جديد الا وهو نظام الولايات وانشاء مجالس ادارية في عواصم تلك الولايات والفروع الادارية الداخلية التابعة لكل منها (٣) .

(٢) Roderic H. Davison , *Reform inthe Ottoman Empire* 1856 – 1876 Princeton New Jersey : Princeton University Press , 1963 . P . 46 ;

(٣) George Young ,*Corps de driot Ottoman* Oxford:the Clarendon press,1905 . Vol .1 , P . 36 ; Davison *Reform* P . 136 - 146 ; Davison , « The advent of the principle of reperesentation in the govern — ment of the Ottoman Empire » inW . R . polk and R . L Chambers , *Beginning of Modernization in the Middle East* Chicago : University of Chicago press , 1968 . P . 102 — 103 ; Stanford J . Shaw , *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey* . Cambrigde:Cambridge University Press , 1977 . Vol . 2, P . 88 ., Shaw ; « The origins of representative government in the Ottoman Empire : an introduction to the provincial councils , 1839 — 1876 » in R . B . Winder (ed .) *Near Eastern round table* 1967 — 1968 N . Y . : The Near East Center and the Center for International Studies , 1969 . P . 69 ; Enver Ziya Karal , *OS Osmanly Tarihi* Ankara : Turk Tarih Kurumu Basimevi , 1954 , P . 152 — 154 ;

محمود ناجي ، **تاريخ طرابلس الغرب** ترجمة عبدالسلام أدهم ومحمد الاسطى ط ١ بنغازي منشورات الجامعة الليبية ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ ، كذلك كلمة المترجم عبدالسلام أدهم « إلى قراء هذا الكتاب الأفاضل » بنفس المصدر ص ٢٢٠ — ٢٢١ ، أحمد النائب الانصاري ، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** ط ٢ طرابلس الفرجاني ، بدون تاريخ جـ ١ ص ٣٧٨ .

ان موجة المشاريع الاصلاحية التي جرت في الدولة العثمانية لم تظهر آثارها في ليبيا بشكل ملحوظ الا بعد نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر . ولعل أهم الأسباب التي حالت دون اتاحة الفرصة لتطبيق بعض المشاريع الاصلاحية في هذا القطر هو حالة عدم الاستقرار السياسي الذي تمثل في الثورات الداخلية (٤) وعلى رأسها ثورة الجبل الغربي التي قادها الشيخ غومة المحمودي واتباعه في الفترة (١٨٣٥ — ١٨٥٨ م) . اذ لم تقتصر تلك الأحداث على تحدي امتداد نفوذ السلطة العثمانية إلى منطقة الجبل وشل الوضع السياسي في البلاد بشكل عام ، وانما كانت لها نتائج بعيدة المدى على تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

لقد انعكس قانون الولايات المشار اليه بصورة مباشرة على النواحي الادارية في ليبيا . فمنذ ذلك التاريخ (١٨٦٤ م) دخلت الادارة العثمانية في البلاد مرحلة جديدة من التنظيم الاداري الذي لم تقتصر مظاهره على استعمال الاسم الجديد ، ولاية « طرابلس الغرب وبرقة » ، فحسب وانما برزت تلك المظاهر بشكل ملحوظ في قطاع المجالس الادارية والبلدية والقضائية .

وهذا البحث يتناول بايجاز (٥) موضوع مجلس الادارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ — ١٩١١) ، وذلك من حيث التعريف بتأسيس المجلس ومناقشة كيفية تأليف وانتخاب أعضائه ثم محاولة ابراز دور المجلس في تطبيق السياسة الداخلية للادارة العثمانية في البلاد .

لقد كانت ليبيا في العهد القرمانلي مقسمة إلى أربع قائمقاميات أو متصرفيات هي : الجبل الغربي ، الخمس ، بنغازي وفزان . أما المناطق القريبة لمدينة طرابلس فكانت تابعة

---

(٤) Davison , *Reform* . P . 80 , Anthony J . Cachia , *Vibya under the Second Ottoman Occupation* 1835 — 1911 . Tripoli : Government Press , 1945 , P . 74 — 75 .

(٥) يعد هذا المقال بمثابة محاولة مبدئية في دراسة جانب من جوانب الادارة العثمانية في ليبيا في القرن التاسع عشر . والكاتب لا يدعي على أي حال أنه قد أعطى البحث قدراً وافراً من التحليل والدراسة . فالموضوع لايزال بكرا وهناك العديد من المسائل المهمة التي تحتاج إلى الكثير من الفحص والمناقشة والتفسير . ونأمل التعمق في موضوع الادارة العثمانية باذن الله في أحد اقسام البحث الذي يجري اعداده الآن لاطروحة الدكتوراه .

لنفس مدينة طرابلس عاصمة الايالة . وبعد مآل البلاد إلى الحكم العثماني المباشر في ١٨٣٥ أبقت السلطات العثمانية على تلك التقسيمات حتى سنة ١٨٦٤ حيث بدىء في اجراء تعديلات ادارية جديدة .

فبمقتضى القانون الذي تحولت بموجبه ايالة طرابلس الغرب إلى ولاية (٦) تم ادخال تعديلات جديدة على المناطق الادارية في البلاد . حيث قسمت الولاية إلى عدد من المناطق الادارية الرئيسية عرفت باسم الالوية (جمع لواء) (٧) . وهذه الوحدات الأساسية قسمت بدورها إلى فروع اصغر بحيث أصبح ينضوي تحت اللواء عدد من الأقضية (جمع قضاء) ، وكل قضاء كان يتفرع منه عدد من المديريات والقرى . وبناء على تلك التعديلات أصبحت ليبيا تقسم ادارياً (٨) إلى الفروع الأساسية الآتية : لواء طرابلس (مقر حكومة الولاية) لواء بنغازي (٩) ، لواء الخمس ، لواء فزان ، ثم لواء الجبل الغربي (١٠) وفي صدد هذه التعديلات الادارية يقول إتوري روسي : —

(٦) دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس وثيقة ٢٧٨ ، ملف ٢٥١ — ٣٠٠ : منشور بخصوص تغيير اسم ايالة طرابلس إلى ولاية (١٣ جماد الأول ١٢٨٢ هـ) .

(٧) كلمة لواء أو سنجق هي مصطلحات كانت تطلق على الوحدات الادارية الأساسية التابعة لمركز الولاية وكلاهما يعني متصرفية .

(٨) لمزيد من التفاصيل عن التقسيمات الادارية انظر ناجي ، المصدر السابق ، ص ٨٤ — ١٠٧ ، اتوري روسي ، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١** ، تعريب خليفة التليسي ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤ . ص ٣٨٤ — ٣٨٥ . سامح ، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية** . ترجمة عبدالسلام أدهم بيروت : دار لبنان للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ . ص ٢٠٩ — ٢١١ ، فرانشسكو كورو ، **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني** . تعريب وتقديم خليفة التليسي ، طرابلس : الفرجاني ، ١٩٧١ ، ص ٣٠ — ٣١ ، أحمد صدقي الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي** ، القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧١ ص ١٩٧ و . Cachia , P . 76 — 78 .

(٩) في ١٨٤٣ شكلت السلطات العثمانية في منطقة برقة متصرفية وجعلت مركزها مدينة بنغازي وألحقت إدارتها بالعاصمة المركزية . أما فيما يتعلق بشؤونها العسكرية ، والبريد ، والجمارك والقضاء فقد ظلت تحت إدارة حكومة طرابلس حتى ١٨٧٩ حيث أصبحت متصرفية مستقلة تتبع مباشرة للحكومة المركزية في استانبول . هذا وكانت المتصرفية تضم قائمقاميات : درنة ، المرج ، جالو ، شحات ، طبرق ، الجغبوب ، وكان يتبع بعض هذه القائمقاميات عدد من المديريات مثل : سلوق ، قمينس ، اجدابيا ، توكرة ، برسس ، جردس ، سلنطة .

(١٠) M . A . Ubicini , *Letters on Turkey* . Translated from French by Lady Easthope , N . Y . : Arno press , 1973 . P . 45 , Cachia , p . 76 — 78 .

ناجي ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

« وقد جرى تحسين التقسيمات الادارية للولاية طبقاً للاصلاحات التي ادخلت على الحكومة المركزية حتى انتهت إلى النظام الذي ظل سائداً مطبقاً غداة الاحتلال الايطالي (١١) »
وحول ذلك التنظيم الجديد يقول استانفورد شو أيضاً :

« وفي غضون عامين من صدور قانون الولايات الجديد بدأ العمل السريع في تحويل وتطوير الولايات الجديدة . وفي نفس الوقت جرى تنظيم كل من ولايات طرابلس الغرب وحلب وادرنة وبدأ العمل فيها على نفس المنهاج » . (١٢)

الا أن الظاهرة الجديرة بالاهتمام التي واكبت هذه التغييرات الادارية المهمة والتي ظهرت لأول مرة في تاريخ ليبيا هي مسألة انشاء المجالس البلدية ومجالس المحاكم ثم المجالس الادارية المعنية بالدراسة .

بعد انشاء مجلس الادارة من أبرز معالم التنظيم الاداري في العهد العثماني الثاني . فقد تأسس مجلس الادارة الرئيسي في مدينة طرابلس وصار يعرف بمجلس ادارة الولاية . ثم انشأ هذا النوع من المجالس أيضاً في الفروع الادارية الداخلية في الألوية والاقضية ، ومن ثم أصبح هناك مجلس ادارة في مركز كل لواء ومقر كل قضاء (١٣) .

وتجدر الإشارة هنا بأنه إلى جانب مجلس ادارة الولاية كان يوجد مجلس عموم الولاية في مدينة طرابلس . وذلك المجلس كان يمثل هيئة استشارية عليا تساعد الوالي في مناقشات بعض الأمور المهمة . وكان المجلس العمومي قبل صدور قانون الولايات يتألف من بعض رجال الحكومة والقضاة ورجال الدين وبعض المشايخ والأعيان ، (١٤) الذين يعينون من طرف الوالي .

---

(١١) روسي ، المصدر السابق . ص ٣٨٥ .

(١٢) Shaw , « The Origins » ... p . 108 .

(١٣) دار المحفوظات ، وثيقة ٣١٩ ، ملف ٣٠١ — ٣٥٠ تقرير من مجلس إدارة لواء فزان إلى الوالي بطرابلس (١٥ محرم ١٢٩٠ هـ) ، وثيقة ١٩٩ ، ملف ١٨٦ — ٢٥٠ : خطاب من مجلس ادارة قضاء فساطو إلى متصرف لواء الجبل (١٧ ربيع الأول ١٣١٧ هـ) ، وثيقة ٨٥١ ، ملف ٨٥١ — ٩٠٠ : تقرير من مجلس ادارة الولاية إلى نظارة المالية باستانبول (٢٢ ذي القعدة ١٣١٨) ، الدجاني ، المرجع السابق ص ١٩٧ .

(١٤) دار المحفوظات ، سجل المحكمة الشرعية (١٢٤٥ — ١٢٦٥) هـ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ : إقرار من مشائخ أهل الجبل الغربي بالاذعان للطاعة (شعبان ١٢٥٨ هـ) .

وكان هذا المجلس قائماً قبل انشاء مجلس الادارة ، إذ يعود تأسيسه إلى عهد الوالي محمد أمين باشا (١٨٤٢ ـ ١٨٤٦ م) (١٥) . أما بعد ادخال التنظيم الاداري الجديد أصبح اختيار الأعضاء الذين يمثلون المشايخ والأعيان يتم عن طريق الانتخاب بواسطة مجالس الأقضية التابعة لمركز لواء طرابلس (١٦) وكذلك كان الحال بالنسبة للأجزاء الداخلية قبل انشاء مجلس الادارة ، فقد كان يوجد بها مجالس محلية على غرار المجلس العمومي تضم بالإضافة إلى ممثلي الحكومة العثمانية عدداً من كبار الوجهاء والمشائخ والأعيان . (١٧)

أما مجلس الادارة ، موضوع الحديث ، فالمصادر والوثائق المتوفرة تؤكد بأنه سواء في مركز الولاية بطرابلس أو على مستوى الفروع الداخلية كان يتألف من كبار المسؤولين في الحكومة والقضاة ورجال الدين وعدد من الأعضاء المنتخبين عن الأهالي . فمجلس ادارة الولاية كان غالباً يضم كلاً من رئيس المحكمة الشرعية والمكتوبجي (سكرتير الولاية) والدفتردار (المحاسب العام) وكاتب أو سكرتير المجلس ، والمفتي إلى جانب الأعضاء المنتخبين ، ويعقد المجلس اجتماعاته برئاسة الوالي أونائبه . (١٨) أما مجلس ادارة اللواء فكان يعمل تحت رئاسة المتصرف أو من ينوب عنه ويتكون من قاضي او مفتي اللواء ، وكاتب التحريرات (السكرتير) والمحاسبجي (مدير المال) وكاتب المجلس

---

(١٥) الأنصاري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(١٦) دار المحفوظات ، « قرارات مجلس الادارة بطرابلس » سجل ٣١٦٥ : قائمة بأسماء المرشحين لمجلس عموم الولاية (محرم ١٣٢٩ هـ) .

(١٧) دار المحفوظات التاريخية ، وثيقة ١٨٩ ، ملف ١٨٦ ـ ٢٥٠ : كشف من مجلس وجهاء واعيان مرزق بشأن بناء قصر للحكومة موجه إلى الوالي بطرابلس (٢٣ صفر ١٢٨٠ هـ) ، وثيقة ٢٦٢ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : مضبطة من وجهاء واعيان فزان (مرزق) إلى الوالي بشأن اقامة محطة للعسكر (٩ ذي الحجة ١٢٦٢ هـ) ، وثيقة ٨٦٥ ، ملف ٨٥١ ـ ٩٠٠ : مضبطة من مجلس مشائخ واعيان درنة إلى القائمقام في بنغازي (٢٧ صفر ١٢٧٧ هـ) .

(١٨) دار المحفوظات ، وثيقة ٥١ ، المشار اليها ، وثيقة ٨٠٣ ، ملف ٨٠١ ـ ٨٥٠ قرار مجلس ادارة الولاية بفتح فروع للمصرف الزراعي في بعض المناطق الداخلية (١٣ رجب ١٣٢٥ هـ) ، عبدالسلام أدهم ، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث : الوثائق العثمانية ١٨٨١ ـ ١٩١١** ، جمع وترجمة عبدالسلام أدهم ، ترتيب ومراجعة وتقديم أحمد صدقي الدجاني . بنغازي ، منشورات جامعة بنغازي . ١٩٧٤ ـ وثيقة ١١٦ ، ١٢٤ .

بالإضافة إلى الأعضاء المنتخبين (١٩) . وكذلك الأمر بالنسبة لمجلس ادارة القضاء . اذ يعقد المجلس جلساته تحت رئاسة القائمقام أو نائبه ويضم كلاً من القاضي أو المفتي ومدير المال والسكرتير العاملين بادارة القضاء ثم الأعضاء المنتخبين (٢٠) .

أما الطريقة التي كانت تتبع في انتخاب أعضاء المجالس الادارية الممثلين للأهالي ، كما وردت في قانون الانتخاب ، فيمكن ايجازها على النحو التالي : —

أولا : تقوم لجنة انتخابية في مقر كل قضاء مؤلفة من رجال الحكومة يرأسهم القائمقام مرة كل عامين باعداد قائمة بأسماء بعض الشخصيات البارزة في القضاء المعنى ، وتختار من بينهم مايساوي ثلاثة اضعاف العدد المطلوب لمجلس ادارة القضاء ، ثم ترسل الأسماء إلى القرى التابعة للقضاء للتصويت (٢١) .

ثانياً : تقوم مجالس الاختيارية (المختارين في القرى) (٢٢) بالتصويت على قائمة الأسماء ثم تختار ثلثي الأعضاء بناء على أكثرية الأصوات ثم تعاد النتائج إلى مقر القضاء (٢٣) .

ثالثاً : يجري فحص انتخابات القرى بواسطة اللجنة الانتخابية المختصة والتي تقوم بدورها باختيار ثلثي أسماء الأعضاء الحاصلين على أكثرية الأصوات من مجالس

---

(١٩) دار المحفوظات ، وثيقة ٨٧٤ ، ملف ٨٥١ — ٩٠٠ : عريضة من مجلس ادارة لواء بنغازي إلى الوالي بطرابلس (١٨ ذي الحجة ١٢٩٠ هـ) ، وثيقة ٨٢٢ ، ملف ٨٠١ — ٨٥٠ : تقرير عن الضرائب من مجلس لواء الخمس إلى مقر الولاية (١٣ ربيع ثاني ١٢٩٨ هـ) ، وثيقة ٣١٩ المشار اليها .

(٢٠) دار المحفوظات ، وثيقة ١٩٩ المذكورة ، وثيقة ٤٢٤ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : تقرير مالي من مجلس قضاة الزاوية إلى مقر الولاية (٧ رمضان ١٢٨٧ هـ) ، ادهم ، المصدر السابق . وثيقة ١٤٣ .

(٢١) أدهم ، المصدر السابق ، ترجمة مواد (وثيقة) في كيفية الانتخاب لمختاري القرى (واصول انتخابات الاقضية) ، وثيقة مصورة بأول الكتاب .

(٢٢) كانت شؤون القرى تدار من قبل المجالس الاختيارية (مجالس المختارين) الذين يتم اختيارهم عن طريق الا نتخاب بواسطة الأهالي في تلك القرى وكانت مهمتهم رعاية امور قراهم كفض المنازعات وحفظ الأمن ثم تنفيذ التعليمات الصادرة من الحكومة وتحصيل الضرائب . انظر التفاصيل في وثيقة الانتخاب المذكورة .

(٢٣) أدهم ، المصدر السابق : وثيقة الانتخاب .

القرى وتطرح الثلث الباقي ، ثم تحيل اسماء الأعضاء الفائزين إلى متصرف اللواء الذي يعتمد تعيينهم كأعضاء رسميين لمجلس ادارة القضاء (٢٤)

رابعاً : وبنفس الكيفية تقريباً كان يجري انتخاب أعضاء مجلس كل من ادارة الولاية ومجالس الألوية ، وذلك بأن تقوم لجنة الانتخاب في مركز كل لواء برئاسة المتصرف باعداد قائمة بأسماء المرشحين وتحيلها إلى المجالس الادارية بالأقضية التابعة لكل لواء للتصويت عليها واختيار ثلثي الأسماء بناء على أغلبية الأصوات . كما أن مجلس الادارة في كل لواء يقوم بنفس الدور التصويت واختيار ثلثي أسماء الأعضاء المرشحين لمجلس ادارة الولاية حسب أكثرية الأصوات أيضاً ، ثم تحال القوائم بعد ذلك إلى الوالي لاختيار وتعيين الأعضاء المطلوبين لكل من مجلس ادارة الولاية ومجالس الألوية (٢٥) .

ويجب ملاحظة أن قانون الانتخاب المشار اليه لم يكن يخص ولاية طرابلس الغرب وبرقة فحسب وانما أعد ذلك القانون للتطبيق في جمع ولايات الامبراطورية العثمانية التي يسكن أغلبها شعوب مختلطة من المسلمين وغير المسلمين . ومن ثم نجد أن المادة السابعة والستين من نفس القانون تنص على أن نصف الأعضاء المرشحين لعضوية المجالس الادارية وغيرها من المجالس الأخرى يجب أن يكون من المسلمين والنصف الآخر من الطوائف غير الاسلامية . غير أنه لايوجد في الوثائق التي استخدمت في هذا البحث مايثبت بأن نص تلك المادة كان مطبقاً في عملية الانتخابات التي كانت تجري في ليبيا .

إذ أنه من الواضح أن عدد بعض الأقليات غير الاسلامية التي كانت تقطن في مدينة طرابلس وبعض المناطق الأخرى في تلك الفترة كان ضئيلا . ان نص المادة المشار اليه يعد من الأمثلة الواضحة على أن بعض الاصلاحات التي جرت في الدولة العثمانية لم يكن يهدف لتحسين أوضاع الأغلبية الساحقة لسكان الامبراطورية في المقام الأول ، وانما جاءت لخدمة مصالح العناصر غير الاسلامية التي تولت الدول الأوربية مهمة الدفاع عنها .

(٢٤) نفس المصدر .

(٢٥) نفس المصدر . انظر أيضاً ماذكره كل من ستانفورد شو وريدريك ديفسون حول موضوع انتخاب أعضاء المجالس الادارية في ولايات الامبراطورية العثمانية بصفة عامة .
Shaw , « the origins ... « p . 102 — 103 , Davison , *Reform* . p . 148 .

لقد كان يشترط في العضو المرشح لمجلس الادارة أن يكون من رعايا الدولة العثمانية ومن الذين لهم معرفة بالقراءة والكتابة ، وان يكون قد بلغ سن الثلاثين ، وان يكون من سكان الوحدة الادارية التي يرشح لها . علاوة على كونه من الذين يدفعون ضريبة سنوية لاتقل قيمتها عن مائة وخمسين قرشاً بالنسبة لمرشح ادارة القضاء وثلاثمائة قرش في حالة الترشيح لمجلس ادارة اللواء وخمسمائة قرش لمجلس ادارة الولاية (٢٦)

يظهر من طريقة سير الانتخابات ان مسألة اختيار أعضاء المجالس الادارية كانت تحت هيمنة السلطات الحاكمة التي كان لها القرار الأول والأخير في تعيين اولئك الأعضاء . حيث أن قوائم أسماء الأعضاء المطروحة للتصويت كان يجري اعدادها مسبقاً من قبل المسؤولين في كل من مركز الولاية وادارات الألوية والأقضية . ومن ثم فانه لم يكن أمام مجالس القرى التي يبدأ عندها التصويت أي خيار سوى التصويت على الأسماء المعدة بالقوائم .

وحسب قانون الانتخاب المبين فان انتخاب أعضاء المجالس بصفة عامة بما فيها المجالس الادارية كان يعقد مرة في كل عامين على جميع المستويات (٢٧) ومدة العضوية لمجلس الادارة كانت سنتين ، وفي كل مرة يجوز اعادة ترشيح نفس الأعضاء الذين انتهت مدة عضويتهم .

غير أنه من ناحية أخرى لايوجد نص صريح في قانون الانتخاب يحدد بوضوح عدد الأعضاء المطلوب انتخابهم لمجلس الادارة في مختلف الفروع . وفي نفس الوقت يبدو ان هناك اختلافاً بيّناً في وجهات نظر بعض المؤرخين حول تحديد العدد . فستانفورد شو مثلا يذكر أن عدد أعضاء المجلس المنتخبين بالنسبة للولايات العثمانية على وجه العموم كان ثلاثة (٢٨) . أما رودريك ديفسون يؤكد بأن المجالس الادارية في الدولة العثمانية ككل

(٢٦) دار المحفوظات ، وثيقة ٢٨٠ ، ملف ٢٥١ — ٣٠٠ : خطاب من نظارة الداخلية بالباب العالي إلى الولاية (١٧ صفر ١٣١٥ هـ) ، ولها ترجمة في أدهم ، المصدر السابق وثيقة ٨٧ ، وكذلك وثيقة الانتخاب بنفس المصدر . Shaw , « origins ... » 102 — 103 .

(٢٧) أدهم ، المصدر السابق . وثيقة الانتخاب .

(٢٨) Shaw , « origins ... » p . 102



كانت تضم أربعة أعضاء منتخبين بالنسبة لمجالس كل من ادارة الولايات والالوية ، وثلاثة أعضاء على مستوى الاقضية (٢٩) . ويذهب انثوني كاكيا إلى القول بأن العدد في مجلس ادارة ولاية طرابلس كان ستة أعضاء (٣٠) . بينما يحدد أحمد صدقي الدجاني عدد أعضاء نفس المجلس بستة عشر عضواً (٣١) .

وبالرجوع إلى الجمل المتعلقة بمسألة عدد الأعضاء الواردة في المواد السابعة والستين والثامنة والستين والسبعين من قانون اصول الانتخاب نجد النص الآتي : —

« ولتلك الجمعية (لجنة الانتخاب بالقضاء) ان ترجع اولا ثلاثة أمثال العدد المطلوب من الذوات (الشخصيات) بحيث أنه في السنة الأولى (المرة الأولى) يكون تسعة والسنة الثانية (المرة الثانية) خمسة ... ثم ترسل إلى كل من القرى ... (و) بعد ما يكون التحرير (في مجالس القرى) بأنه صار تمهير (اعتماد بالتوقيع والاختام) ستة أنفار من التسعة الذين صار عرضهم للانتخاب (و) لما يأتوا إلى القضاء أوراق انتخاب القرى تكون الرؤية لهم .. في جمعية التفريق (لجنة الانتخاب) ثم يكون اخراج الثلث من الأعضاء الذين صار تفريقهم (انتخابهم) . (٣٣)

يفهم من ذلك النص أنه عند بداية اول عملية انتخابية في القضاء تقوم لجنة الانتخاب بترشيح تسعة أعضاء وترسلهم إلى مجالس المختارين حيث يتم اختيار ثلثي العدد أي ستة أعضاء من بين التسعة . كما أنه في مقر القضاء تقوم اللجنة الانتخابية باخراج ثلث الستة أي عضوين ومن ثم يكون الباقي اربعة أعضاء وهم الذين يتم تعيينهم لمجلس ادارة القضاء .

---

(٢٩) Davisons *Reform* . p . 148 .

(٣٠) Cachia , p . 76 .

(٣١) الدجاني ، المرجع السابق . ص ٢٠١ ، علاوة على كثرة عدد الأعضاء الذي ذكره الدكتور الدجاني ، فانه لا يوجد في المصادر المعتمدة بهذا البحث مايؤكد قوله بأن « أعضاء مجلس ادارة الولاية (كانوا) ينتخبون من مجالس ادارة الالوية — بمعدل اربع (أربعة) أعضاء لكل لواء انظر ص ٢٠١ — ٢٠٢ من نفس المرجع .

(٣٢) يود كاتب البحث أن يشكر الأخ عادل علوش على مساعدته في قراءة صورة وثيقة اصول الانتخاب المشار اليها ، وابدائه بعض الملاحظات القيمة على بعض محتوياتها .

(٣٣) أدهم ، المصدر السابق . وثيقة الانتخاب .

وحيث أنه في الدورة الانتخابية الثانية ، أي بعد سنتين ، تقوم لجنة الانتخاب بالقضاء باختيار خمسة مرشحين مضاف اليهم أسماء الأربعة أعضاء الذين انتهت مدتهم فان العدد الذي سيطرح على مجالس القرى للتصويت في المرة الثانية سيكون تسعة . وكما ذكر سابقاً فان نفس القاعدة والاجراءات الانتخابية المتبعة في الأقضية كانت هي عينها المطبقة في حالات الانتخاب لمجالس ادارات الألوية والولاية ولذا فانه بعملية التصفية التي كانت تجري حسب القاعدة ، المبينة يصبح العدد المعتمد للمجالس الادارية في كل دورة من دورات الانتخاب هو أربعة أعضاء .

يستخلص من كل ذلك أن عدد اعضاء مجلس الادارة المنتخبين سواء في الأقضية أو الألوية أو في ادارة الولاية كان في الغالب يساوي أربعة ولعله مما يؤيد صحة هذا الاستنتاج هو أن هناك وثيقة تتعلق بأقسام ادارة لواء بنغازي يوجد بها نص صريح عن عدد أعضاء مجلس ادارة ذلك اللواء اذ يقول النص :

« دوائر الحكومة (في لواء بنغازي) أولها مجلس الادارة ... ومركب من رءس وهو سعادت المتصرف وحضرة القاضي والمحاسبجي ومدير تحريرات وناظر الأوقاف وأربعة أعضا وكاتب عربي » . (٣٤)

أضف إلى ذلك أن العديد من الوثائق التي تم الاطلاع عليها ، والمتعلقة بقرارات أو توصيات بعض المجالس في بعض الألوية والأقضية وكذلك في مركز الولاية تحوي اختام وتوقيعات أربعة من الأعضاء المنتخبين . (٣٥)

ومهما يكن من أمر الانتخاب وعدد الأعضاء ، فانه لاجدال في تحديد وظائف أو مهام مجلس الادارة على وجه العموم . فقد كان المجلس يقوم بدراسة ومناقشة ثم اصدار التوصيات بشأن العديد من المسائل المتعلقة بالنواحي الادارية والاقتصادية وامور الضرائب ثم النواحي المالية والمنشآت والمباني العامــة وشؤون التعليم والبلديات وتعداد السكان والتحكيم في بعض المنازعات الأهلية وشؤون الموظفين (٣٦) وغيرها .

(٣٤) دار المحفوظات ، وثيقة ٨٠٦ ، ملف وثائق مصورة من الدار القومية التونسية لا ئحة في كيفية احكام متصرفية بنغازي (٢٥ جماد ثاني ١٢٩٥ ه) .

(٣٥) انظر اختام الأعضاء في الوثائق المصورة اللاحق ، ادهم ، المصدر السابق . وثيقة ١١٦ ، ١٤٣ .

(٣٦) دار المحفوظات ، وثائق ٨٢٢ ، ٨٥١ السابقة ، ادهم ، المصدر السابق . وثائق ٤٥ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ، كورو ، المصدر السابق . ص ٣٠ .

وفي جميع الحالات فان المسؤولية حيال تلك المهام كانت تقع بالدرجة الأولى على مجلس ادارة الولاية ، حيث أنه يمثل المجلس الرئيسي الذي تعرض عليه أغلب المواضيع المتعلقة بشؤون البلاد . لقد كان مجلس ادارة الولاية يعكف على مداولة الموضوعات المحالة اليه من قبل الوالي سواء كانت تلك الأمور تختص بشؤون مدينة طرابلس وملحقاتها أو آتية من مجالس ادارات الألوية والأقضية أو من المتصرفين والقائمقامين بتلك المناطق ، أو تكون واردة من طرف الحكومة المركزية (٣٧) .

وفيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية فان معظم المصادر تشير إلى أن مجلس الادارة كان يعتني بالدرجة الأولى بمرافق ومصادر الدخل العائد إلى الحكومة مثل المعادن والمنتجات الزراعية المحتكرة من قبل الادارة العثمانية كالملح والنطرون والتبغ (٣٨) . كما أن المجلس كان يختص بترتيب وتنفيذ كافة العمليات الخاصة بالمبيعات والمشتريات الحكومية ، ويتولى مهمة ابرام العقود الخاصة بتأجير أو بيع العقارات والأراضي الزراعية العائدة إلى الحكومة ، وكذلك عقود مبيعات المحاصيل الفائضة من الضرائب والاعشار التي يتم بيعها عن طريق المزاد العلني (٣٩) ومن ناحية أخرى كان يقوم المجلس بتنظيم ومراقبة القروض الممنوحة للمزارعين من المصرف الزراعي أو من صندوق المنفعة العامة ، وذلك

(٣٧) دار المحفوظات ، وثيقة ٨٧٤ ، وثيقة ٧٦٨ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : رسالة من وكيل متصرفية لواء الجبل إلى الوالي بشأن ملكية الأراضي الحكومية (١٢ ذي القعدة ١٢٩٠ هـ) ، أحمد سعيد الفيتوري ، **ليبيا وتجارة القوافل** . طرابلس : الادارة العامة للآثار ، ١٩٧٢ ، ص ٥٨ ، ٦٤ رسائل واردة من وزارتي الخارجية والداخلية باستانبول إلى ولاية طرابلس الاولى بتاريخ (٢٣ مارس ١٩٠٥ م) والثانية في (٢٨ ديسمبر ١٩٠٩ م) ، **بلدية طرابلس في مائة عام ١٢٨٦ – ١٣٩١ هـ / ١٨٧٠ – ١٩٧٠ م** . طرابلس : شركة دار الطباعة ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٦ ، « الوثيقة التاسعة » ، ص ١٠٨ » الوثيقة ثانية عشر » ، ص ١٢٦ – ١٢٧ » الوثيقة التاسعة والعشرون » ، ص ١٣٠ » الوثيقة الرابعة والثلاثون والخامسة والثلاثون » .

(٣٨) سامح ، المصدر السابق . ص ٤٩ ، ركورو ، المصدر السابق . ص ٨٦ ، كاكيا ، المصدر السابق . ص ١٥٧ – ١٦١ .

(٣٩) دار المحفوظات ، وثيقة ٧٦٨ و ٨٢٢ السابقة ، الانصاري ، المصدر السابق . ج ٢ ط ١ ، القاهرة : مطبعة الاستقامة ، ١٩٦١ ، ص ٤٣ ، كاكيا ، المصدر السابق ص ٩٦ .

من حيث تقديرها وضمان تسديد المبالغ المقروضة عن طريق كفالات ، ثم تحديد الأراضي الصالحة للزراعة التي تستحق منح القرض (٤٠) .

أما في المسائل الادارية فقد كان المجلس يشارك في تقرير المشروعات التي تنوي حكومة الولاية تنفيذها ، ثم يتولى متابعة انجازها . بالإضافة إلى ذلك كان المجلس يقوم بالاشراف على الجهاز الاداري وشؤون الموظفين ومأموري الاعشار من حيث تأدية واجباتهم ومراقبة ماقد يقع منهم من سلوك أو تصرفات تخل بمهام وظائفهم كالاختلاسات والاستغلال أو التزوير والمحاباة . وفي ذلك يعتبر المجلس بمثابة الهيئة المخول اليها التحقيق في حالات الفساد في النواحي الادارية واتخاذ مايلزم بشأنها من اجراءات ، وإلى جانب ذلك كان المجلس يتدخل في بعض الأحيان لفض المنازعات أو المشاكل التي قد تحدث بين الادارة وبعض الأفراد من الأهالي (٤١) .

ولعله من بين المهام الرئيسية لمجلس الادارة هو ما كان يختص بتنظيم وادارة شؤون الضرائب والاعشار والتبرعات الأخرى . فقد لعب المجلس دوراً بارزاً في ضبط عملية تقديرأنواع الضرائب ثم ترتيب اعمال تقييم المحصولات الزراعية (الخراصة) على جباية العائدات من وراء ذلك إلى خزينة الدولة في المواعيد المحددة . وفي نفس الوقت كان المجلس يتولى الاشراف على تعداد السكان ليتمكن من تحديد عدد الأشخاص الذين يمكنهم دفع الضرائب (٤٢) .

(٤٠) دار المحفوظات ، وثيقة ٧٦٤ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : تعليمات محالة إلى مجلس ادارة الولاية بمنح القروض من صندوق المنفعة العامة لغير الفلاحين (٧ جماد الآخر ١٢٩٤ هـ) ، وثيقة ٨٠٠ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : رسالة من الوالي عن طريق مجلس الادارة إلى متصرف غربان بشأن القروض الزراعية (٧ رجب ١٣٢٠ هـ) ، وثيقة ٧٩٨ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : الشروط الخاصة بالقروض من المصرف الزراعي صادرة عن مجلس ادارة الولاية (١٢ ابريل ١٩٠٢ م Shaw , « origins ... » p . 118 .

(٤١) دار المحفوظات ، وثيقة ٨٠٦ السابقة ، ادهم ، المصدر السابق . وثيقة ٦٠ ، كورو ، المصدر السابق . ص ٣٠ .

(٤٢) دار المحفوظات ، وثيقة ١٥٠ ، ملف وثائق مختلفة المواضيع : قرار مجلس ادارة لواء فزان بتحديد عدد الأشخاص القادرين على دفع الضرائب (٢ رمضان ١٣١١هـ) ، ومرفق بالقرار موافقة مجلس ادارة الولاية بتاريخ (١٢ ذي القعدة ١٣١١ هـ) ، وثيقة ٨٢٢ السابقة ، قرارات مجلس ادارة الولاية رقم ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٩٨٢ ، ٩٨٩ بشأن الاعشار واحصاء بعض الأشجار في بعض الالوية والاقضية ، سجلات ٢٩٤٢ (١٨٧٥ م) و ٣١٦٥ (١٩٠٥ م) ، أدهم ، المصدر السابق وثائق ٦٠ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، مجموعة وثائق اخرى جمعها وترجمها عبدالسلام أدهم ، تحت الاعداد للنشر بجامعة قاريونس : كشف بنتيجة تعداد سكان مصراته محال إلى مقر الولاية من مجلس ادارة قضاء مصراته (٨ شعبان ١٣١١ هـ) .

وفي النواحي المالية فالمجلس عموماً كان يختص بدراسة بنود ميزانية الولاية واقرارها ، وكذلك يقوم بالتصديق على كافة التقارير المعدة من قبل مدير المالية سواء فيما يتعلق بمبالغ الدخل العائدة إلى الخزينة من الضرائب والاعشار والرسوم وعوائد الموانيء والجمارك ، أو المصروفات والمبالغ المحولة إلى خزينة الحكومة المركزية . كما كان المجلس يشرف على العملات المتداولة في البلاد (العثمانية والاوربية) ويصدر التعليمات بشأن ماقد يحدث على أسعارها وقيمها الشرائية من ارتفاع أو انخفاض (٤٣) .

ومن جملة اختصاصات المجلس الاداري الأساسية الاخرى ماكان يتصل بدائرة البلدية وما تقوم به تلك المؤسسة من أعمال ومشروعات . فتنظيم جهاز البلدية وانتخاب رئيس واعضاء المجلس البلدي وما يصدر عن ذلك المجلس من قرارات كانت أساساً تتطلب موافقة مجلس الادارة . (٤٤) ثم ان كافة نشاطات البلدية المتعلقة بالأحوال المدنية وتنظيم الأسواق والشؤون الصحية واعمال المنفعة العامة وغيرها كانت تعتمد في تنفيذها إلى حد كبير على مساندة وتصديق المجلس (٤٥) .

ورغم انخفاض مستوى التعليم في البلاد فقد أبدى مجلس الادارة بعض المحاولات للاهتمام بالنواحي التعليمية ، خاصة في أواخر القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين . اذ ساعد المجلس على انشاء بعض المدارس والمعاهد وعمل بالتعاون مع ادارة المعارف على تزويدها ببعض الأثاث والمعدات المدرسية والمعلمين . (٤٦) ويعد انشاء المدارس جزء من مسؤوليات مجلس الادارة الخاصة باقامة المنشآت والمباني العامة الأخرى مثل المستشفيات والملاجيء ودور الرعاية والدوائر الحكومية والثكنات العسكرية وغيرها .

---

(٤٣) دار المحفوظات ، وثائق ٤٢٤ ، ٨٥١ السابقة ، ادهم ، المصدر السابق . وثائق ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠

(٤٤) أدهم ، المصدر السابق . وثيقة ١٦٤ .

(٤٥) بلدية طرابلس ، المرجع السابق . ص ١٠٦ « الوثيقة التاسعة » ، ص ١٠٨ « الوثيقة الثانية عشر » ، ص ١٢٥ « الوثيقة السادسة والعشرون » ، ص ١٢٦ « الوثيقة التاسعة والعشرون » ، ص ١٣٠ « الوثيقة الرابعة والثلاثون » .

(٤٦) دار المحفوظات ، وثيقة ٢٩٥ ، ملف وثائق ٢٥١ – ٣٠٠ قرار مجلس ادارة الولاية بشأن التعليم : المدارس ، الأثاث ، اعارة مدرسين ، شؤون التلاميذ ... الخ في الفترة (مابين شعبان – ذي القعدة ١٣١٩ هـ) ، ادهم المصدر السابق . وثائق ١٠٠ ، ١١٦ .

ويجب ملاحظة أن مثل هذه المباني كانت في الأعم الأغلب تنفذ بمجهودات الأهالي ، سواء من الناحية المالية او الأيدي العاملة . وكان دور مجلس الادارة في ذلك هو حث وتشجيع السكان على التبرع بالمبالغ اللازمـة لانجاز مثل تلك المباني أو المشروعات ، وكذلك حثهم على توفير العاملين ، ثم يتولى الاشراف على سير عمليات البناء . (٤٧) وعلاوة على ماتقدم فان كل الشواهد تؤكد بأن مجلس الادارة قد لعب دوراً مهماً في تثبيت العلاقات العثمانية بالمجتمع الليبي . وذلك لأن المجلس كان يمثل حلقة من حلقات الاتصال بين السلطات الحاكمة في الولاية وافراد المجتمع . ان الجانب السلبي الذي هيمن على على العلاقة بين الادارة العثمانية والأهالي في الفترة مابين (١٨٣٥ ـــ ١٨٥٨ م) الذي تمثل في الثورات ضد النفوذ العثماني والتجربة المريرة التي مرت بها السلطات العثمانية من جراء ذلك أجبرت تلك السلطات على ضرورة ايجاد نمط جديد من العلاقات مع سكان البلاد تضمن بواسطته السيطرة على البلاد دونما تحد أو مقاومة . ومن أجل ذلك بادرت حكومة طرابلس إلى استيعاب العناصر القوية في المجتمع والفئات صاحبة النفوذ والمصالح في المؤسسات الادارية وجعلهم ينتمون إلى الطبقة الحاكمة في الولاية . ومن هنا أصبح مجلس الادارة من بين تلك المؤسسات الادارية التي استخدمت في تطبيق ذلك النمط الجديد من العلاقات . اذ صار المجلس يستقطب اعضاء أغلبهم من العناصر صاحبة النفوذ في المجتمع المتمثلين في الوجهاء والأعيان والقضاة وغيرهم من ذوي الكيان الاقتصادي والاجتماعي (٤٨) . وبالإضافة إلى دمج تلك العناصر في الجهاز البيروقراطي واتاحة الفرصة أمامهم ليشاركوا في ادارة شؤون البلاد ، ولو من ناحية اسمية ، فقد حاولت السلطات أيضاً مراعاة المصالح الاقتصادية لهؤلاء بما في ذلك الاعفاء من الضرائب ودفع المعاشات وبعض المزايا الاخرى (٤٩) . وبذلك وجدت الطبقة صاحبة النفوذ في المجتمع ان مهمة الحفاظ على مصالحها الخاصة تتطلب التعاون والتأييد للنخبة العثمانية الحاكمة .

(٤٧) دار المحفوظات ، وثيقة ١٨٩، ٢٦٢، ١٩٩ السابقة، بلدية طرابلس ، المرجع السابق وثيقة ٦٧، Shaw , « origins ... » p . 118 .

(٤٨) أدهم ، المصدر السابق . وثيقة ٥٦ ، ١١٥ .

(٤٩) نفس المصدر . وثيقة ٦٨ ، ١٧١ ، الانصاري ، المصدر السابق . جـ ٢ ص ٢٥ .

ان اهمية مجلس الادارة في ولاية « طرابلس الغرب وبرقة » من الناحية الواقعية ودرجة فعاليته في تأدية المهام المسندة اليه كانت على وجه العموم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالظروف السياسية والاجتماعية الراهنة . فأعمال المجلس كانت رهن كثير من العوامل المؤثرة منها قلة الامكانيات المادية وطبيعـة الجهاز البيروقراطي في الولاية وفعاليته المحدودة ، بالإضافة إلى ضعف المستوى الثقافي والفني للأعضاء ، وكذلك عامل المصالح والعلاقات الشخصية التي تربط اولئك الأعضاء بممثلي السلطة التنفيذية . وفوق ذلك كله ، وكما هو الحال بالنسبة لعملية الانتخابات ، فان السلطة الفعلية لمجلس الادارة كانت بيد ممثلي السلطة الحاكمة (الوالي في مركز الولاية وممثليه من المتصرفين والقائمقامين في الدواخل) فكل من هؤلاء كان يرأس مجلس الادارة الواقع تحت دائرة اختصاصه ، بل يهيمن ويؤثر على كافة أعماله . ولهذا فمجلس الادارة في ليبيا لم يكن بمثابة سلطة منفصلة أو مستقلة عن السلطات الرسمية في حكومة الولاية ، وانما كان حسب طبيعة تكوينه يمثل هيئة استشارية مساعدة من ناحية ومؤسسة ادارية ذات طابع تنفيذي من ناحية اخرى . وفي جميع الأحوال كان المجلس يمارس اختصاصاته في اطار السياسة العامة لحكومة الولاية ويصدر قراراته وتوصياته طبقاً لما تراه السلطات التنفيذية بها .

وقل مانجد في الوثائق المتوفرة مايشير إلى أن المجلس كان يبدي كثيراً من الاهتمام بخدمة المصالح العامة للأهالي مثل اصلاح نظام الضرائب أو التخفيف من اعبائها الذي كانت تعاني منه الأغلبية الساحقة في المجتمع . بل على العكس من ذلك فمسألة الجباية كانت من المهام التي حرص عليها المجلس بشدة متناهية ، خاصة وان جمع الأموال عن طريق الضرائب كان يرتبط ارتباطاً شديداً بدفع معاشات العاملين بأجهزة الحكومة بما فيهم أعضاء مجلس الادارة نفسه . ومن ثم كان المجلس يصدر تعليماته المشددة مذيلة بالتهديد بالعقاب لكل من يتلاعب في عملية تقييم المحاصيل الزراعية من مأموري الأعشار أو من يتأخر من الأهالي عن الدفع (٥٠) .

ومهما يكن من أمر فالخلاصة التي يمكن التوصل اليها من خلال النقاش السابق هي أن دراسة موضوع مجلس الادارة تؤدي إلى الوقوف على بعض مظاهر السياسة الداخلية

(٥٠) أدهم ، المصدر السابق . وثيقة ٦٠ ، ١٢٤ .

للادارة العثمانية وتبرز العديد من اوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي في ليبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فمجلس الادارة كان من ضمن المؤسسات التي لعبت دورها في تلك المجالات .

وعلى الرغم من أن السلطة العليا والقرار النهائي في كافة مايتعلق بأمور البلاد كانت متركزة في يد الطبقة الحاكمة ، الا أن تلك الطبقة كانت تعتمد إلى حد كبير على مايصدر عن مجلس الادارة من قرارات وتوصيات . ثم انه مهما كانت سلطات المجلس محدودة الا أن معظم القرارات التي تتخذ والأعمال التي تنفذ من قبل الحكومة كانت تمر عن طريق المجلس وتصدق من قبل اعضائه . وإلى جانب ذلك كان المجلس يمثل احدى الهيئات التي اعتمدت عليها السلطات العثمانية في علاقاتها مع السكان المحليين . *

* انظر الملاحق الأربعة المنشورة على الصفحات التالية .

(١)

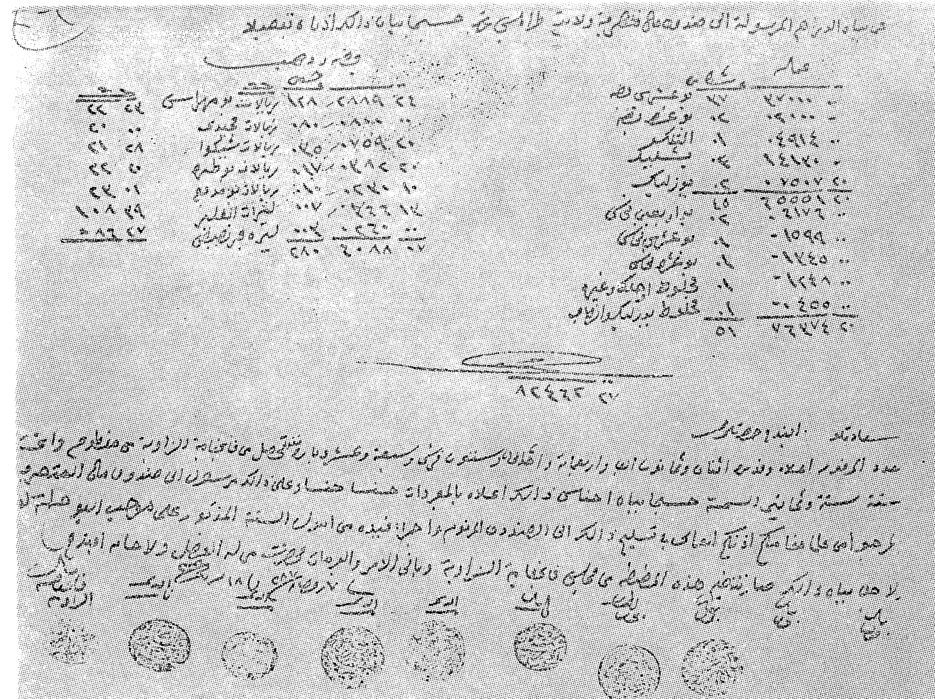
ملحق رقم (١) : جدول أعمال مجلس ادارة الولاية في الجلسة المنعقدة في ١٢ ذي القعدة ١٢٨٢ هـ ، وثيقة ٢٩٢ مصورة من دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رقم ٨٥١ ملف (٨٠١ ـ ٩٠٠) ٠

ملحق رقم (٢) : تقرير مالي محول الى نظارة المالية في استانبول من مجلس ادارة ولاية طرابلس الغرب ، ٢٢ ذي القعدة هـ وثيقة مصورة من دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رقم ٨٥١ (٨٥١ ـ ٩٠٠) ٠

ملحق رقم (٣) : تقرير مالي من مجلس ادارة قضاء الزاوية محول الى مقر الولاية بطرابلس ٧ رمضان ١٢٨٧ هـ ، وثيقة ٤٢٤ مصورة من دار المحفوظات التاريخية بطرابلس من ملف وثائق مختلفة المواضيع ٠

(٢)

(٣)



(٤)

ملحق رقم (٤) : مضبطة من مجلس ادارة قضاء فساطو مرفوعة الى متصرف لواء الجبل بشأن بناء قصر الحكومة في بلدة فساطو ١٧ ربيع الاول ١٣١٧ هـ وثيقة مصورة من دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رقم ١٩٩ ملف (١٨٦ ــ ٢٥٠) .

ظروف وأبعاد
امتداد الإدارة العثمانية الجديدة
لغدامس سنة ١٨٤٢
كما تعكسها رسالة غدامسية

حبيب وداعة الحسناوي

كلية التربية ـ جامعة الفاتح
طرابلس

بعد القضاء على حكم الأسرة القره مانلية في طرابلس سنة ١٨٣٥ وعودة البلاد إلى الحكم العثماني المباشر ، لم تتجاوز حدود السلطة الجديدة طرابلس المدينة ، والمنشية ، وتطلب الأمر انقضاء أربعة وعشرين عاما (١٨٣٥ ــ ١٨٥٨) حتى تم القضاء على الثورة ونزعة الطموح إلى الاستقلال ، التي أبداها زعماء الدواخل مثل عبدالجليل سيف النصر وغومة المحمودي ، وبذلك ضمن الولاة العثمانيون لأنفسهم السيطرة .

وتذكر معظم المصادر التي أرّخت لحركات عبدالجليل سيف النصر وحركة غومة المحمودي ، أن القضاء على ثورة عبدالجليل سنة ١٨٤٢ م تتوافق مع تنحية على عسكر باشا (١٨٣٨ ــ ١٨٤٢) وقدوم خليفته محمد أمين الذي وصل إلى طرابلس في يولية ١٨٤٢ وخضوع غومة وعادل الذي كان يقود الثورة في إحدى نواحي برقة . غير أن محمد أمين قد قبض على غومة وبعض المنتمين اليه فأرسلهم إلى الآستانة حيث سجنوا في سجون الدولة مما سبب في قيام ثورة عارمة شملت الجبل كله ضد السلطة العثمانية . في هذا الجو المشبع بالثورة أعلنت فزان وغدامس اعترافهما بالسلطة العثمانية الجديدة حيث عين لها حاكمان مقيمان . ولكن القائد حسين الذي أرسل إلى غدامس ، قتل في الطريق وخلفه الأسود بوهوبة الذي تولى هذا المنصب بصفة نهائية (١) . والسؤال الذي يطرح

---

* أود أن أعبر عن شكري الجزيل للأخ الاستاذ بشير قاسم يوشع الذي تفضل باطلاعي على الرسالتين المحققتين والسماح لي بدراستهما ونشرهما ، كما أود أن أشكره أيضاً على قراءته مسودة المقال ، وقد استفدت كثيراً من ملاحظاته التي أبداها حول بعض النقاط الواردة فيه .

(١) انظر كوستانزيو برنيا **طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠** تعريب خليفة محمد التليسي طرابلس ــ ليبيا : دار الفرجاني (١٩٦٩) ص ٣٤٩ أتوري روسي ، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١** . تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي . بيروت : دار الثقافة (١٩٧٤) ص ٣٦٥ . شارل فيرو ، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي** الكتاب الثالث . نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها.. (يتبع)

نفسه هنا ، لماذا وكيف قتل العامل التركي المعين على غدامس ؟ ومن الذي قتله ؟ ثم كيف تم اعتراف غدامس بالسلطة العثمانية الجديدة في طرابلس ؟ .. هل تم سلمياً أم عن طريق حملة عسكرية في إطار الحملات التركية على الدواخل لإخضاعها وقتل روح الثورة فيها ؟ وان كان قد تم عن طريق حملة عسكرية ، فما هي أبعاد هذه الحملة وما هي تأثيراتها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في غدامس ؟ ... وماذا كان رد فعل المواطنين الغدامسيين تجاه هذه الحملة ؟ ثم ما النتائج التي ترتبت على هذه الحملة غدامسيا وليبيا ؟ ..

كل المصادر التي بين أيدينا لم تعط إجابات كافية عن هذه التساؤلات وغيرها ، بل اكتفت كما ذكرنا بقولها ان غدامس اعترفت بالعهد الجديد في طرابلس . وليس في هذه المصادر مايسلط الضوء على ظروف وطبيعة الأحداث التي أدت إلى مد السيطرة العثمانية إلى تلك المنطقة .

وفي هذا المقال سأحاول تحليل ظروف اعتراف غدامس بالعهد الجديد وإلى إبراز ردود فعل الغدامسيين تجاه الإدارة العثمانية الجديدة وإلى تأثيرات ذلك في حياة غدامس سياسياً واقتصاديا من خلال وثيقة غدامسية صدرت في شكل رسالة كتبها المواطن الغدامسي محمد بن عمر بن عبدالله بن يونس إلى الحاج محمد المانع بن الحاج أحمد بن علي يوشع في السودان في الثاني من جمادي الآخرة سنة ١٢٥٩ ، بعد ثلاثة أشهر فقط من وصول حملة تركية إلى غدامس ويصف فيها بالتفصيل دقائق الحملة وما قامت به في غدامس وما فرضته من غرامات وما قامت به من اعتداءات وتنكيل بالأبرياء من المواطنين . وتعطي الرسالة معلومات قيمة عن التنظيم السياسي والاجتماعي في غدامس وطريقة الناس في توزيع الغرامات على الأفراد والأسر إلى جانب بعض المعلومات الاقتصادية الهامة وما تركته هذه الحملة من آثار على اقتصاد غدامس وتجارتها .. الخ ..

.. (تابع) العربية ووضع مقدمتها النقدية محمد عبدالكريم الوافي . طرابلس : مكتبة الفرجاني (١٩٧٣) .

قارن مع أحمد النائب الانصاري ، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** . طرابلس : مكتبة الفرجاني (ب . ت) ص ٣٥١ ، الذي يذكر أن اعتراف غدامس بالسلطة العثمانية قد تم في اطار حملة أحمد باشا على مدى الجبل الغربي واخضاع مدنه ، فبعد معركة ككلة توغل الأتراك إلى يفرن وفساطو ونالوت وغدامس . وربما كان يشير احمد الانصاري بذلك إلى التجريدة العسكرية التي ذهبت إلى غدامس بأمر أحمد باشا بقيادة عثمان آغا بعد مقتل القائد حسين والتي تكلم عنها صاحب الرسالة موضوع مقالنا هذا . ومعنى ذلك أن اعتراف غدامس بالسلطة العثمانية قد تم فعلا قبل ارسال حملة عثمان آغا .

والوثيقة توجد ضمن مجموعة كبيرة من الرسائل ، يقوم الآن الأستاذ بشير قاسم يوشع بتحقيقها وسينشرها مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية وهي تتعلق بمختلف مظاهر . الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في غدامس في الفترة من ١٢٢٨ ه إلى ١٣٢٥ ه . ويعود أصل هذه الرسائل إلى أسرة يوشع المشهورة في غدامس والتي كان لأفرادها تجارة رائجة مع السودان وتونس وطرابلس ومصر وحتى بلاد المغرب الأقصى . وكانت هذه الرسائل المتبادلة تحمل أخباراً اقتصادية تتعلق بالبضائع والأسعار وحالة السوق وأية أخبار سياسية واجتماعية تتعلق بالمجتمع الغدامسي في غدامس أو في السودان وغيرهما ، ومن هنا تكتسب هذه الوثائق أو هذه الرسائل أهمية بالغة في التاريخ الغدامسي اجتماعياً واقتصادياً وخاصة فيما يتعلق بتجارة القوافل . والوثيقة التي بين أيدينا نموذج ممتاز لهذه الرسائل ، وسنركز في هذه الدراسة فقط على مااحتوته هذه الرسالة من أخبار تتعلق بالحملة العثمانية على غدامس .

فبعد التحية والسلام وإعطاء أهم الأخبار العائلية ، يتعرض مرسل الرسالة باختصار لحالة الأسعار والتضخم الذي كانت تعاني منه غدامس ، حيث زادت أسعار المواد الغذائية زيادة هائلة وقد عبّر الكاتب عنها بعبارة « ربنا يلطف » حيث أصبح « الشعير ستة صيعان بالمثقال والقمح ثلاثة صيعان » وكذلك فقد ارتفعت أسعار التمر والزيت . ثم تتكلم الرسالة عن حالة البلاد السياسية والظروف التي أدت إلى امتداد السلطة العثمانية الجديدة إلى غدامس . فقد طلب الوالي الجديد — محمد أمين الذي لم يذكره كاتب الرسالة بالاسم — من أهالي غدامس أن يبعثوا اليه بوفد ، فذهب اليه وفدان عن محلتي وليد ووازيت يمثلان جميع الشوارع الغدامسية ، وبعث الوالي مع الوفد بعامل على الواحة اسمه حسين ، أحد مماليك يوسف باشا القره مانلي ، غير أن مجموعة من بادية مرسيط (٢) تعرضت للوفد عند بئر الكلاب (٣) وقتلوا العامل المعين عند ذلك البئر وحاولوا الاستيلاء على أموال القتيل المذكور .

والكاتب الذي يريد أن يسجل وصفاً لمجموعة من الأحداث المتتالية والمتداخلة حول هذا الحادث بصورة موجزة ومقتضبة ، جاء وصفه عائماً وغير واضح في تسجيل الأحداث

(٢) أولاد مرسيط والغنايمة من القبائل التي تتخذ من المناطق المحيطة بيفرن حول الرومية والعوينية مواطن لها

(٣) بئر الكلاب : بئر تقع جنوب الزنتان .

التي تلت وفاة العامل المعين ، ففي حين يذكر في البداية أن اولاد المرسيط هم الذين قتلوه يذكر أن الآخيرين قدموا بعد ذلك بأيام إلى غدامس مع جماعة أخرى من الغنايمة وطالبوا ، أموالا كثيرة من المواطنين ، كما طالبوا بأموال القائد القتيل . « الذي منعوهم الزنتان من من رفوعه وجاءوا به لغدامس وسعدوا الناس معاهم بألف ريال » .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو ، ماعلاقة الزنتان بهذه الأحداث ؟ فهل كانوا من الموالين للسلطة العثمانية ؟ وكيف منعوا اولاد مرسيط من الاستيلاء على أموال القائد ولم يمنعوهم من قتله ؟ ولماذا احضروا امواله إلى غدامس ولم يحتفظوا بها لأنفسهم أو يعيدوها إلى السلطات في طرابلس ؟ ومن يقصد الكاتب بعبارة « وسعدوا الناس معاهم بألف ريال » الزنتان أو أولاد مرسيط ؟ ربما كان يقصد بذلك أولاد مرسيط الذين جاؤوا إلى غدامس وحاولوا دخول المدينة والمطالبة فيما طالبوا ، كما ذكرنا ، بأموال وممتلكات القائد حسين . وان الزنتان حاولوا منعهم بالقوة من دخول وسط البلد لمكان « توفرضة (٤) بالقرب من المسجد العتيق » . وللمطالبة بالأموال المذكورة . وأسفر الاشتباك عن قتل أحد المواطنين ويسمى الشيخ محمد الجليدي . ويذكر بشير يوشع أنه بحث في أسماء الأسر الغدامسية فلم يجد أسرة واحدة تحمل اسم الجليدي لذا فيرجح أن يكون الشيخ الجليدي هذا من الزنتان أو من بلدة سيناون التي ترتبط بغدامس بعلاقات قوية (٥) .

وفي حين كانت غدامس تشهد هذه الأحداث الأليمة ، كان الجبل قد تجددت فيه الثورة لتشمل كل أقسامه . وعندما علم الوالي بظروف مقتل القائد حسين وبتجدد الثورة في الجبل (٦) ، أعد حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا الذي استطاع القضـاء على الثورة

(٤) توفر ضه : يذكر يوشع أن توفر ضه هو عبارة عن ممر بقرب المسجد العتيق بغدامس وفيه بنيت مقاعد للجلوس ، وفيه يعتقد أعيان محلة وليد اجتماعاتهم الرسمية لمناقشـة امور محلتهـم وغيرها من الأمور المهمـة المتعلقة بعلاقاتهم مع الشوارع الغدامسية الأخرى أو التي تتعلق بالمدينة بشكل عام .

(٥) في حديث جرى بين الكاتب والسيد بشير يوشع بطرابلس يوم ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٩ .

(٦) حول تفاصيل ثورة الجبل والثورات التي جابهت العثمانيين في بداية فترة حكمهم الثانية بشكل عام في ليبيا – انظر : الانصاري ص ٣٢٩ – ٣٦٧ ، فيروص ٦٢١ – ٧٣٤ ، برنيا ص ٣٣٥ – ٣٦١ ، روسي ص ٣٥٧ – ٣٧٣ وعمر علي بن اسماعيل : **انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥ – ١٨٣٥** . طرابلس : مكتبة الفرجاني (١٩٦٦) وعزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية** ترجمة عبدالسلام أدهم – بيروت : دار لبنان – للطباعة والنشر ١٩٦٩ – ١٩٣ – ٢٠٧ .

في الجبل ، وأرسل تجريدة بقيادة عثمان آغا مكونة من أتراك وكولوغلية وعرب إلى غدامس التي كان لايزال بها أولاد مرسيط ، والذين عندما علموا بخروج الحملة اليهم ، غادروا غدامس في اتجاه سيناون (٧) ، والتقوا بالحملة في بلاد الشعوا (٨) وقد قبضت الحملة عليهم وأتت بهم إلى غدامس عدا ثلاثة أفراد فلتوا من الحملة ولكن قبض على اثنين منهم أحمد باشا في الزنتان وأعدمهما ، أما الثالث فلم يقبض عليه أحد وكتبت له النجاة . وعندما وصل عثمان آغا بحملته إلى غدامس خرج إليه كل الغدامسية من « بني وليد وبني وازيت بالطبول والبارود » ونعتقد أن ذلك كان مظاهرة ترحيب ، إذ لايعقل أن تكون بهدف الحرب والمجابهة فقد سبق للغدامسية أن استجابوا لدعوة الوالي وأرسلوا بوفودهم لمقابلته في طرابلس ، وعادوا بصحبة عامل معين على مدينتهم ، ولكنه قتل في الطريق ، كما رأينا ، على أيدي جماعة أخرى غير الغدامسية . وأن تلك الجماعة لم تكتف بقتل ذلك القائد ، بل ضايقوا اهل غدامس أيضاً وأحدثوا اضطرابات وقلاقل في المدينة ، هي في غنى عنها . اذن مجيء الحملة في ذلك الوقت كان بمثابة انقاذ للمدينة من تعديات تلك الجماعة ولاعادة الأمن والاستقرار فيها خاصة وأن الغدامسية أهل تجارة ولهم قوافلهم التي تجوب الصحراء في كل الاتجاهات ويعتبرون توفير عنصر الأمن عاملا أساسياً في ازدهار واستمرار هذه التجارة ، فقد كان الغدامسيون يحرصون على تجنب أي مواجهة مع القبائل المجاورة وكانوا يشترون سكوتها بل حمايتها بما كانوا يقدمونه لها من هدايا ورسوم مرور في أراضيها ، ثم ان في قبول قائد الحملة بتخفيض المبلغ الذي طالب به أهل البلاد في البداية من أربعين ألف مثقال ذهب إلى اثنين وعشرين الفا ، مايشير إلى أن الأهالي لم يقابلوا الحملة بروح عدائية ثم إنه لو وقعت مصادمات مسلحة بين الطرفين لذكرها صاحب الرسالة . على أية حال ، بالرغم من قبول عثمان آغا تخفيض المبلغ ، الا أنه اتبع أساليب العنف والقسوة في جمعه ، ولم يقبل استيفاءه بالميزان الاقدزي نسبة إلى أغاديس بالنيجر ، وهو الميزان المستعمل في غدامس ، بل أصر على الوزن بميزان اسطنبول ، الذي أتى به معه ، ويقوم بعملية الوزن مسيحي « رومي » أتى به قائد الحملة معه ، وميزان اسطنبول أكبر من الميزان القابسي إلى قابس ، وأكبر من الميزان الاقدزي

(٧) سيناون : مدينة إلى الشمال الشرقي من غدامس تبعد عنها بحوالي ١٩٢ كم .

(٨) الشعوا : قرية جنوب غرب سيناون بحوالي ٨ كم .

والفرق بين ميزان اسطنبول والميزان الأخير ٢ إلى ٣ تقريباً (٩) ، وبالرغم من أننا لم نقف بعد على القيمة الفعلية للعملات المتداولة في ذلك الوقت ولا سعر تداولها ، فان الكاتب يذكر أن السكان قد خسروا كثيراً من جراء مسألة الفرق في الموازين « المائة مثقال بميزاننا يطيح فيها اثنان وعشرون مثقالا ، ثلاثة أواق فجرة للمثقال والدور ريالين وربع بالمثقال والسبيلي أربعة عشرة ريال ونصف بالمثقال خلف مايغالط الناس يوزن كيف بغي ويقبض كيف بغى ولا قدر من يتعرض له بشيء .... » وهذا يعني أن قائد الحملة قد قبض فعلا أكثر من المبلغ الذي صالح عليه أهل البلد والذي كان « اثنان وعشرين الف مثقال في الفم » كما أشرنا ، وكلمة في الفم تعني : اسمياً . ولكن نتيجة الفرق في الميزان والأساليب التعفسية التي اتبعت في جمع المبلغ والغرامات الإضافية التي كان يفرضها على الناس ، قد رفعت هذا الرقم إلى رقم أعلى ، لايمكن تقديره . فقد كان قائد الحملة « يربط الناس ويعطي العصا والذي ربطه يعطي فلوس من مائة محبوب إلى عشرين محبوب ... » كما حدث لمواطنين يسميان عمر بن الحاج أحمد بن عمر والمرتضى بن القاضي اللذان ضربا ضرباً مبرحاً حتى مرضا وغرّم كل منهما مائة محبوب .

وقد قسم الناس الغرامة فيما بينهم طبقاً لعوائدهم ولأحوالهم المالية ، حيث فرق الربع الأول « على الجدار والصائم والديار والثلاثة ارباع الباقية على المالية » . والجدار هو نوع من الأحباس لايجتمع فيها الأب وابنه ، والديار العائلات الشهيرة ، أما الصائم فهو كل رجل بالغ يستطيع صيام شهر رمضان ، أما المالية فيقصد بها أصحاب رؤوس الأموال . وبالنظر إلى أن المرسل اليه الرسالة تنطبق عليه أوصاف الفئات الأربعة فقد دفع عنه ضمن كل هذه الفئات ستة وأربعين مثقالا .

لقد كانت قيمة الغرامة كبيرة جداً وحدثت في وقت كانت البلاد تعاني فيه من الكساد والجفاف وشح في المطر وقلة في المحاصيل الزراعية وخاصة التمر الذي كان يشكل مادة غذائية أساسية ، كما كان يعتبر احدى المواد الرئيسية في التبادل التجاري وقد انعكست هذه الظروف السيئة في الأسعار ، فقد لجأ الناس من أجل الايفاء بالغرامات المفروضة

(٩) يذكر كاتب الرسالة أن جملة مادفع عن الحاج محمد المانع المرسلة اليه الرسالة كان ٤٦ مثقالا دفعت بالميزان الاقدزي فوجدت (٦٠) ستين مثقالا .

عليهم إلى بيع حصصهم في ماء عين الفرس (١٠) فانخفضت الأسعار انخفاضاً كبير ، فصار سعر ضرميسة (١١) تصكو — وهي أكبر ساقية في عين الفرس وأهمها — بمائة مثقال وعشرة إلى عشرين ، وضرميسة تاروط بأربعين مثقال فأقل ، كذلك فقد لجأ التجار وأصحاب رؤوس الأموال إلى تخفيض أسعار بضائعهم من أجل تجميع مافرض عليهم من الغرامات بل أن هناك بعض المواد كسد سوقها ولم يجدوا من يشتريها منهم بأي ثمن . وهكذا فقد كان لحملة عثمان آغا آثارها السيئة على غدامس سياسياً واقتصادياً ، وأفقرت البلاد حتى لم يترك قائد الحملة شيئاً الا أخـــذه عـــدا العين » مااستعرض شيء ، والبلد فرغت من كل شيء ... وربنا يلطف بالعباد ... » .

وقد قام وفد من أهالي البلاد برئاسة الحاج محمد الثني بالسفر إلى طرابلس لمقابلة الوالي ولشرح ظروف البلاد وما آلت اليه من فقر وكساد نتيجة لسياسة عثمان آغا الجائرة وما ارتكبه في حق المواطنين من ظلم وقسوة واستيلاء على الأموال بغير وجه حق وللمطالبة بعزله وتعيين عامل آخر مكانه .

(١٠) عين الفرس : تدين غدامس بوجودها واستمرارها إلى عين الفرس ، وان الامكانيات المائية المحدودة والمهمة جداً التي تعطيها العين كانت لها أهمية بالغة في حياة الواحة ، مما جعل السكان يبتكرون نظاماً فريداً للري ولاستعمالات الماء الأخرى بهدف استغلال كل قطرة ماء من هذا النبع على مدى الأربع والعشرين ساعة . وكان لهذا النظام آثاره الواضحة في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ، وفي علاقات الانتاج وفي الأعراف والقوانين الاجتماعية التي كانت تحكم الواحة وتنظيم العلاقات بين الأفراد والقبائل . وقد ظل هذا النظام قائماً حتى سنوات قليلة خلت عندما جف النبع ، ولم يعد قادراً على ري معظم المساحات التي كان يرويها في السابق ، وعندما دخلت القوانين الوضعية الحديثة لتحل محل القوانين والأعراف الاجتماعية القديمة . وطبقاً لنظام الري هذا فقد كانت عين الفرس مقسمة إلى خمس سواقي هي : تصكو ، طارت ، تنقبيش ، تند فران ، تن جناون ، ومع مرور الوقت توقفت الساقيتان الأخيرتان واستمرت الثلاث سواقي الأولى في العمل .

(١١) ضرميسة : وحدة قياس سواقي عين الفرس وهي وحدة توزيع حصص الماء على المزارع ، وقد ضل هذا النظام معمولا به في غدامس حتى سنة ١٩٧٠ وكان في السابق تتحكم في ثمن ضرميسة الماء في كل ساقية قاعدة العرض والطلب ، وجرت العادة أن يقوم بعض المواطنين ببيع حصصهم من الماء أو جزء منه أو تأجيره لمدة عام يبدأ في شهر مايو من كل سنة بسبب حاجتهم إلى المال أو عدم قدرتهم على زراعة أراضيهم أو ان نصيبهم من الماء يزيد على حاجتهم للزراعة ... الخ .

وتشير رسالة أخرى من محمد بن أحمد بن يوشع إلى الحاج علي بن الحاج محمد بن علي بن يوشع ، مؤرخة في ٢٤ شوال (١٢) ويتكلم فيها أيضاً عن احوال المدينة ، فيؤكد ماجاء في الرسالة الأولى « وإن سألت عن خبر غدامس كيف ماقلنا لك سابق ... الله يصلح الأحوال . الخبر تسمعه من القادمين إليكم ، جاءنا تركي هنا وجور على الناس واشكوا به الغدامسية وعزله الباشا وطلب على الناظر والقاضي واعضاء المجلس ومشوله وما زال ماجاءنا خبر صحيح ، الحاصل غدامس في حالة اللطف » . فيبدو أن مهمة محمد الثني قد كللت بالنجاح وتم عزل عثمان آغا ، وان لم يتم بعد تعيين بديل له ، وربما كان البديل بعد التشاور مع الناظر والقاضي واعضاء المجلس هو بوهوبة الذي يشير اليه روسي وبرنيا بأنه تولى هذا المنصب بصفة نهائية .

الخلاصة : وهكذا ، فإن اعتراف غدامس بالسلطة العثمانية الجديدة لم يتم بمحض الصدفة وانما جاء أولا نتيجة لجهود الوالي محمد الأمين الرامية إلى تحقيق السلم والاستقرار وبسط السيادة العثمانية الجديدة في كل أنحاء البلاد بعد أن قام سلفه بتمهيد السبيل إلى ذلك بالحملات العسكرية التي وجهها ضد عبدالجليل سيف النصر وانتهت بموته ، ومهدت السبيل أمام غومة وعادل للاستسلام والاعتراف بالسيادة العثمانية . وان هذا الاعتراف تمثل في صورة قبول أهالي غدامس دعوة الوالي محمد أمين بارسال وفد لمقابلته في طرابلس ، الاعتراف تمثل في صورة قبول أهالي غدامس دعوة الوالي محمد أمين بارسال وفد لمقابلته في طرابلس ، وإذا كان الوفد قد عاد من طرابلس وبرفقته عامل معين على المدينة ، إلا أن تعرض بعض الجماعات للوفد وقتلهم للعامل المعين قد عقّد الأمور بعض الشيء وأسفر عن ارسال حملة عسكرية بقيادة عثمان آغا الذي طالب الأهالي بدفع مبلغ كبير من المال في وقت كانت البلاد تعاني مشاكل اقتصادية حادة تمثلت في التضخم المالي والكساد التجاري مما زاد في تعميق حدة هذه المشاكل ووضع المدينة على حافة الإفلاس . غير أن جهود الغدامسية لدى الوالي أسفرت عن تخفيف عبء هذه المشاكل ، أولا باقالة ذلك العامل المتجبر ودعوة وفد عال يتكون من الناظر والقاضي وأعضاء الديوان لتدارس الحالة معهم .

(١٢) لايذكر صاحب الرسالة السنة ومن سياق الرسالة يرجح أنها ارسلت في نفس السنة التي ارسلت فيها الرسالة الأولى أي سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م .

وثيقة رقم (١)

رسالة من محمد بن عمر بن عبد الله بن يونس إلى الحاج محمد المانع بن الحاج محمد بن علي بن يوشع *

[الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليماً ... من عبيد ربه تعالى محمد بن عمر بن عبدالله بن محمد بن يونس وعياله واولاده ووالدتك وابنايك إلى حضرة المكرم الأجل الحاج محمد المانع بن الحاج محمد بن علي بن يوشع الف والف سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فان (تفضلت عنا بالسؤال فنحن لاسو ولا سوية وعسى انت ان شاء الله كذلك الله يجمعنا بك في احب الساعات اليه فان سلت عن جميع عيالنا وعيالك كلهم لاسو ولا سوية سوا والدتنا توفات رحمة الله علينا وعليها وزد عندك ولد يوم تسعه في ذي القعدة وسميناه محمد الطاهر ان شاء الله مبروك الله يصلح حال الجميع عققت له فان سلت عن البلاد ربنا يلطف الشعير ستة صيعان بالمثقال والقمح ثلاثة صيعان وبعد تسقيدك من هنا بنحو شهرين شد هذا السعر مابغا يتبدل واما التمر في الصابة صع ونصف باريال ولا بصع والزيت اوصل ستة عشر اريال للربع واليوم الحمد لله رخص شوية ولا سبعة ريالات ونصفا للربع .

وامر البلاد كيف راد الله وقدر وحين قدم الباشا الجديد لطرابلس اطلب على ميعاد غدامس امشوله ميعادين من كل شارع واحد واعمل عليهم قيد حسين مملوك يوسف باشا وظهر من طرابلس هو والميعاد وحين وصلوا إلى بير الكلاب وجدوا فيه اولاد مرصيط قتلوه وبعد ايام جاءوا لغدامس هما والغنايمة ومسخوا بالبلاد وطلبوا مال ياسر على البلاد وطلبوا مال ياسر على البلاد وطلبوا رزق القايد الذي مات يعني قتلوه وحين قتلوه منعوهم الزنتان من رفوعه وجاءوا به لغدامس وسعدوا الناس معاهم بألف ريال ولا يخفى عايلك ركت اولاد مرصيط وقاموا اولاد مرصيط دخلوا لتوفرضة يطلبوا رزق قايد حسين وعبيده منعوهم الزنتان على الدخول وتعاركوا هما واياهم وقتلوا الشيخ محمد الجليدي في وصط توفرضة ونافق الجبل كله وحين سمع الباشا بموت القايد ونفاق الجبل ظهر احمد باشا في محلة اكبير ياسر وجاء للجبل ومات خلق كثير من المحلة وطاب

* لقد حاولنا قدر الامكان نقل نص الوثيقة حرفياً مع مافيه من أخطاء املائية ونحوية ولغوية .

الجبل واسترعا المكان واعطوا مال ياسر وحين سمع باولاد مرصيط في غدامس ابعث جرد لغدامس في طلبهم وحين سمعوا بالجرد ظاهر ركبوا من غدامس وقسدوا سيناونا واتلاقوا هما والجرد في بلد الشعوا وشدوهم وربطوهم وجاءوا بهم لغدامس وهرب منهم ثلاثة من البلاد يعني الشعوا اما اثنين طاحوا في الزنتان شدهم احمد باشا وقتلهم واما واحد نجى في من نجى وحين وصلت الجردة لغدامس صدموا عايه الغدامسيي الكل بني وليد وبني وازيت بالطبــول والبارود والجرد فيها الترك والكوارغلي والعرب قايدها تركي عثمان باشا اغايي وما وصل وقروا الناس جوابته واطلب على غدامس أربعين الف مثقال ذهب وطلبوا منه اللطف]]اعطوا اثنان وعشرين الف مثقال في الفم ويوزن له رومي الذي جابه معه ولا بغي يقبل حتى قيراط بالاقدزي جاب ميزانهم قال هذا ميزان اصطنبول مومني وهو ميزان أكبر من ميزان قابسي المابة مثقال بميزاننا يطيح فيها اثنان وعشرين مثقالا ثلاثة آواق فجرة للمثقال والدورا ريالين وربع بالمثقال والسبيلي اربعة عشر اريال ونصف بالمثقال حلف مايغالط الناس بوزن كيف بغى ويقبض كيف بغى ولا قدر من يتعرض له بشيء ويربط الناس ويعطي العصا والي رابطه يعطي فلوس من مايه محبوب إلى عشرين محبوب والناس الكل خايفة من اجل ذلك وعمر بن الحاج احمد بن عمر والمرتضا بن القاضي ربطهم من غير سوية واعطاهم العصا ياسر حتى مرضوا منها وخسرهم ماية محبوب للواحد وسويتهم طلعوا يبغوا يدفعوا وحين قربوا من بيت القايد وجدوهم بطحوا الحبيب يضربوه رجعوا ولما رأوهم رجعوا نادروهم وشدوهم وعملوا فيهم ماذكر .

والناس فرقت هذا الشيء الربع على الجدار والصيام والديار الثلاثة اربع على المالية وانت تاهمينك بالمال ياسر يعني الجماعة داروا عليك من المالية اربعين مثقال ومن الجدار والديار والصايم ستة مثاقيل من غير حبس اولاد يوشع جملة ستة واربعين مثقالا ودفعناه بالميزان الاقدزي وجدناه بستين مثقالا غير ثلث المثقال ، وحباس اولاد بن يوشع جاء عليه في الفم ١١٢ وحين وزنوا بميزانهم باتوا في ١٥٥ مثقالا ولا لقوا لهم باب حتى باعوا ينفجه انتصكو بماية وخمسين مثقالا خصوهم خمسة مثاقيل كروهم ماء مواجلة حتى وفوا العدد المذكور .

والعقار في ايام المحلة رخص ياسر ضرميسة تصلك بماية مثقال وعشرة إلى عشرين وتاروط من اربعين راجع والملاحف طاحوا بالكل وبالحاج احمد بن عبدالله باع ماية وخمسين ملحفة بخمسين مثقالا اقدزي والحاج محمد بن عبدالله المازيغني باع كذلك ودوروه هذا السوم مالقوه ولو ثلاثة اريالات سبيلي للملحفة والتواني ١٠٠ ورقة من عشرين اريال إلى خمسة عشر الملف اذرع وربع عربي باريال سبيلي بالبصطه واما شوي شوي مالقوا من ياخذه لابالقليل ولا بالكثير ومرجان تد قنطار بماية اريال والوصيف سبوعي ياخذوا عليه ١٢٠ وهذا الشيء مايشروه كان البراني الطرابلسي وغيرهم .

وتو ميعاد غدامس ماشي غدو على صلاح البلاد ربنا يجيب الجميع في الصواب اسي الحاج محمد الثنى واربعه معه يبغوا يشكوا على ماصار في البلاد من هذا النازلة والمسخ الذي صار في البلاد الله يعيننا واياهم على ذلك والتركي مابغى ياخذ كان العين ماستعرض شيء والبلد فرغت من كل شيء تلاقت علينا هذه النازلة وقلت الزرع وقلة الفلوس وقلت هذا ولادة النخلة وقلت المطر ربنا يلطف بالعباد .

فإن سألت عني اعطيت عشرين مثقالا من المالية وخمسة عشر من غيرهم ظلموني ياسر وصفوا ثلاثة واربعين مثقالا اقدري واخيك على داروا عليه خمسين مثقالا من المالي وثلاثة مثاقيل وثلث من غيرهـــم وخوذ على ذلك غاية ماهناك البلاد ربنا يلطف بها واحنا ماعملنا كان على الله وعليكم وحين يوصلوا لكم هذه الجوابات اعملوا لنا تاويل لانضيع بالشر تعرف حال غدامس امصاريف .]

[فان سئلت عن اولاد بن حفصة الحاج محمدكتب لك جواب وابعث لك عديله ملاحف وقال في جوابه مازال لك شي قليل ان شاء الله عام الجاي تاتيك الحسبة وانا ماجاءني جوابه الا بعد القفول قعد عند احمد بن محمد وابن عمه احمد بعث لك عديلة ملاحف وقال لك مثل قـــول بن عمه واقبلهم احمـــدبن محمـــد وارسلهم لك لتوات بذكره انك وصيته على ذلك من توات وانا ماجاءني غير حمل مع بسكوري واما حود مابعث لنا شيء حتى جواب ماريته منه وان شاء الله ياتوك مع اكيار وان سألك عن عبدالرحمن زوبي في أمر الدار جاءني وجاب الوكالة بامر صحيح وخذيت منه وكتبت عليه واخيه البخاري جاءني امس في هذا الضيق واشريت منه ودفعت له واولاد حفش كتبوا وكالة لبلحاج احمد بن عبدالله وعلت لهم الوكالة وبطلتها تو ان الله شاء الله كل

ساعة وفرجها . فان سئلت عن الحاج عومر مشي لتونس وانت وصيت اذا خصنا شي ناخذوه ماخذينا منه شيء ولا بغي يعطينا شيء سوى حق الخلاخل وهو ماحضر هذا المحلة واحنا كلانا المصروف في هذا البلاد من قلة الشيء وقلة البيع والشراء والى مافلس السنا عمره مايفلس فان سئلت عن عثمان مشي لتونس وانت ان شاء الله تكون هاني على امرك في غدامس ماني خير بالك تتحير ولا تشوش على شيء وبلغ سلامنا إلى الحاج عبدالله بن احمد بن بوبكر واحكي له على ذلك وابنك محمد يبكي ياسر على ماتاتانا من المحلة هو وابناء اخوانك عند الحاج محمد الثني وعظم الله الاجر في اخيك الحاج محمد وزاد عند ابنك محمد ولد وولد عند خموا الله يجعلهم مبروكين ان شاء الله

الف والف سلام عليك من محبك على الدوام محمد بن محمد بن زيد وبلغ سلامنا إلى جميع الغدامسي الذين كانوا معك والسلام بتاريخ عشرين في أول الجمادين عام ١٢٥٩

استدراك مبارك ان شاء الله فان سئلت عن غنة ابو بكر بن محمد اطلبني للشرع في تونس وقلت له حتى يعجز القاضي هنا وقاموا جماعة بني درار وغيرهم معه لا اجل كلام الذي قلته في الزاوية حين قاب وكيلي محمد بن عمر يمشي معك وين تبغي وهو وكل لي قاسم بن العباس وتمخزن عيه بعدما وصلت أنا واياه امر ياسر وامشي له كاتب الحروف وبطله واسقط الوكالة وايس واعزم لتونس وانا مابغيت نمشي معه .

وان سلت عن الي توفي سي محمد بن الحاج محمد الوحشي رحمة الله علينا وعليه وولدة الحاج محمد هنبة فاطمة بنت حيد وعايشت بنت محمد بن عثمان ولدت قاسم حماد ومحمد بن عومر البرج وسي محمد بن عبدالله الوحشي وماد له مت بلحج والعر بن حمان بن رجب وان سلت عن الحاج عبدالله بن عبدالواحد وصل إلى تونس ورفقته لخرين خلهم في اسكندري وان ست عن ولد بن حفصة ام الحاج محمد قال ان بعت لعلوق مزاد الاشياء قليل واحد كذلك وتو على كلمهم ماقعد لك شيء عنهم وتو عند لك السلام من اعيالنا خديجة بنت الفقيه قاسم كثير الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف سلام وانا وانه ثم والله مشغلنا شيء كان وحشك ربنا ان شاء الله القيناك في سع سعيدة وارن مانشوف نفسي كان كيف المهبول في غيبتك والله ثم والله من حيشت مشيت ماتغير اولادك ووالدتك مع اعيالك النسا كلهم مسلوبين كلهم لاحتى شيي من سيسي ولا من جمان وانما قعد كيف آش] [وقلت له بلغ سلامنا إلى خديج

وقله له ابن بكر وعومر بخير كيف تبغيهم والله ثم والله ملمنا حيين مايخس كان نظر وجوهكم وكذلك العيال كله وان سلتم عن ولدتك احنا واياها اران بخيرين كيف قبل والاخير والله ثم والله مانشوفه كان كيف ولدتون وهي كذالك وبلغ سلامنا إلى الحاج بركة وقله ابنكم وان برك بخيرين كيف تبغيهم.

وان سألت عن اخيك عثمان من شوال تعارك هو ومرت اخيك الحاج على لوجته وقامت بنتنا ورفعته مع اعيالك حتى اعزم من هون حتى عزم لي تونس عزم عشر في سفر قعد عندهم لخ خمسة اشهر غير عشرة ايام وام من اخيك محمد اكتب لي عثمان وقله قول لي اخنا المانع ان شاء الله نتقابل قاله في ورقته بعث له بن حفصة حمل لغبو ولا ذكرتله شي وسمع لك الكلام ياسر كلام الدون وردتله جواب قلي وقلت له اخيك الحاج المانع اكتب لك السلع الذ عندكم عند الحاج محمد بن حفصه اكتب لي حاج محمد بن حفصه وقله اسلفك على امتاعك ويعطيك امتاعك واخيك الحاج المانع حقيق بعث له حمل من ام تعه ولا قاله شيء على ام نعك وقلت لي اخيك عثمان كذلك واكتب لنا اخيك عثمان قال شديته وانكر لي على هذا كله وارانى امس ابعثله الورقة الذ اكتب.

وان سالت عن أمر زرعا امتاع الغاب اسنا ناقس ياسر لاقسب ولا شعير والماجر عليه ياسر شعير لبشز على ضمين نظ شعير زين وجابله ربي العه وضربته ام ليل كله لابلد ولا مزوز زرعت لك ميات حوض تسكو في بني وزيت وميتين حوض لي بن عبدالوحد وشركتهم جميع على ٦ الحاج عومر ولقيت ٣٦ خديت الي ١٢ يعني الثلث والقصب ماحصل لك كان ٧ والمرمز صح لك ١/٢ ٧ تغير غايت مالقيــت عام اسن ربنا يلطف بل حال وانت رد بالك على روحك وانا والله ثم والله الا زرعت ان وسيد الطهر الوحشا لخ سته ميات حوض في سكر القينا ١٣٠ لغير وانت رد بالك على روحك الدنيا جابت ماعندها وسعد روحك في أمر الدنيا عيت ماهانك ربنا يلطف بالحال ..

وان سألت عن أمر الغنم ماهاكشي جبل كله تعيط من قلة الغنم كلته الزمه كله زز وصلت اهنا ١/٢ ٤ ونعج لحم وصلت اهنا الغفنه ٣٥ راجع والبطان ته يعني نتاف وصلت ١/٢ ٧ لنتاف وامر بنتك اراني ديخ على امرها تبغ الصف ياسر وان اراني معملت كان علي الله وعليك واران ادير غا وتعرف مايعرف والد به ثم مــع ... محمد وصل من

ذهب ١٤ رو ١٨ قيراط وخرواط لولد وصلت والفلوس الذ بعث لوالدتك ١٨ ونخبرك على الفرقات المحل جولكم ٤٠ على الملية وجدار وعلي صايم وديار ٦ غير من انقس ١٦,٥٩ قيراط وهدول فرق على عشرين الف وقراد على الناس الف وغاط النس في ثلثه ماية مثقال وبرنسه ثالثة ماية مثقال يعني العشرة احداش وزدنا على هاد ٧ جملة ذذ و ١٦ قيراط هد حل ادنيا غاية ماهنك ربنا يلطف في كل ١٠٠ مثقال زاد عليه احد عشر مثقال في ميزانه عمن عليك ميزان اقدز ٦٦ و ١٦ قيراط وزاد المون والمصرف خمسة عشر اريالة في ماية مثقال عليك فلوس ١٠١/٤ .]

[وهذا ماعندنا خبرتو والسلام ورحمة الله وتوعد لك سلام من بنات اختك عائشة وفاطمة كثير اسلام وقلت لك والدتك بالك تحر روحك هو لك النس كله مرك من يهن وانت تعرف بالك تقعد اكثر من عام آخر وقلت قبلها والدتك وان سألت عن ابوك اراه بخل ياسر وان منحتهماش اعملو اله تويل وبلغ سلامنا إلى اخينا أحمد بن اكيار وبلغ سلامنا إلى علي بن محمد بن يوشع كثير وبلغ سلامنا إلى احمد بن الحاج ابي بكر وبلغ سلامنا إلى محمد بن بلقاسم بن عبدالله حد كثير وسلم على من اسال عنا .

والسلام المحفوف بالاكرام من محبك في الله فقير ربه عبدالرحمن بن محمد بن عاك قايلا وداعيا لك بتيسير الامور والسلامة من كل الشرور آمين وسلم لي أيضاً على احمد بن الفقيه سي محمد بن كياري ورحمة الله وبركاته ويسلم عليك ابو بكر بن الحاج عمر واخبار البلاد يالطيف ومن قاسم ن محمد ومحمد بن الحاج عبدالحميد الوحشي .

السترك الستدراك المبرك ان شاء الله الذي توفي محمد بن علي بن حمز رحمة الله علينا وعليه وإخت الحاج عمر فاطمة الكبير اعيال حاج ابراهيم الثني وعز لي احمد بن الحاج ابي بكر تريخ يوم لثاني من جمد لخر سنة ١٢٥٩ وتوفي الحاج زيد بن حمد السنون .]

وثيقة رقم (٢)

رسالة من محمد بن أحمد بن يوشع إلى علي بن يوشع

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد .

من محمد بن الحاج احمد بن محمد بن يوشع إلى المكرم الاجل عوض والدنا الحاج علي بن الحاج محمد بن علي بن يوشع بقصد الف سلام عليك وعلى من هو منك واليك ورحمة الله والبركة وان سألت عن ابنائك وعيالك واخواننا وجملة العيال ماعندهم سوا الحمد لله الله يكتب سلامتك وقلت على ابنك محمد له زمان دخلناه للقرآن الله يفتح علينا وعليه وان سألت عن خبر غدامس كيف ماقلنا لكم سابق الله يصلح الاحوال الخبر تسمعه من القادمين اليكم جاءنا تركي هنا وجور على الناس واشتكو به الغدامسية وعزله الباشي وطلب الناظر والقاضي واعضاء المجلس ومشوله وما زال ماجاءنا خبر صحيح الحاصل غدامس في حالت الطف وتبقى بالله عليك بكريم فضلك قل لأخيك الحاج المانع الملحف الذي بعث الحاج محمد الصالح يبعث اوليته حقها آراه زغوالي ومحقوق يبعث لها متاعها بالعجل بعد سلامي عليه والسلام اليكم من محمد بن محمد بن بلقاسم بن يوشع والسلام اليكم من الصالح بن محمد بن علي بن يوشع بتاريخ يوم اربعة وعشرين من شوال

الصفحة الاولى من الوثيقة رقم (١)

تبدأ عند اشارة ([ ) على الصفحة (٣٩) وتنتهي عند اشارة ( ])
على الصفحة (٤٠) من هذه المجلة

الصفحة الثانية من الوثيقة رقم (١)

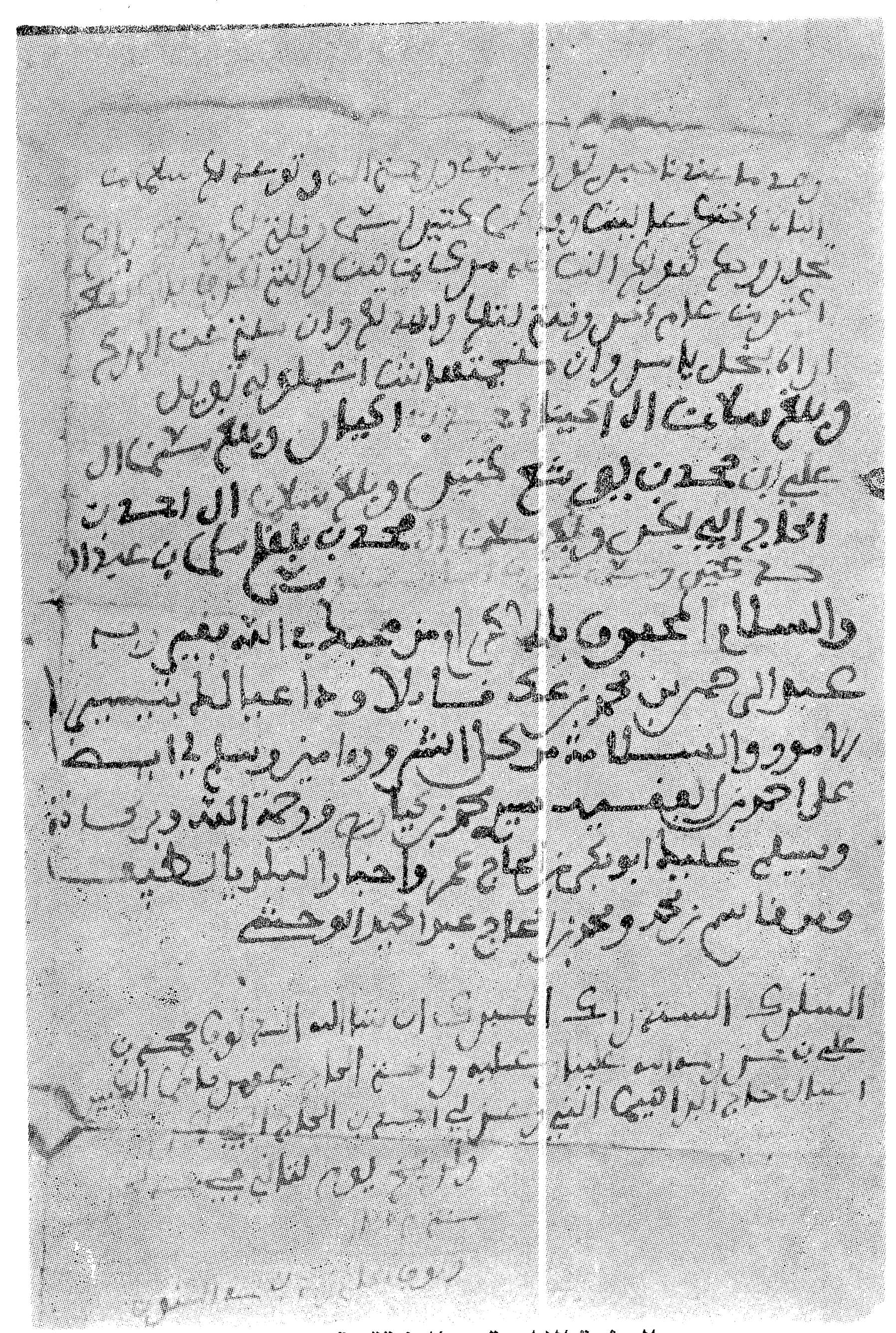
تبدأ عند اشارة ([ ) على الصفحة (٤٠) وتنتهي عند اشارة ( ]) على الصفحة (٤١) من هذه المجلة

الصفحة الثالثة من الوثيقة رقم (١)

تبدأ عند اشارة ([ ) على الصفحة (٤١) وتنتهي عند اشارة ( ]) على الصفحة (٤٢) من هذه المجلة

الصفحة الرابعة من الوثيقة رقم (١)

تبدأ عند اشارة ( ]) على الصفحة (٤٢) وتنتهي عند اشارة ([ ) على الصفحة (٤٤) من هذه المجلة

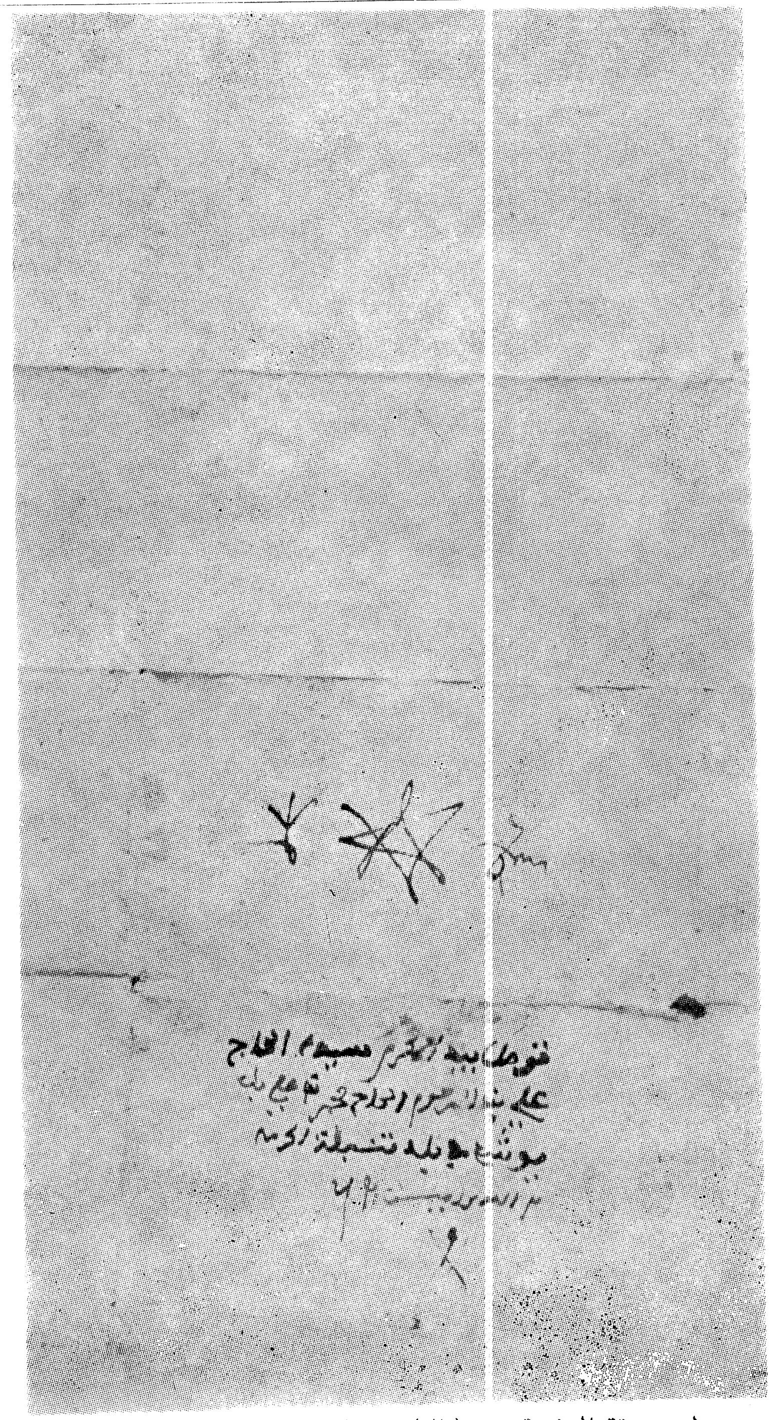


الصفحة الخامسة من الوثيقة رقم (١)

تبدأ عند اشارة ([ ) على الصفحة (٤٤) وتنتهي عند اشارة ( ]) على ذات الصفحة من هذه المجلة

الصفحة الاولى من الوثيقة رقم (٢)

وهي منشورة على الصفحة (٤٥) من هذه المجلة



ظهر ورقة الوثيقة رقم (٢) وقد اعتبرت بمثابة (مغلف)

ليبيا من خلال كتابي اليعقوبي
التاريخ والبلدان في القرن الثالث الهجري

احمد الياس حسين
كلية التربية ـ جامعة الفاتح
طرابلس

اتسمت الكتابات الجغرافية والتاريخية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بقلة المعلومات الواردة فيها عن بلاد المغرب العربي بالقياس إلى المعلومات التي جاءت عن المشرق .

وبالرغم من ذلك فان المادة التي سجلها لنا الجغرافيون والمؤرخون اعطتنا صورة طيبة عن المغرب العربي في القرن الثالث الهجري تمكننا من دراسة جوانب متعددة مثل اخبار الفتوح والاستقرار العربي والأنشطة الاقتصادية والثقافية .

وقد حظيت ليبيا بنصيب وافر مما اورده اولئك الكتّاب ، خاصة اليعقوبي . فاذا قارنا نصوص اليعقوبي بما ورد عند غيره من الجغرافيين مثل ابن خرداذبة وابن الفقيه والخوارزمي وقدامة بن جعفر وابن رسته ، نجد ان المادة التي جمعها اليعقوبي عن ليبيا تفوق كثيراً تلك التي جاءت في كتب أي من هؤلاء المؤلفين . وذلك لأن اولئك الكتّاب عاشوا وألفوا كتبهم بالمشرق العربي فجاءت مادتهم قليلة عن المغرب . أما اليعقوبي فقد زار المغرب العربي وتجول في أطراف الصحراء وأكمل تأليف كتابه « البلدان » في مصر (١) فمكنه ذلك من الاطلاع على أحوال المغرب وجمع مادة كثيرة عنه .

وقد أورد اليعقوبي في كتابيه « التاريخ » و« البلدان » (٢) معلومات تعتبر من أقدم النصوص التاريخية والجغرافية عن المنطقة .

---

(١) N . Levetzion , « Ibn Hawque chaque and Awdghost » *Journal of African History* . Vol . 9 No . 2 . (1948) , foot note No . 5 p . 224 .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، بيروت : دار صادر ١٩٦٠ ج ٢ ص ١٥٦
كتاب البلدان ، الطبعة الملحقة بكتاب ابن رسته ، الاعلاق النفيسة . ليدن / بريل ١٨٩١ . ص ٣٤٢

لم يتعرض اليعقوبي في تاريخه الذي انتهى بحوادث سنة ۲٥۹ هـ إلى الكثير من احداث ليبيا . أما في كتاب البلدان ، الذي أكمل تأليفه بعد كتاب التاريخ ، فقد أكثر من الكلام عن ليبيا متناولا المدن الرئيسية وانشطتها وتوزيع السكان وتتبع الطرق الخارجية التي ربطت ليبيا بالأقطار المجاورة وكذلك الطرق الداخلية التي ربطت بين المدن .

وفي هذا المقال سنتناول ماأورده اليعقوبي عن المسالك في ليبيا بالمقارنة بما كتبه معاصروه . ثم نناقش النصوص التي جاءت عن برقة وفزان وزويلة وطرابلس ونفوسه (۳) .

المسالك : لعبت ليبيا وبالتحديد منطقة برقة دوراً مهماً في تاريخ الهجرات إلى المغرب العربي . فقد تدفقت عبر هذه المنطقة ــ التي تمثل المنفذ الوحيد السهل العبور ــ الهجرات الآتية من الشرق في الفترات التاريخية المختلفة حتى الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي .

عرفت هذه المنطقة طريقين رئيسيين ذكرهما الكتاب العرب احدهما يبدأ من الفسطاط ويمر بالاسكندرية ثم يمر حذو الساحل حتى يصل إلى برقة ويسمى طريق الساحل . والطريق الثاني يمر إلى الجنوب قليلا من الساحل اطلق عليه العرب اسم الطريق الأعلى . ويمر إلى الجنوب من المرتفعات التي تبدأ عند السلوم وتفصل الشريط الساحلي والنواحي الداخلية (٤) باسم الطريق الباطني يبدأ من الواحات المصرية ويصل إلى فزان ويتفرع منه جنوباً إلى بحيرة تشاد وغرباً إلى المغرب العربي .

وقد تعرض اليعقوبي للطريق الأعلى الذي يربط الفسطاط ببرقة ولم يشر إلى الطريق الساحلي . وذكر أن الطريق يخرج من الفسطاط ويتجه غربا مارا بجنوب الاسكندرية

(۳) فيما يتعلق بسكان ليبيا عند اليعقوبي أنظر عبد القادر احمد طليمات ، « **سكان ليبيا عند اليعقوبي** » **ليبيا في التاريخ** . بنغازي : كلية الآداب الجامعة الليبية ، ۱۹٦۸ ، ص ۲۲۸ .

(٤) حسن مؤنس ، « فزان ، دوره في انتشار الاسلام في افريقية » **مجلة كلية الآداب** ، الجامعة الليبية العدد ۳ (۱۹٦۹) ، ص ٦۹ .

حتى يصل إلى العقبة على ساحل البحر المتوسط والعقبة هي السلوم الحالية . (٥) ثم يتجه الطريق نحو الداخل إلى القصر الأبيض ثم قصور الروم ثم وادي مخيل ومنه إلى برقة .

وبالمقارنة مع ماذكره كل من قدامة بن جعفر (٦) وابن خرداذبه (٧) عن هذا الطريق الساحلي يتضح ان اليعقوبي لم يتعرض لكل المحطات كما أنه لم يذكر المسافات بين المحطات التي اوردها .

لكن نص اليعقوبي يوضح أن الطريق يمر بمنطقة مأهولة بالسكان داخل الحدود الليبية . والقصور المشار اليها على الطريق كانت بمثابة مخازن للسلع ومراكز حصينة لحماية التجار من المخاطر . والمركز الرئيسي على الطريق هو وادي مخيل الذي يقع على بعد ثلاثة مراحل عن برقة ، فهو منزل كالمدينة به المسجد الجامع ، وبرك الماء ، واسواق قائمة ، وحصن حصين ، واخلاط من الناس (٨) .

والطريق الثاني — الساحلي — الذي يربط الفسطاط ببرقة ماراً بالعقبة لم يتعرض اليه اليعقوبي بل ذكره قدامة بن جعفر فقط .

والطريق الثالث — طريق الباطن — لم يتعرض اليه اليعقوبي أيضاً كما لم يرد عند قدامة وابن خرداذبة بل اشار اليه ابن الفقيه (٩) دون تفصيل وهو يربط فزان بالواحات المصرية . وقد كان هذا الطريق مسلوكاً حتى منتصف القرن الثالث الهجري « فانقطع بما دار على الرفاق في غير سنة بسافية الريح للرمل على الرفاق حتى هلكت غير رفقة ، فأمر ابو العباس (ابن طولون) بقطع الطريق ومنع أن يخرج عليه أحد » (١٠) .

(٥) نفس المصدر المذكور ، ص ٧٥ .

(٦) قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة . ملحق بكتاب ابن خرداذبة **المسالك والممالك** . ليدن — بريل ، ١٨٨٩ ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤ .

(٧) ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** . ليدن — بريل ، ١٨٨٩ ، ص ٨٥ — ٨٦ .

(٨) اليعقوبي ، البلدان . ص ٣٤٢ .

(٩) ابن الفقيه ، **مختصر كتاب البلدان** . ليدن — بريل ، ١٣٠٢ ص ٧٨ .

(١٠) ابن حوقل ، **صورة الأرض** . بيروت : مكتبة الحياة ، بدون تاريخ ، ص ١٤٤ .

ومن خلال ماذكره اليعقوبي عن الطريق المتجه جنوباً يتضح ارتباط ليبيا المبكر بالسودان عبر زويلة وكوار . وهو الطريق الذي سلكه القائد عقبة بن نافع وهو أيضاً نفس طريق الجرامنت القديم .

وإلى جانب طريق زويلة /كوار يبدو ان منطقة برقة كانت ترتبط أيضاً بطريق جنوبي ربما عبر الكفرة جنوباً نحو حوض بحيرة تشاد . فقد ذكر اليعقوبي (١١) « وما يلي زويلة إلى طريق اوجلة واجدابية قوم يقال لهم لمطة » .. اما اتصالات زويلة شمالا بساحل البحر المتوسط عبر ودان وغدامس — وهي الاتصالات التي أشارت اليها المصادر منذ القرن الرابع الهجري — فلم يتعرض اليها اليعقوبي .

ليبيا الأقسام الداخلية

لوبية : كتب اليعقوبي عن ليبيا من خلال تناوله المناطق الآتية — برقة ، زويلة ، فزان ، نفوسة . وبالرغم من ذكره لاسم لوبية ، لم يحدده تحديداً دقيقاً شأنه في ذلك شأن كل من تعرض له من جغرافي العرب . (١٢) فقد ذكر اليعقوبي لوبية عندما تكلم عن طريق الفسطاط — برقة ، فقال بعد أن انتهى من الاسكندرية « ثم يصير في عمل لوبية وهي كورة تجري مجرى كورة الاسكندرية » .

وكلمة لوبية يعتقد أنها مشتقة من اسم القبائل التي سكنت منطقة الحدود المشتركة بين مصر وليبيا . (١٣) وربما يؤيد ذلك ربط الجغرافيين العرب اسم لوبية دائماً بحدود مصر فقط ، حتى ان الحميري (١٤) ذكر أنها كورة من كور مصر .

واطلق اليونانيون اسم لوبية على المنطقة الواقعة إلى الغرب من مصر ليدل على كل الأراضي التي عرفوها ، فهو على هذا يشمل كل ماكان معروفاً من القارة الافريقية

(١١) اليعقوبي ، **البلدان** . ص ٣٤٥ .

(١٢) انظر ابن الفقيه ، ص ٧ . المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦٦ ، جـ ١ ص ٦٨ .

(١٣) اتوري – روسي ، **ليبيا منذ الفتح العربي** حتى عام ١٩١١ . تعريب خليفة محمد التليسي ، ط ١ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ .

(١٤) الحميرى ، ص ٥١٤ .

غربي مصر جنوباً حتى خط الاستواء . وقد ورد استعمال لفظ ليبيا عند ارسطو في بعض الحالات للدلالة على حدود ليبيا الحالية وذلك مايصفه بـ « ليبيا آمون » (١٥) .

وبالطبع فان الكتاب العرب اخذوا الاسم من اليونانيين ، لكنهم لم يطلقوه على كل المنطقة التي كان يصدق عليها . بل جاء اطلاقه عندهم مبهماً . ربما لأن الاسم لم يكن شائع الاستعمال وقت دخول العرب شمالي افريقية أو لظهور اسماء جديدة مثل افريقية والمغرب ، أو لتعريب ماكان استعماله شائعاً مثل برقة وطرابلس .

منطقة برقة : كانت منطقة برقة تعرف باسم بنتابلس Pentapolis قبل الفتح الاسلامي لشمال افريقية . ويدل الاسم على اتحاد المدن الاغريقية الخمسة وهي توخيرا واسمها الآن توكره (العقوريه) وسيرين او قورينا (شحات) وبرينق التي قامت على انقاضها بنغازي وابولوينا وهي الآن سوسة وبارش واسمها الآن المرج . وقد عرف العرب هذا الاسم — بنتابلس — مع تحريفه إلى انطابلس إلى جانب اسم برقة ، فقد أشار اليعقوبي إلى ذلك بقوله — وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم » .

وتكلم اليعقوبي عن برقة التي تصدق عنده على المدينة والاقليم . فذكر ان عمرو بن العاص فتحها عام ٢١ هـ . (١٦) ولا تبدو حدود اقليم برقة واضحة بنص صريح لكن يفهم ضمناً من كلام اليعقوبي ان المنطقة الواقعة من اول لوبية حتى تاورغاء التي تقع إلى الشرق من طرابلس تابعة لحدود منطقة برقة . ولا يشير اليعقوبي كذلك إلى حدود المنطقة في الجنوب بل ذكر فقط ان ودان تابعة لعمل برقة . اما فزان وزويلة فلم يتعرض لتبعيتهما لبرقة أو خلافها .

ومن المعروف أن منطقة زويلة فتحت عندما كان عمرو بن العاص في برقة ، وصارت جزءاً منها وربما في البداية فقط . فقد بدأت زويلة تحتل مركزاً مرموقاً بعد ذلك ، فكانت مقر الولاة لبعض الوقت قبل تأسيس مدينة القيروان . ثم صارت قاعدة

---

(١٥) عبدالرحمن بدوي ، « ليبيا في مؤلفات ارسطو » **مجلة كلية الآداب** ، الجامعة الليبية (العدد عام ١٩٦٩) صفحات ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤٢ .

(١٦) أورد اليعقوبي ذلك في تاريخه بينما ذكر في « كتاب البلدان ، أنها فتحت عام ٢٣ هـ والرأي السائد هو فتحها عام ٢١ هـ .

لبلاد فزان . ثم تأسست بها امارة مستقلة عام ١٤٤ ﻫ ودخلت ضمن حدود الدولة الرسمية حتى سقوطها في نهاية القرن الثالث الهجري على يد الفاطميين واستقلت بعد ذلك تحت اسرة بني الخطاب . ويتضح من ذلك ان زويلة عاشت مستقلة عن برقة في أغلب الأوقات خاصة في القرن الثالث الهجري .

أما منطقة فزان التي فتحها عقبة بن نافع عام ٤٩ ﻫ ودخل عاصمتها جرمة (١٧) ، ثم تابع فتح قصور المنطقة حتى دخل كوار فيرجح محمد سليمان ايوب (١٨) ان هذه الغزوة لم تكن النهاية لمملكة جرمة ، بل ظلت المملكة قائمة حتى القرن العاشر الميلادي .

ويتضح من ذلك ان حدود منطقة برقة الجنوبية على عهد اليعقوبي لم تكن ممتدة عملياً لتشمل زويلة وفزان ، ولكنه بالرغم من ذلك ذكرها اثناء كلامه عن برقة وكأن امتدادهما الطبيعي يكمل اقليم برقة . ولذلك سنتتبع ماكتبه اليعقوبي عنهما بعد برقة مباشرة

مدينة برقة : الرأي السائد أن مدينة برقة التي جاءت في المؤلفات العربية هي برقة القديمة . وذهب الكثير من المؤرخين إلى أنها كانت تقع في الموضع الذي عليه الآن مدينة المرج على مسافة مائة كيلومتر شرقي بنغازي (١٩) . لكن مراجع الغناي لايوافق على هذا الرأي لعدة أسباب منها : أنه لانوجد آثار حولها تؤكد أنها المدينة القديمة . ولوجود سلسلة الجبال المطلة على المرج والتي تمنع وصول القوافل اليها مما لايسمح لها أن تكون ممراً تجارياً عالمياً . كما ان المدينة التي تأسست منذ قرون كثيرة قبل الميلاد حتى انهارت أخيراً في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومثلت في هذه الفترةالطويلة مركزاً هاماً وتعرضت

(١٧) ذكر اليعقوبي خلافا لاجماع المؤرخين ان عمرو بن العاص وجه بسر فصالح أهل فزان . والمتفق عليه ان بسر لم يتوجه إلى فزان بل ذهب لفتح ودان فقط .
جرمة هي عاصمة الجرامانت الذين كانوا يسيطرون على المنطقة واعتمد اقتصادهم على التجارة عبر الصحراء والاتصال بساحل البحر المتوسط .

(١٨) محمد سليمان ايوب ، جرمة ، من **تاريخ الحضارة الليبية** . طرابلس : دار المصراتي ، ١٩٦٩ ، ص ٢٣٠ .

(١٩) Abdul Hamid Abu Assaid , « Barga , Modern El Merg » **Libya** *Antiqua* . Vol . 111 (1971) p . 121 .

طيلة هذا الوقت للهجرات والحروب ، لم تكن في كل عمرها في مكان واحد ولا بد أن تكون قد بعدت عن المكان الذي قامت عليه اولا (٢٠) .

وتبدو مدينة برقة في وصف اليعقوبي قلعة حصينة على بعد ستة أميال من البحر ، بعيدة عن غارات مراكب الروم ومشرفة في نفس الوقت على الساحل والمنطقة الداخلية لوقوعها على اطراف الصحراء .

ولذلك اكتسبت المدينة كل المميزات التي حببتها إلى العرب . ويطل على جانبي المدينة الشرقي والغربي جبلان (٢١) يزيدان من حصانتهما . وقد تمتعت المدينة بكل وسائل الدفاع المتاحة في ذلك الوقت ، اذ يحيط بها سور عليه أبواب حديدية وحوله خندق . ذكر اليعقوبي ان « الذي أمر ببناء السور المتوكل على الله » (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) .

وبالرغم من ان اليعقوبي لم يتكلم عن ثروات المدينة الزراعية والحيوانية الا أنه ذكر ان المدينة تقع في « مرج واسع » . والمرج كما فسره ابن منظور « أرض واسعة فيها نبت كثير ... ترعى فيها الدواب » . واشار اليعقوبي إلى توفر المياه « وشرب أهلها من ماء الأمطار يأتي من الجبل من اودية إلى برك عظام قد عملتها الخلفاء والامراء لشرب أهل المدينة » .

والمياه متوفرة كذلك في الجبلين على جانبي برقة « وفي هذين الجبلين عيون جارية واشجار وثمار وحصون وآبار للروم قديمة » . فوفرة المياه وخصوبة الأرض ووجود المرعى ، وفرت لها مصادر ثابتة للرزق جعلت البكري يقول عنها « دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمي على مراعيها واكثر ذبائح أهل مصر منها » (٢٢) .

---

(٢٠) مراجع الغناي ، دراسة حول مدينة برقة . بنغازي : مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ ، ٢٢ .

(٢١) ذكر ابن خرداذبة والبكرى ان بين مدينة برقة وبين الجبال ٦ أميال . انظر نص ابن خرداذبة ص ٨٤ ونص البكري ص ٢٩ . نقلا عن ليبيا من كتب الجغرافيا والرحلات . اختيار وتصنيف د . محمد يوسف نجم ود . احسان عباس ، بنغازي : دار النشر ، ١٩٦٨ .

(٢٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩ .

إلى جانب تلك الثروة كانت برقة مركزاً تجارياً هاماً ، فهي « اول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان » . (٢٣) فربطت بذلك بين الشرق والغرب » كما ربطت السودان الغربي والاوسط بحوض البحر المتوسط فازدهرت تجارتها وتوفرت فيها سلع المشرق والمغرب والسودان فصارت منطقة تبادل عالمي . وقد اشار اليعقوبي إلى وجود ميناءين إلى الشمال من برقة هما أجية وطلميثة « وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية بها اسواق ومحارس ومسجد جامع وأجنة ومزارع وثمار كثيرة . وساحل آخر يقال له طلميثة ترسي المراكب به في بعض الأوقات » ولم يشر اليعقوبي صراحة إلى أنهما ميناءان لبرقة الا أن « أبو الفداء » (٢٤) نص على ذلك جاعلا المسافة بين برقة واجية ستة اميال .

ساعد الميناءان وبخاصة أجية على انعاش الحركة التجارية وربط المدينة بحوض البحر المتوسط ، ونشطت المعاملات في الأسواق التي تردد ذكرها كثيراً في برقة وأجية وظهر اثر ذلك على الوضع المالي المربح الذي تمتع به أهل برقة « وكانوا يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن تأتيهم حاث أو مستحث » (٢٥) .

ويبدو ان مدينة برقة قد نمت نموا سريعاً وتوسعت اعمالها وعلاقاتها في عصر اليعقوبي وظهر الاهتمام الكبير من الخلفاء والحكام في العمل على تأمين المواطنين وتوفير وسائل الراحة والعناية بمياه الشرب . وقد بلغ اتساع المدينة من الشرق إلى الغرب (مابين الجبلين) اثنى عشر ميلا . واذا اضفنا الجبلين — وبها الكثير من السكان — إلى المدينة يكون اتساعها اكثر من ذلك . ولا بد وان عدد السكان قد ارتفع كثيراً نتيجة للحركة التجارية النشطة التي دخلتها المدينة .

والتطور الكبير في دخل برقة يتضح من مقارنة الخراج في زمن الفتح بالخراج في عصر هارون الرشيد . فقد ذكر اليعقوبي ان التقدير زمن الفتح » ثلاثة عشر الف دينار » وفي عصر الرشيد « وزع خراج الأرض بأربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة

---

(٢٣) الحميرى ، ص ٩١ .

(٢٤) أبو الفداء ، **تقويم البلدان** . باريس : دار الطباعة السلطانية ، ١٨٦ حاشية رقم ١ ص ١٢٨ .

(٢٥) البلازري ، **فتوح البلدان** . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٢٦ .

شيء معلوم ، سوى الاعشار والصدقات والجوال ومبلغ الاعشار والصدقات والجوال خمسة عشر الف دينار ربما زاد وربما نقص » .

تناول اليعقوبي الكثير من المراكز والمدن التابعة لبرقة وهي وادي مخيل وبرنيق واجدابية وسرت وودان وفصّل فيهما كما يلي :

وادي مخيل : يقع على (الطريق الأعلى) إلى الشرق من برقة بثلاث مراحل (٢٦) عند اليعقوبي وبمائة وثلاثين ميلا عند ابن خرداذبة (٢٧) وقدامة (٢٨) . ويبدو الوادي في وصف اليعقوبي ، منزلا كالمدينة ، وبه عناصر مختلفة من السكان جذبتهم التجارة وطبيعة الوادي في مثل هذه المناطق الصحراوية . ومن المحتمل أن يكون الوادي أكبر مركز على الطريق التجاري شرق مدينة برقة لأنه المحطة الوحيدة التي وقف عندها اليعقوبي بشيء من التفصيل . واليعقوبي يبدي اهتماماً بالمراكز والمدن والأنشطة داخلها اكثر مما فعل معاصروه .

وبالوادي « مسجد جامع وبركة الماء واسواق قائمة وحصن حصين » . ولم يتطرق اليعقوبي لاتصالات الوادي شمالا او جنوبا بل ربطه ببرقة فقط . ولذلك فازدهار هذا المركز بالقرب من برقة لايفسر بأنه ناتج عن كونه محطة لالتقاء الطـــرق بقدر مايعزى إلى طبيعة الوادي التي تشجع على التجمعات حول الماء والمرعى في تلك الفيافي .

برنيق : هو المقابل العربي لكلمة برنيس ، الميناء المشهور منذ العصر الروماني وقد حدد اليعقوبي موقع برنيق بمرحلتين من برقة ومرحلتين من اجدابية ، ولها « ميناء عجيب في (الاتفاق) والجودة تحوز فيه المراكب » على حد تعبيره .

ويشك محمد مصطفى بازامة (٢٩) في أن تكون مدينة برنيق قد ظلت مزدهرة

---

(٢٦) ليس من السهل تقدير المرحلة تقديراً دقيقاً عند الجغرافيين العرب ، فهم أنفسهم قد اختلفوا فيها كثيراً . انظر أحمد الياس حسين « **الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مطلع القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب** » رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٧ الملاحق في ذيل الرسالة .

(٢٧) ابن خرداذبة ، ص ٨٥ .

(٢٨) قدامـــة ، ص ٢٢ .

(٢٩) محمد مصطفى بازامة ، **مدينة بنغازي عبر التاريخ** . بنغازي : دار ليبيا للنشر ، ١٩٦٨ ، جا ص٣١

حتى العصر الاسلامي ويعتقد ان ايعقوبي نقل معلوماته من مصادر قديمة . ويعلل ذلك بعدم تعرض الكتاب العرب لهذه المدينة .

فقد خلت المصادر العربية المعاصرة لليعقوبي من ذكر مدينة برنيق . ولم يتعرض لها بعد ذلك ابن حوقل والبكري و لادريسي وإنما اشار اليها ياقوت (٣٠) قائلاً « مدينة بين الاسكندرية وبرقة على ساحل البحر » .

كما أشار اليها ابن خلدون (٣١) ثلاث مرات ، مرة عندما تكلم عن توزيع القبائل العربية حيث قال : « أما العزة جيرانهم من الشرق فهم موطنون في أرض برقة وتسمى بلادهم برنيق وشيخ هؤلاء العرب ببرقة يعرف بهذا العهد بأبي ذئب » .

وذكرها في المرتين الاخريين عرضاً .. « من البحر المحيط في المغرب إلى برنيق في بلاد برقة » ... « تنتهي إلى قبلة برنيق من أرض برقة » . وتؤيد هذه النصوص ماذكره اليعقوبي من ان البرنيق « اقاليم منسوبة اليها » . فبرنيق تطلق على المنطقة الواقعة شمال برقة على الساحل كما تطلق على الميناء .

ويفهم من نصوص ابن خلدون أن المنطقة الواقعة إلى الشمال من برقة كانت تعرف باسم برنيق حتى عهده ولكنه لم يشر إلى نشاطها من حيث كونها ميناء ، كما لم يشر إلى ذلك ياقوت مما يؤيد رأي محمد مصطفى بازامة في أنها فقدت أهميتها كميناء في العصر الاسلامي .

اجدابية : ذكر اليعقوبي أن مدينة اجدابية تقع إلى الجنوب من الساحل بمقدار ستة اميال وتبعد من برنيق بأربعة مراحل ، ولها ميناء « ترسى فيه المراكب » . وقد وصفها البكري (٣٢) « بأنها مدينة كبيرة في صحراء » .

واجدابية غنية بمواردها التجارية لوقوعها في نهاية طريق أوجلة الاتي من السودان واستقبالها لسلع البحر المتوسط إلى جانب مركزها كمحطة هامة في الطريق العرضي إلى المغرب

(٣٠) انظر ، ابن عبدالحق البغدادي ، **مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع** ، القاهرة : عيسى الحلبي ، ١٩٥٤ ، جـ١ ، ص ١٨٩ .

(٣١) ابن خلدون ، جـ٢ ص ١٧٢ ، ١٩٨ ، ٤٦١ .

(٣٢) انظر ، نجم ، محمد يوسف نجم ، ص ٢٩ .

وقد تهيأت المدينة لخدمة التجارة البرية والبحرية بتوفير سبل الراحة للتجار ، فالمياه العذبة والفواكه والفنادق متوفرة كما ذكر البكري (٣٣) وقد وصف أهلها بأنهم « ذوو يسار » وأسواق المدينة « حافلة مقصودة ... وهي راخية الأسعار » .

سرت : تمثل مدينة سرت كذلك محطة هامة على الطريق الساحلي الداخل إلى المغرب ولم يتكلم عنها اليعقوبي كثيراً بل ذكر فقط موقعها الساحلي على بعد خمسة مراحل من اجدابية .

وقد أسهب ابن حوقل (٣٤) والبكري (٣٥) في وصف مزارع سرت وبساتينها وآبارها العذبة ، ومساجدها وحماماتها واسواقها ، والثروة الحيوانية التي تفوق مالاجدابية وقد أورد البكري قصة عن تجّارها وكيف أنهم يتفقون على كلمة واحدة لتحديد أسعار السلع التي ترد اليهم ولا يشترون الا بالسعر الذي يرتضونه ولو كانوا محتاجين للسلعة .

مراكز الصحراء : مثلت مركز الصحراء « الواحات » محطات استراتيجية طبيعية جعلت من التجارة أمراً ممكناً . فقد قامت بتمويل القوافل بكل احتياجاتها من الماء والطعام للتجار والجمال . وكانت محطات للراحة وتجديد النشاط وساهم سكانها بقسط وافر في عمليات العبور تجّارا وادلاّء .

وقد كان لتلك الواحات دور هام على الطريق الصحراوي العرضي « طريق الباطن » الداخل إلى المغرب . ولكن دورها الأهم والأكبر هو الذي قامت به في التجارة العابرة للصحراء وبخاصة منطقة فزان ، فقد ساهمت في تجارة الصحراء منذ قرون كثيرة قبل الفتح العربي .

ومنذ استقرار المسلمين في الشمال الأفريقي ساهمت منطقتا زويلة وفزان بدور طليعي في الحركة التجارية ، اذ ربطتا حوض بحيرة تشاد ووسط نهر النيجر شمالا . وساهمت الواحات الواقعة بين منطقتي زويلة — فزان وساحل البحر بدور مهم في ذلك النشاط اذ مثلت تلك الواحات حلقة الوصل بين مراكز الساحل ومراكز الصحراء الداخلية .

---

(٣٣) نفس المصدر السابق والصفحة .
(٣٤) ابن حوقل ، ص ٧٠ — ٧١ .
(٣٥) محمد يوسف نجم ، ص ٣٠ .

وقد ذكر البكري (٣٦) الكثير من تلك المراكز التي بدت أسواقها عامرة بالتجارة مثل مدينة سبها ومدينة « هل » ومدينة تاجرفت ومدينة أوجلة . لكن اليعقوبي اشار فقط إلى طريق أوجلة ـ اجدابية وتكلم فقط عن ودان وزويلة وفزان .

ودان : تقع ودان على بعد خمسة مراحل من سرت على الطريق الآتي من زويلة متجهاً إلى الساحل . وقد ذكر ليعقوبي اشتهارها بالبلح وتصديرها لأنواع مختلفة منه إلا أنه لم يشر إلى نشاطها التجاري .

ولكن يفهم مما ذكره ابن خلدون (٣٧) ان حكّام برقة كانوا يولون ودان اهتماما خاصا محافظة على مركزها التجاري . فقد أنهوا تبعيتها إدارياً لسرت وضموها إلى برقة . ولعل السبب في ذلك راجع إلى حدوث بعض التدهور لنشاطها التجاري لأن ابن حوقل ذكر أنه بعد انضمامها لبرقة « غزر ماءها وكثر وزادت الحال في ذلك » .

زويلة : ذكر اليعقوبي نشاط أهل زويلة الكبير في التجارة ودخولهم السودان لهذا الغرض . نشاط زويلة واشتهارها كمحطة رئيسية على الطريق الشرقي الذي يعبر الصحراء إلى حوض بحيرة تشاد ـ حيث قامت مملكة كانم ـ إلى تجميع « اخلاط من أهل خراسان خراسان ومن البصرة والكوفة » للاشتغال بالتجارة .

وإلى جانب موقعها الاستراتيجي على طريق الصحراء تجود ارضها بما يوفر لسكانها المقام الطيب فهي « ارض نخل ومزروع وذرة وغيرها » كما اشتهرت أيضاً بتصدير الجلود التي حملت اسم المدينة لشهرتها فعرفت « بالجلود الزويلية » كما ذكر اليعقوبي .

فزان : اورد اليعقوبي نصا قصيرا عن فزان فذكر الآتي « وجنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وبينهم وبين مزاته حرب لاقح أبداً » .

ويتضح من ذلك أن منطقة فزان بلاد واسعة ولا زالت تحتفظ بالمكانة القوية التي تمتعت بها منذ قرون . والمدينة العظيمة يقصد بها مدينة جرمة عاصمة المنطقة التي كانت من اوائل المدن التي قامت على جهودها تجارة الصحراء .

---

(٣٦) نفس المصدر ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٧٠ .

وقد استند بعض المؤرخين على هذا النص فقالوا بعدم انهيار مملكة الجرمانتين انهيارا كاملا في غزوة عقبة بن نافع وأنها كانت لاتزال محافظة على مكانتها حتى عصر اليعقوبي . ولكن كانت الحرب دائرة بينهم وبين قبيلة مزاتة . ويبدو ان تلك الحروب أسرعت بانهيار المملكة لأن ابن خلدون (٣٨) أشار إلى أن (أسرة بني الخطاب) التي كانت في زويلة انتقلت إلى فزان « وأوطنوها وكان لهم بها ملك ودولة حتى جاء قراقوش وافتتح فزان » .

ادارة منطقة برقة : كانت برقة تابعة إدارياً لمصر وقت دخول المسلمين شمال افريقية إذ كانت تابعة للمقوقس (٣٩) . ويبدو أنها لم تستقر على حال واحدة بعد الفتح الاسلامي لمصر والمغرب خاصة في فترة الاضطرابات الأولى . ويفسر ذلك تضارب آراء الكتّاب في هذا الجانب . فقد ذكر بعضهم أنها كانت تابعة لمصر عام ٤٣ هـ .

وقال البعض الآخر أنها تبعت مصر اول مرة في منتصف القرن الثاني الهجري (٤٠) على حين يرى آخرون أنها كانت تابعة لادارة افريقية حتى عام ١٧٤ هـ (٤١) .

والذي يتضح من ذلك أن إدارة برقة كانت تنتقل بين مصر وافريقية وكانت في بعض الأحيان تتمتع بادارة مستقلة كما يفهم ذلك من اشارة اليعقوبي إلى ان المعتمد ولى « محمد بن هرثمة بن أعين برقة ، فقدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر عام ٢٥٧ هـ . ونفذ إلى برقة . » والمعتمد هو الخليفة العباسي أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل وولايته (**٢٥٦** – ٢٧٩ هـ) .

وفي القرن الثالث الهجري كانت برقة تابعة لمصر كما يتضح من الاشارات التي وردت عند المؤرخين (٤٢) وبخاصة في عصر الدولة الطولونية (٤٣) .

(٣٨) نفس المصدر ، جـ٦ ص ٢١٣ .

(٣٩) نفس المصدر والصفحة .

(٤٠) احسان عباس ، **تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري** . جـ ١ بنغازي : مكتبة الفجر ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥ .

(٤١) الرقيق القيرواني ، **تاريخ افريقية والمغرب** . تحقيق المنجى الكعبي تونس : السقطي ، ١٩٦٨ ، ص ٧٣

(٤٢) نفس المصدر والصفحة .

(٤٣) ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** بيروت : دار صادر ، ١٩٦٥ جـ٦ ص ٥٢١ ، جـ٧ ص ٢٨٣ .

طرابلس : أورد اليعقوبي معلومات قليلة جداً عن طرابلس بالقياس إلى ماجاء عن منطقة برقة . فكل ماذكره عن طرابلس لايتعدى اربعة اسطر من مجموع الصفحات الخمس التي تناول فيها ليبيا في كتاب البلدان . ولا يدل ذلك على عدم أهمية طرابلس في عصره بقدر مايتمشى مع الطابع العام لكتابة اليعقوبي عن ليبيا التي تقل فيها مادته بصورة واضحة عن المنطقة الغربية .

وفسّر البكري (٤٤) كلمة طرابلس بأنها تعني « بالأعجمية الأغريقية ثلاث مدن » والمدن التي قصدها البكري هي صبراته لبدة واويا . وقد عرف هذا الاقليم باسم ــ تريبوليتانيا منذ القرن الثالث الميلادي (٤٥) ، ثم اختصرت الكلمة إلى تريبولي وهو الاسم الذي أتت منه التسمية العربية .

ولم يشر الكتّاب العرب إلى اسم أويا بل اشتهر عندهم اسم طرابلس فقط . الا أن ابن خرداذبة (٤٦) ذكر ان طرابلس يطلق عليها « اياس » بينما أطلق عليها البكري (٤٧) اناس » ويبدو التقارب بين الاسمين كبيراً إلى درجة ترجح أنهما يعنيان الاسم نفسه الذي ربما كان (اناس) و (اياس) ولكن يصعب الربط بينه وبين أويا .

ذكر اليعقوبي ان حدود طرابلس تبدأ من الشرق من «تاورغا » التي تبعد ست مراحل شرقي طرابلس . ولكنه لم يشر إلى حدودها الغربية كما لم يذكر أي مدينة إلى الغرب منها حتى قابس (٤٨) .

وربما دلّ ذلك على ان حدود طرابلس تمتد غرباً إلى قابس ، خاصة اذا وضعنا في الاعتبار ان اليعقوبي يطلق طرابلس على المدينة والمنطقة كما هو الحال بالنسبة لبرقة . ويؤيد ذلك تناول اليعقوبي للساحل الليبي كله تحت قسمين كبيرين هما برقة وطرابلس . وهو التقسيم القديم للمنطقة .

---

(٤٤) محمد يوسف نجم ، مرجع سبق ذكره ص ٣١ .

(٤٥) روسي ، ص ٢٤ .

(٤٦) ابن خرداذبة ، ص ٩١ .

(٤٧) محمد يوسف نجم ، مرجع سبق ذكره ص ٣١ .

(٤٨) لم يتعرض اليعقوبي لصبراته التي فتحها عمرو بن العاص بعد فتح طرابلس .

وتبدو مدينة طرابلس في وصف اليعقوبي « عامرة آهلة واهلها خليط من السكان » فقد تمتعت المدينة بنشاط تجاري قديم منذ القرن الرابع الميلادي حيث صارت عاصمة لاقليم تريبولي . وفي العصر الاسلامي تأكد هذا المركز فقد كانت طرابلس — مثل الاسكندرية وبرقة — من أهم المراكز على ساحل البحر المتوسط شرقي القيروان . وقد اكسبتها شهرتها القديمة سمعة تجارية طيبة وخاصة التعامل مع المناطق الواقعة إلى الجنوب من الصحراء .

نفوسه : ذكر اليعقوبي خضوع نفوسة للدولة الرسمية في تيهرت وأنهم « لا يعطون طاعة الا لرئيس لهم بتاهرت يقال له عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم » وعبدالوهاب هو الامام الثاني للدولة وقد تولى الحكم سنة ١٦٨ هـ .

ويوضح ذلك معلومات اليعقوبي المضطربة عن تلك المنطقة فعبدالوهاب حكم قبل قرن من تأليف اليعقوبي لكتابه .

وكان لنشاط سكان جبل نفوسة التجاري أثره الكبير في انعاش حياتهم الاقتصادية بالاضافة إلى خصوبة أرضهم . وقد أشار اليعقوبي إلى ذلك حين قال « ومنازلهم في جبال اطرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة » .

خلاصة : تعتبر نصوص اليعقوبي في كتابيه التاريخ والبلدان من أقدم الكتابات التي حوت تفاصيل كثيرة عن ليبيا . وقد تركزت هذه النصوص بوضوح على اقليم برقة فقط وجاءت ضعيفة جداً فيما يتعلق بطرابلس والجنوب الليبي ، الأمر الذي يقود إلى الشك في أن اليعقوبي زار المنطقة كما ذهب إلى ذلك بعض الكتّاب . ولم يعط اليعقوبي تفاصيل عن الطرق العرضية الداخلة من الشرق إلى المغرب أو العابرة للصحراء إلى الجنوب .

تناول اليعقوبي ليبيا من خلال منطقتين : منطقة برقة ومنطقة طرابلس، وامتدت برقة إلى تاورغاء — ست مراحل شرق مدينة طرابلس — ولكن حدودها الجنوبية غير واضحة . وفي أغلب الأحيان كانت فزان وزويلة منفصلتين عنها .

واتضح الدور الكبير الذي كانت تلعبه برقة في التجارة ، اذ كانت حلقة الوصل بين تجارة الشرق والغرب من جهة وربط تجارة جنوب الصحراء بالشمال والشرق من

جهة أخرى . كما اتضح الدور الهام لمراكز الصحراء ــ زويلة وفزان ــ على تلك التجارة وانعكاس هذا النشاط التجاري على اقتصاد المنطقة كلها . وقد تبعت منطقة برقة ادارة مصر في بعض الأوقات وفي بعضها الآخر تبعت ادارة افريقية كما تمتعت أيضاً بفترات من الاستقلال .

أما منطقتا طرابلس ونفوسة فلم يورد عنهما الكثير . ويتضح مما ورد مكانة طرابلس الهامة بالنسبة إلى ولاية افريقية ونجاح الولاة والامراء في الحفاظ على طرابلس بعيداً عن سيطرة الرستميين الذين سيطروا على كل المناطق الصحراوية إلى الجنوب منها .

إمارة عربية أندلسية في جزيرة إقريطش "كريت"

(٢١٢ ـ ٣٥٠هـ / ٨٢٨ ـ ٩٦١م)

الدكتور أمين الطيبي

كلية التربية ـ جامعة الفاتح

طرابلس

تمهيد : كانت للعرب السيادة البحرية في البحر المتوسط (بحر الروم / البحر الشامي) في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ، وبفضل هذه السيادة استطاعوا أن ينتزعوا من أيدي الروم البيزنطيين أكبر جزر البحر المتوسط كصقلية واقريطش (كريت) وقبرص (١) . وفي زمن كانت فيه حروب الصوائف والشواتي لاتنقطع في مناطق الثغور بين العرب والروم ، اتخذ العرب هذه الجذر قواعد هامة للتجارة وللاغارة على أراضي الروم . وقد تم فتح جزيرة صقلية البيزنطية على يد عرب افريقية في عهد الاغالبة ، وأما جزيرة اقريطش فقد فتحتها واستقرت فيها جماعة عربية قدمت من الأندلس بعد أن اضطرت إلى النزوح عن موطنها في أعقاب ثورة الربض الشهيرة بقرطبة .

وقد قُدِّر لبعض هؤلاء النازحين الاندلسيين أن ينزلوا على ساحل مصر وان يسيطروا على الاسكندرية ويقيموا فيها إمارة مستقلة لمدة عشر سنوات إلى ان اضطروا من جديد ، وعلى ايدي العباسيين هذه المرة ، إلى الرحيل عن البلاد . وهكذا قُدِّر لهؤلاء الأندلسيين المغامرين أن يفتتحوا جزيرة اقريطش البيزنطية وان يستوطنوها نحو قرن ونصف القرن من الزمن . وقد اتخذوا الجزيرة مركزاً للتجارة وقاعدة لمواصلة الغزو البحري على

---

(١) يتحدث ابن خلدون عن سيادة العرب آنذاك فيقول : « وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرس .... والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، وصارت أساطيلهم فيه جائية ذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الأساطيل » .

انظر عبدالرحمن بن خلدون ، **المقدمة** ، القاهرة ، بدون تاريخ ص ٢٥٤ .

مراكب الروم وأراضيهم في منطقة بحر ايجة ، لا بل إنهم أغاروا على البر اليوناني ذاته واستقروا في بلاد اليونان فترة من الزمن . وقد عُرِف هؤلاء العرب الاندلسيون بالجرأة والاقدام ، ويصفهم الاصطخري بأنهم « أهل غزو » (٢) ويتحدث ابن حوقل عن الجزيرة فيقول إنه « لم يكن للنصرانية فيها مدخل ولا مخرج ، وأهلها في غاية الجهاد » (٣) وقد تعاقب على حكم الجزيرة عشرة من الأمراء من ذرية فاتح الجزيرة أبي حفص عمر بن أبي عيسى ابن شعيب البلوطي ، المعروف بالأقريطشي والأندلسي ، إلى أن استرد الروم البيزنطيون الجزيرة عام ٣٥٠ ه / ٩٦١ م بعد حرب ضروس وحصار طويل لعاصمة الجزيرة « الخندق » دام تسعة شهور لم يَجِدْ اثناءه عرب اقريطش مغيثاً او نصيراً في المشرق او المغرب . ففي مصر ، كانت دولة الاخشيديين تحتضر ، وفي الشام لم يكن للحمدانيين أسطول ، وكانوا في هذه الآونة يكابدون حرباً ضروساً مع الروم ، وكان بوسع العبيديين الفاطميين في أفريقية مدّ يد المساعدة لولا انشغالهم في الصراع الدائر في المغرب مع خلافة قرطبة الأموية ، وانشغالهم كذلك في التصدي للروم في مياه صقلية ، كما ان الفاطميين آنذاك كانوا يخططون لغزو المشرق والقضاء على الخلافة العباسية ، وكانت إقريطش ولاية عباسية .

وما ان استردّ الروم البيزنطيون جزيرة اقريطش حتى عملوا على تنصير مسلميها بالاكراه ، ورحل بعضهم عن الجزيرة إلى الأندلس وصقلية والاسكندرية (٤) .

ثورة أهل الربض ونزوح جمع منهم إلى المشرق : على اثر ثورة اهل الربض الجنوبي بقرطبة على الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ ه ــ ٨١٨ م وقمعها بعنف ، أُنذر الثائرون بوجوب مغادرة الأندلس على الفور ، فتوجّه بعضهم إلى المغرب واستقر في فاس « عدوة الأندلس » ، وأما الباقون ويُقدَّر عددهم بنحو خمسة عشر الفاً ،

---

(٢) ابراهيم بن محمد الاصطخري ، **كتاب المسالك والممالك** ، ليدن ١٩٢٧ ص ٧٠ .

(٣) أبو القاسم بن حوقل ، **صورة الأرض** ، بيروت ، بدون تاريخ ص ، ص ١٨٤ .

(٤) عبدالواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب** ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢١ ، وانظر محمد ابن احمد بن جبير ، **رحلة ابن جبير** . بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٢٨٠ .

دون النساء والأطفال (٥) ، فقد نزحوا إلى المشرق في ٢٠ رمضان سنة ٢٠٢ هـ — ١ ابريل ٨١٨ م بطريق البحر « حتى انتهوا إلى الاسكندرية وذلك في اول ولاية المأمون ، فعازّهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ... وملكوا الاسكندرية مُديدةً إلى ان ورد عبدالله بن طاهر أميراً على مصر من قِبَل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مال بذله لهم وخيّرهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي » (٦) .

ويعتقد أن هؤلاء الأندلسيين أقاموا بعض الوقت في الأندلس والمغرب ، ولم يصلوا إلى مصر الا بعد ثماني سنوات من وقعة الربض ، وبعد أن زوّدهم امير قرطبة بالمراكب اللازمة لتمكينهم من التوجه إلى المشرق ، كما أنهم قبل التوجه إلى مصر زاولوا الغزو البحري ضد مراكب النصارى في غربي البحر المتوسط (٧) .

وكانت الظروف في مصر مواتية ، اذ كان قد انتزى في الفسطاط على الخليفة المأمون الوالي عبدالله بن السري فانتهز الأندلسيون الفرصة ونزلوا إلى البر قرب الاسكندرية وتحالفوا بادىء الأمر مع احدى القبائل العربية المجاورة للمدينة ، ثم تمكنوا من السيطرة على الاسكندرية ، حيث اقاموا إمارة مستقلة ظلت قائمة نحواً من عشر سنوات . وكما يقول ابن الابار ، فان هؤلاء الأندلسيين كانوا ذوي أنفة يأبون الضيم ، ويقال « إنه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا الا وتغلبوا عليها واستوطنوها » (٨) . وكان زعيمهم ابو حفص عمر بن شعيب البلوطي المعروف بابن الغليظ من اهل قرية بطروش من فحص البلوط المجاور لقرطبة « ولأهله جلادة وحزم على مكافحة اعدائهم » (٩) .

---

(٥) محمد بن عبد الله بن الأبار ، **الحلة السيراء** . ج١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤٥ .
وانظر أيضاً ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** تحقيق شوقي ضيف ج ١ القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٤٢ .

(٦) ابن الأبار ، ص ٤٥ .

(٧) S . M . Imamuddin , « Cordovan Muslim Rule in Iqritish (Crete) *Journal of the Pakistan Historical Society* , Vol . VIII (1960) , p . 300 .

(٨) أبو العباس بن عذاري ، **البيان المغرب** . بيروت ، ١٩٥٠ ، ج ٢ ص ١١٥ .

(٩) ابن عبدالمنعم الحميري ، **الروض المعطار في خبر الاقطار** ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٩٣ .

ولما وصل عبد الله بن طاهر بن الحسين الوالي الجديد على مصر من قبل المأمون وقضى على ثورة ابن السري في الفسطاط ، توجه إلى الاسكندرية وحاصرها بضعة أيام أو تسعة شهور حسب رواية ميخائيل السرياني (١٠) ، فسأله الأندلسيون الأمان على أن يرتحلوا إلى بعض أرض الروم ، فأعطاهم الأمان (١١) . الا أنه يبدو من عبارة ابن الابار « فصالحهم على التخلي عنها » (الاسكندرية) على مال بذله لهم » ، وعبارة ابن خلدون « وبعثهم إلى اقريطش » وعبارة المقرّي « أجازهم إلى اقريطش » (١٢) ان هؤلاء الأندلسيين استسلموا بشروط ، منها تأمينهم وتقديم العون المالي لهم وكذلك تزويدهم بالمراكب لغزو جزيرة اقريطش البيزنطية . وبذلك تسنّى للوالي العباسي التخلص منهم ودفعهم إلى مناهضة الروم اعداء الدولة العباسية ، ولعله أخذ عهداً عليهم باعلان ولائهم للخليفة العباسي في الجزيرة ، إذ ما أن افتتحوا جزيرة اقريطش حتى أعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي ، كما تدل على ذلك المصادر الكتابية والعملة . فقد عُثر على فلس في جزيرة كريت نُقش على وجهه اسم الفاتح أبي حفص ، وعلى ظهره اسم الخليفة العباسي المتوكل على الله (١٣) .

وثمة تباين في الآراء بشأن السنة التي خرج فيها الأندلسيون من الاسكندرية وافتتحوا جزيرة اقريطش ، وقد تناول هذا الموضوع باسهاب ي . بروكس E . Brooks في بحث نشره بعنوان : احتلال العرب لجزيرة كريت « *The Arab Occupation of Crete* » معتمداً على المصادر العربيـة والبيزنطيـة المتوفـرة . فحسبما يذكـره اليعقوبي والكندي ، كان سقوط الاسكندرية في يد الوالي العباسي في ربيع اول سنة ٢١٢ هـ مايو – يونيو ٨٢٧م . ويضيف المؤرخ ميخائيل السرياني بأن الأندلسيين في الاسكندرية

---

(١٠) E . Brooks , « The Arab Occupation of Crete » , *English Historical Review* , XXVIII , (1913) . p . 432 .

(١١) محمد بن جرير الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك** . بيروت ، بدون تاريخ ، القسم الثالث ص ١٠٩٢ وانظر أيضاً عز الدين علي بن الأثير ، **الكامل في التاريخ** . بيروت ، ١٩٧٨ ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ .

(١٢) ابن الأبار ، ص ٤٥ . وانظر ، ابو العباس احمد المقري ، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ جـ١ ، ص ٣١٨ ، وانظر ، عبدالرحمن بن خلدون ، كتاب العبر . بيروت ، ١٩٥٨ ، جـ٤ ص ٢٧٤ .

(١٣) G. C. Miles , *The Coinage of the arab Amirs of Crete* , New York , 1970 . p . 21 .

صمدوا للحصار تسعة شهور ، وعليه فان سقوط المدينة كان في شهر ديسمبر سنة ٨٢٧ م ويخلص بروكس إلى القول بأن العرب الأندلسيين خرجوا من الاسكندرية بعد سقوطها وافتتحوا جزيرة كريت في اواخر سنة ٢١٢ هـ / اوائل سنة ٨٢٨ م (١٤).

وجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بأخبار فتح العرب للجزيرة ، فاننا نعتمد كلية على المصادر البيزنطية ، اذ لاتذكر المصادر العربية شيئاً عن أخبار الفتح ، باستثناء البلاذري الذي أورد ثلاث عبارات مقتضبة عن الفتح اقتبسها عنه ياقوت « وهي غزاها (اقريطش) في خلافة المأمون ابو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالاقريطشي ، فافتتح منها حصناً واحداً ونزله ، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحداً ، وخرّب حصونهم » (١٥). ومما هو جدير بالذكر كذلك ان قصة أهل الربض ووصولهم إلى الاسكندرية ثم افتتاحهم لجزيرة كريت لايذكرها الا المؤرخون العرب ، واما المؤرخون البيزنطيون فلا يذكرون مصر ، ويبدو أنهم حسبوا ان الفاتحين العرب جاؤوا من الأندلس (١٦).

اقريطش في مصنّفات الجغرافيين العرب : عُرفت جزيرة كريت عند الجغرافيين باسم إقريطش (بفتح الهمزة وتُكسر) (١٧). وقد تحدث الجغرافيون العرب عن موقع الجزيرة ومساحتها وخيراتها وكثرة مراسيها . فالأصطخري يقول إن إقريطش دون قبرص مساحة وعمارة (١٨). وعن موقعها يقول المراكُشي إنها مقابلة « لبر برقة أول المغرب » (١٩) أما ياقوت فيقول إنه « يقابلها من برّ افريقية لوبيا ، وهي جزيرة كبيرة

(١٤) Brooks , p . 432 .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، وانظر أيضاً ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** . بيروت ، ١٩٧٧ ، ج ١ ص ٢٣٦ .

(١٦) Brooks , p . 431 .

(١٧) الحموي ج ١ ، ص ٢٣٦ ، وثمة مخدر ينعت بالأقريطشي بفتح الهمزة أوكسرها ، وقد تستعمل الكلمة مرادفاً للبنج ، أنظر مادة أقريطشي

R . Dozy , *Supplement auwx dictionnaires arabes* Leiden 1881 , Vo . 1 , p . 30 , S . V .

(١٨) الاصطخري ، ص ٧٠ .

(١٩) المراكشي ، ص ٢١ .

فيها مدن وقرى » . (٢٠) . ويقول ابن خلدون إن إقريطش « من جزر البحر الرومي مابين صقلية وقبرص في مقابلة الاسكندرية » . (٢١) ويذكر الحميري ان الجزيرة تسمى أيضاً اقريطش البتربلش (وترجمتــه مائة مدينة ، وكذلك كان بها مائة مدينة » . (٢٢) ويعلق كنارد على التسمية بتريلش بأنها تحريف لاســم الجــزيرة اليوناني القـــديم Hekatompolis (٢٣) .

والجزيرة كثيرة الكروم والأشجار ، فيها معدن (منجم) ذهب ، وفي جبالها وعول كثيرة وهي كثيرة المعز (٢٤) . وتستورد الجزيرة زيت الزيتون من افريقية والاندلس ، ويصاد سمك التونة في مياهها ويصدر بعد تجفيفه . ويضيف الزهري ان اقريطش تصدر الانتيمون والمصطكي والمكسرات والرمان والجبن (٢٥) . وتصدر الجزيرة إلى مصر العسل والجبن (٢٦) .

ويتحدث الجغرافيون العرب عن أعشابها الطبية فيذكر الزهري عشباً طبياً لايوجد الا في اقريطش وفي الهند ، وهو ينمو كطفيليات على نبات الزعتر ، ولعله الانتيمون الذي يذكره الحميري ويصفه بأنه لامثيل له ، والذي يقول عنه القلقشندي إنه يُستعمل في الأدوية (٢٧) .

ويزعم صاحب « الصلة لتاريخ ثيوفانيس » أن فاتح الجزيرة أبا حفص أشاد بوفرة اللبن والشَهْد في الجزيرة لكي يَثْني أتباعه عن التفكير في مبارحة الجزيرة بعد نزولهم إلى البر فيها (٢٨) .

---

(٢٠) الحموي ، جا ص ٢٣٦ .

(٢١) ابن خلدون ، **العبر** ، ج٤ ، ص ٤٥١ .

(٢٢) الحميري ، ص ٥١ .

(٢٣) *Encyclopcedia of Islam* . New Edition (EI 2) , Leiden — London , Vol . III (1971) S . V . Ikritish , by M . Canard , p . 1082 .

(٢٤) الحميري ، ص ٥١ .

(٢٥) *E I2* , Vol . III , p . 1082

(٢٦) أبو العباس احمد القلقشدي ، **صبح الأعشى في صناعة الانشا** . القاهرة ، ١٩٦٣ ج٥ ص ٣٧١ .

(٢٧) ET , Vol . III , p . 1082 . الحميري ، ص ٥١ ، القلقشندي ص ٣٧٢.

(٢٨) *EI2* , III . p . 1082

وفضلا عن خصب الجزيرة وغلاتها ، فانها كانت مركز آتجارياً هاماً « كثيرة الخير والمير والتجارة ، والوارد منها والصادر اليها رائج » (٢٩) .

افتتاح إقريطش وإمارة أبي حفص عمر بن شُعيب : في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، وله الفضل في انشاء اول اسطول عربي ، غزا العرب جزيرة اقريطش لأول مرة سنة ٥٤ ﻫ / ٣ — ٦٧٤ م ، ثم غزوا الجزيرة في خلافة الوليد بن عبد الملك وفي خلافة هارون الرشيد (٣٠) ، الا أن هذه الغزوات كانت بمثابة غارات على قواعد الروم وللظفر بالغنائم .

أما افتتاح الجزيرة وبغرض الاستيطان ، فقد كان في اواخر سنة ٢١٢ ﻫ / أوائل ٨٢٨ م على يد العرب الأندلسيين القادمين من الاسكندرية بقيادة ابي حفص عمر بن شعيْب الذي تسمِّيه المصادر البيزنطية Apochapsa , Apocapso . وتقول المصادر البيزنطية إن هؤلاء الأندلسيين سبق أن اغاروا على الجزيرة قبل افتتاحها (٣١) ، ويبدو أن غارتهم الأولى كانت غارة استطلاعية تمهيدية .

كانت اقريطش آنذاك تابعة للامبراطورية البيزنطية ، التي كانت في تلك الفترة تعاني من متاعب داخلية وخارجية أوهنتها وفتّت في عضدها . فقد انهكتْها الحرب الأهلية التي تزعمها الثائر المطالب بالعرش توماس ، كما كانت الامبراطورية تعاني من منازعات مذهبية حادة نتيجة لقيام حركة مناهضة الأيقونات أو الصور ، وهي الحركة التي كان يناصرها أباطرة الأسرة الفريجية الحاكمة آنذاك . أضف إلى ذلك ان الامبراطورية كانت تواجه حملة عرب افريقية على صقلية وغاراتهم على ممتلكات البيزنطيين في جنوب ايطاليا .

ثم انه يبدو ان عناية البيزنطيين بالاسطول قد قلّتْ منذ سقوط الدولة الاموية في المشرق ، وأدى ذلك إلى عواقبَ وخيمةٍ منها فقدان البيزنطيين لجزيرتي اقريطش

---

(٢٩) ابن حوقل ، ص ١٨٤ .

(٣٠) الحموي ، جا ، ص ٢٣٦ .

(٣١) *EI*2 III , p . 1802

وصقلية في آن واحد تقريباً (٣٢) . وعلى ذلك فيبدو أن اقريطش كانت خالية من الحاميات العسكرية ، يؤيد ذلك قول ابن الابار ان الجزيرة « كانت يومئذ خالية من الروم » (٣٣) . كما أن الأهالي كانوا على غير المذهب الديني الرسمي المناهض للايقونات ، وكانوا يعانون من سوء الإدارة البيزنطية ، ولذلك فانهم لم يُبدوا مقاومة للفاتحين العرب . هذا وقد جاء الأندلسيون وقد وطنوا أنفسهم على افتتاح الجزيرة والاستقرار فيها بعد نزوحهم عن قرطبة اولا ثم عن الاسكندرية بعد ذلك .

وكما ذكرنا من قبل ، فان تفاصيل أخبار الفتح وصلتنا في معظمها عن طريق المؤرخين البيزنطيين ، والبلاذري هو الوحيد بين المؤرخين العرب الذي أشار إلى افتتاح الجزيرة وفي غاية الايجاز . وتقول المصادر البيزنطية إن العرب الأندلسيين وصلوا إلى اقريطش في عهد الامبراطور ميخائيل الثاني (حكم ٨٢٠ – ٨٢٩ م) على ظهر اربعين مركبا ، وانهم نزلوا إلى البر عند رأس Charax ، وعلى رأسهم ابو حفص Apocapso وشيدوا في مكان نزولهم على ساحل الجزيرة الشمالي حصناً حفروا حوله خندقاً عميقاً ، ومنه اشتقّ اسم المدينة التي قامت حول الحصن فيما بعد ، وهي مدينة « الخندق » ، ومن الاسم العربي للمدينة اشتُقّ اسمها اليوناني Chandax وكذلك الاسم كانديا Candia الذي عرفت به المدينة أيام حكم البنادقة ثم الأتراك العثمانيين للجزيرة ، وهو الاسم الذي ظل مستعملاً حتى مطلع القرن العشرين ، حينما استُبدل باسم المدينة الحالي Herakleion . ومن الخندق أخذ العرب يُغيرون على اطراف الجزيرة ودواخلها ، وعلى حد قول البلاذري لم يزل أبو حفص « يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يُبق فيها من الروم احداً وخرّب حصونهم » (٣٤) . وتذكر المصادر البيزنطية أن ابا حفص أحرق المراكب وأطرى ثروة الجزيرة حاثاً اتباعه على البقاء فيها . ويُروى أنه خاطبهم قائلا : « فيمَ شكواكم ؟ لقد حملتُكم إلى أرض تفيض باللبن والشهد . هذه ارضكم الحقه ، فاستريحوا وانسوا اوطانكم المجدبة » . قالوا : « واولادنا ؟ » فأجابهم : « سوف تؤدي

(٣٢) G . Ostrogorsky , *The History of the Byzantine State*, Oxford , 1968 , p . 206.

(٣٣) ابن الأبار ، ص ٤٥ ، ابن سعيد ، **المغرب** جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٣٤) الحموي ، جـ١ ص ٢٣٦ .

الأسيرات الحِسان لكم وظائفَ الزوجات ، ومن ثم تصبحون آباء جيل جديد » (٣٥) . وكما يعلق كنارد ، فان الرواية تبدو مستبعدة واسطورةً من نسج خيال الكتّاب البيزنطيين ، اذ أن الأندلسيين كانوا قد اصطحبوا عائلاتهم معهم . ويفترض أماري ان العرب احرقوا بعض مراكبهم المعطوبة ، ولعل ذلك كان مصدر الرواية البيزنطية (٣٦)

ويذكر ابن حزم القرطبي ان أكثر المفتتحين لجزيرة اقريطش كانوا من أهل الأندلس (٣٧) الذين ما ان فرغوا من افتتاح الجزيرة حتى دعوا المسلمين من الشام وافريقية والأندلس للاستيطان فيها . ويقول ابن الأبار إن الجزيرة كانت « يومئذ خالية من الروم ، فاحتمل [الأندلسيون] اليها بفتنتهم ، ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم » (٣٨) .

وقد عمل أول ولاتها أبو حفص على النهوض باقتصاد الجزيرة وقسّمها اداريا إلى اربعين كورةً او اقليماً . ولم يسمح للأجانب بالابحار او الاتجار في منطقة بحر ايجة مالم يؤدوا له ضريبة مُسْبَقة (٣٩) .

وما ان استقر ابو حفص وقومه في الجزيرة حتى أقام إمارة مستقلة مع الاعتراف بسيادة الخليفة العباسي في بغداد ، كما كان امراء الاغالبة قد فعلوا في افريقية قبيل ذلك . ولعل ذلك كان بموجب اتفاق مسبق مع والي مصر عبدالله بن طاهر ابن الحسين . ومن ذرية أبي حفص تعاقب على حكم إقريطش عشرة امراء نحواً من قرن ونصف قرن من الزمن .

وقد اتخذ العرب من الجزيرة مركزاً للتجارة وللغزو البحري ضد مراكب الروم

---

(٣٥) محمد عبدالله عنان ، **مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام** . القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٨٦ .

(٣٦) *EI*2 , III , p . 1083

(٣٧) المقري ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(٣٨) ابن الأبار ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٣٩) Imamuddin , p . 304 — 5 .

وأراضيهم وجزرهم في منطقة بحر ايجة (٤٠) . واصبحت اقريطش شوكة مؤلمة في جنب الروم ، واصبحت عاصمتها الخندق مأوى لغزاة البحر المسلمين ، اذ منها ، ومن طرسوس وطرابلس الشام ، كان غزاة البحر ينتشرون في مياه بحر ايجة فيغنمون المراكب وينقضون على الجزر ، وفرّ سكانها وسكان سواحل بحر ايجة إلى الداخل (٤١) . وتُعتبر اقريطش من اهم القواعد الاستراتيجية في شرقي البحر المتوسط ، وعبثاً حاول الامبراطور ميخائيل الثاني ومن جاء بعده استردادها . ويقول أومان إن موانيء الجزيرة المائة « اصبحت اوكاراً للقراصنة لاعدّ لهم باتوا وبالاً على التجارة في الشرق ، كما شكّلوا خطراً كبيراً على الامبراطورية » (٤٢) . وفي نفس السنة التي افتتحوا فيها الجزيرة ، أغار عرب اقريطش على جزيرة إيجينا فهجرها أهلها لكثرة الغارات عليها (٤٣) وفي سنة ٢١٤ﻫ ٨٢٩ م ، دمّر العرب اسطولا بيزنطيا قرب جزيرة تاسوس Thasos وعاثوا بمنطقة جبل أثوس Athos شرقي سلانيك ، واغاروا على سواحل آسيا الصغرى الغربية (٤٤) . ولعل عرب اقريطش ساهموا كذلك في افتتاح جزيرة صقلية ، إذا ماأخذنا بوجهة نظر أماري الذي يرى ان الأندلسيين الذين قدموا لنجدة أسد بن الفرات جاءوا من جزيرة اقريطش ، وهو في رأيه هذا يستند إلى عبارة ابن عذاري الذي يقول ضمن أحداث سنة ٢١٢ ﻫ عند الحديث عن محاصرة اسد بن الفرات لمدينة سرقوسة براً وبحراً « وجاءته الأمداد من افريقية والأندلس وغيرهما » (٤٥) .

---

(٤٠) يشير اليهم الكتاب الغربيون اسم (القرصان) ، ونؤثر أن نسميهم (غزاة البحر) ، إذ أنهم مارسوا الغزو البحري ضد مراكب وأراضي أعدائهم الروم ، وهو ضرب من الجهاد المشروع في وقت كانت فيه الحروب قائمة بين المسلمين والروم ، ولا نسمع عن غارات لهم على مراكب أو أراضي المسلمين . وجدير بالملاحظة ان كلمة (قرصان) دخيلة على اللغة العربية ومأخوذة عن الكلمة الايطالية (Corsal) ، وترد الكلمة أحياناً بلفظها الايطالي (قرصال Corsale) . أنظر تحت كلمتي (قرصال) و (كرسالي) في : Dozy , Supplèment , II , pp . 337 , 464 .

(٤١) أسد رستم ، **الروم وصلاتهم بالعرب** . بيروت ، ١٩٥٦ الجزء الثاني ، ص ١٩ .

(٤٢) C . W . C . Oman *The Byzantine Empire* , London , 1892 , p . 208

(٤٣) Imamuddin , p . 306

(٤٤) *EI*2 , III , p . 1083

(٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٢ .
A . Ahmad , A . *History of Islamic Sicily* , Edinburgh , 1975 , pp 7–8 . *EI*2 , III , P .1083

وفي هذه الظروف السيئة التي احاطت بالامبراطورية البيزنطية ، بعث الامبراطور ثيوفيل في سنة ٢٢٥ هـ ـ ٣٩ ـ ٨٤٠ م بسفارة إلى امير قرطبة الاموي عبدالرحمن الثاني (الأوسط) للاستعانة به ضد امراء الأغالبة في القيروان لغزوهم صقلية ، وضد العرب الاندلسيين لغزوهم جزيرة إقريطش ، وهما من اتباع العباسيين اعداء بني امية ، كما ذكّر الامبراطور اميرَ قرطبة بأن العباسيين كانوا قد اغتصبوا الخلافة من ايدي بني امية الخلفاء الشرعيين . ومن الجدير بالذكر ان الدولة البيزنطية كانت في تلك الآونة تواجه أخطاراً كبيرة ، فالخليفة العباسي المعتصم ، وقد تخلّص من بابك الخرّمي وفتنته ، توغل غازياً في آسيا الصغرى على رأس جيش لجِب ، وفتح مدينة عمّورية (٨٣٨ م) ، كما أن اقريطش وصقلية البيزنطيتين افتُتحتا على ايدي العرب الموالين للعباسيين . وقد احتفظ لنا المؤرخ القرطبي ابو مروان بن حيّان بنص رد الأمير عبدالرحمن الثاني على كتاب ثيوفيل ، ومنه يتبين أن امير قرطبة كان شديد التحفظ ، ولم يلتزم بشيء تجاه الامبراطور البيزنطي . وقد تضمّن رد الأمير الفقرةَ التالية بشأن الأندلسيين الذين استولوا على جزيرة إقريطش : « وأما ماذكرتَ من امر ابي حفص الأندلسي ومن صار معه من اهل بلدنا في خضوعهم لابن ماردة (المأمون) ودخولهم في طاعته ، وما سألتَ من النظر في أمورهم والانكار لفعلهم ، فانه لم ينزع اليه منهم الا سفلتُهم وسوادُهم وفسقتُهم وأبّاقهم ، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤنتهم ، وانما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة لمأمنهم من بلاده ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ... وأن الله بحوله وقوته وفضله ومنّته ردّ الينا سلطاننا بالمشرق ، وما كان تحت ايدي آبائنا منه ، نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذي يكون من معونتك على مادعوتَ اليه ، وحضضتَ عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ... » (٤٦)

نفر من علماء إقريطش وصلات الجزيرة بالخارج : ان المعلومات التي وصلتنا عن التاريخ الداخلي لجزيرة اقريطش في فترة الحكم العربي للجزيرة ضئيلة جداً ، ولعل ذلك يرجع إلى انقطاع الجزيرة وعزلتها ، ثم إلى كون الروم بعد استردادهم للجزيرة

(٤٦) ليفي – بروفنسال ، أ . ، **الاسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة محمود عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي . القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ .

بادروا إلى تنصير أهلها قسراً وإلى تدمير مساجدها أو تحويلها إلى كنائس وحرق المصاحف والكتب (٤٧) ، اذ إن نيقوفور فوقاس الذي قاد الحملة التي استردّ بها الروم الجزيرة عام ٣٥٠ هـ ـ ٩٦١ م كان صليبيّ النزعة شديد التعصب ضد الاسلام والمسلمين ، وكان ـ كما تصفه المصادر البيزنطية المعاصرة ـ جندياً وراهباً في آن واحد ، وقد آلى على نفسه بأن يكرّس حياته لمحاربة المسلمين واسترداد جميع ماسبق أن استولوا عليه من أراضي الدولة البيزنطية .

ومع ذلك ، فإن النُتَف الواردة عن اعلام المسلمين في اقريطش في كتب التراجم ومعاجم البلدان تبيّن أن الجزيرة احتفظتْ دوماً بصلات اقتصادية وثقافية وثيقة مع الاندلس الوطن الام طوال فترة الحكم الاسلامي فيها ، وكانت عاصمتها الخندق مركزاً فكرياً ساطعاً (٤٨) . كما قام مسلمو اقريطش علاقاتٍ وديةً مع الشام ومصر وافريقية ، ودعوا المسلمين إلى الاستيطان في الجزيرة (٤٩) .

ويذكر كل من ياقوت والحميري اسماء علماء من اقريطش من اصل اندلسي يحملون النسب الاقريطشي . ويقول الحميري إنه كان باقريطش « علماء جلّة من الاندلسيين » (٥٠) . وجدير بالذكر أن الفقهاء كانوا قد لعبوا دوْراً مهماً في قيام اهل ربض قرطبة على الأمير الحكم بن هشام لاستهتاره بأمور الدين ، وقد خرج العديد منهم في جملة من خرج من فلّ الربضيين من قرطبة ونزحوا إلى المغرب والمشرق . وزعيم الاندلسيين الذين افتتحوا جزيرة اقريطش ـ ابو حفص عمر بن شعيْب كان احدَ هؤلاء الفقهاء ، فضلا عن كونه قائداً واميراً ، وهو في ذلك يشبه معاصره القاضي أسد بن الفرات الذي ولاّه ثالث امراء الاغالبة زيادة الله الأول قيادةَ الحملة التي أُرسلت من سوسة بأفريقية لفتح جزيرة صقلية في صيف عام ٢١٢ هـ ـ ٨٢٧ م مع احتفاظه بولاية القضاء في القيروان . ويذكر الحميدي والضبّي استناداً إلى ابن حزم القرطبي ان

---

(٤٧) *EI2*, III, p. 1084.

(٤٨) *EI2*, I, p. 121.

(٤٩) Imamuddin, p. 308.

(٥٠) الحميري ، ص ٥١ .

أبا حفص عمر بن شعيب المعروف بالغليظ البلوطي هو الذي غزا اقريطش وافتتحها وتداولها بنوه بعده ، ويضيفان ان ابا حفص كان قد كتب بالعراق وبمصر أيضاً (٥١) . ويقول ياقوت ان فاتح إقريطش كان سمع يونس بن الأعلى وغيره بمصر ثم نُدب لفتح الجزيرة حتى فتحها (٥٢) . كما يذكر ياقوت من علماء اقريطش احد الرواة وهو محمد بن عيسى ابو بكر الأقريطشي الذي حدّث بدمشق عن محمد بن القاسم المالكي وروى عنه عبدالله بن محمد النسائي المؤدّب (٥٣) .

ويترجم ابن الفَرَضي للفقيه مروان بن عبدالملك من أهل قرطبة ، المعروف بابن الفَخّار ، وكان قد درس على بقي بن مخلد بقرطبة ، ثم بارح الاندلس في اوائل القرن الرابع للهجرة — العاشر للميلاد فيقول : « رحل إلى المشرق ثم صار إلى اقريطش فاستوطنها ، وجمع تاريخاً على الأمصار ، لقيه احمد بن خالد من قرطبة وسمع منه التاريخ . وكان متضلّعاً بالحديث ، وكان زاهداً متقشفاً في حياته مع انه كان ميسورا ، وقد اجتمع به احمد بن خالد في اقريطش — وقد جاوز ابن الفَخار الستين من العمر — وذكر أنه كان على « مروان تدور فتيا اهل إقريطش » (٥٤) . كما يترجم ابن الفَرضي لعالمٍ اندلسي آخر سكن جزيرة اقريطش وهو يحيى بن عثمان (٥٥) . وكان كثير من علماء الأندلس يعرّجون على جزيرة اقريطش اثناء رحلاتهم إلى المشرق في طلب العلم أو لتأدية فريضة الحج ويجتمعون بعلمائها وينقلون اخبارهم لمواطنيهم لدى عودتهم إلى الأندلس ، وكان يطيب لبعضهم المقام في الجزيرة فيستقرون فيها ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كانت الجزيرة بمثابة ابنة الأندلس .

---

(٥١) محمد بن فتوح الحميدي ، **جذوة المقتبس** ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . القاهرة ، ١٩٥٢ ، ترجمة رقم ٦٨٨ ، ص ٢٨٢ . وانظر احمد بن يحي الضبي ، **بغية الملتمس** ، تحقيق ف . كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٥ ، ترجمة رقم ١٦٤ ، ص ٣٤٩ .

(٥٢) الحموي ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(٥٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(٥٤) عبدالله بن محمد بن الفرضي ، **تاريخ علماء الأندلس** . القاهرة ، ١٩٦٦ ، قسمان في مجلد واحد ، ترجمة رقم ١٤١٥ . انظر كذلك :

E . Jevi — provencal : *H*istoire de L' *Histoire de l Espagne Musulmane* Paris — Leiden ., 1950 , Vol II ,P . 145 , n . 2

(٥٥) ابن الفرضي ، ترجمة رقم ١٥٨٨ ،

ويذكر الحميري عالماً من ذرية أبي حفص اسمه عمر بن عيسى بن محمد بن يوسف ابن ابي حفص يقول إن له كتاباً « في معاني القرآن وغرائبه ألّفه في حبس القسطنطينية يدل على علمه باللسان واتساع باعه في العلـــم » (٥٦) . ولما كانت اقريطش قد سقطتْ في أيدي الروم عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ونُقل افراد الأسرة الحاكمة إلى القسطنطينية وزُجَّ ببعضهم في السجون ، فان عمر هذا كان حياً بعد تلك السنة ، ويبدو انه كان ممّن سُجن هناك من افراد اسرة أبي حفص ، ولعل ذلك يرجع إلى رفضه اعتناق النصرانية .

ويقول الحميري إنه كان باقريطش علماء جلّة من الاندلسيين منهم الفتح ابن العلاء قاضيها ، واسحاق بن سالم ، وموسى بن عبدالملك ، ومحمد بن عمر اخويحي المعروف بابن ابي الدوانق ثم خرج إلى مصر وبها توفي ، واسماعيل بن بدر وابنه محمد ، وابن ابنه اسماعيل ابن محمد ، وهلك اسماعيل هذا في الحصار (حصار الروم لمدينة الخندق) واصاب العدو اهله وماله (٥٧) .

ومما يدل على أن اقريطش كانت على اتصال بالخليفة العباسي في بغداد انه تمّ في سنة ٢٤٩ هـ ـ ٨٦٢ م نفي الوزير السابق احمد بن الخصيب إلى جزيرة اقريطش من قِبَل الخليفة المستعين (٥٨) .

ومع أن إمارة اقريطش العربية كانت في حرب تكاد تكون مستمرة مع الروم البيزنطيين ، الا أنه يبدو أنه كانت ثمة علاقات دبلوماسية بين الجانبين . وقد نَشر فاسيلييف نص كتاب موجّه في نهاية عام ٢٩١ هـ ـ ٩٠٤ م او اوائل عام ٢٩٢ هـ ـ ٩٠٥ م إلى امير اقريطش محمد بن شعيْب حول الافراج عن بعض الاسرى من الروم (٥٩)

وفي طليعة العلماء البيزنطيين في القرن الرابـــع الهجري العاشر الميلادي البطريق نيقولاووس ميستيكوس الذي خلّف مجموعة من الرسائل كان قد وجهّها إلى عدد من الرؤوساء ورجال الدين ، ومما جاء في رسالته إلى امير اقريطش قوله : « الروم والعرب

(٥٦) الحميري ، ص ٥١ .

(٥٧) نفس المصدر ، ص ٥١ .

(٥٨) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٥٠٨ . ابن خلدون ، العبر . ج ٣ ، ص ٦٣٤ .

(٥٩) *EI2* , III , p . 1085 .

اعظمُ قوتين في العالم يعلوان ويتألّقان كالشمس والقمر في السماء . ولذا يجب أن نعيش إخوةً على الرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين » (٦٠) .

نشاط عرب إقريطش في ميدان الغزو البحري : نشط عرب جزيرة إقريطش في ميدان الغزو البحري في شرقي البحر المتوسط ، وكانوا مصدر رعب للروم يأسرون مراكبهم التجارية ويشنُّون الغارات الجريئة على جزر بحر إيجة وسواحله من اراضي الروم البيزنطيين (٦١) . و يحدثنا الاصطخري الذي عاصر فترة الحكم العربي للجزيرة فيقول إن سكان إقريطش « جميعاً مسلمون اهل غزو » (٦٢) . ويصف ابن حوقل اهلَ الجزيرة بأنهم في غاية الجهاد « ولم يكن للنصرانيّة فيها (اقريطش) مدخل ولا مخرج » (٦٣) ويضيف بأن اخذ المسلمين لجزيرتي اقريطش وقبرص بخيراتهما وتجارتهما الزاهرة « أحدُ الأسباب الزائدة في اطماع الروم ، لأنهما بما كان فيهما من الرجال والعدّة والعتاد ، كالنار لهيبها لا يفتر وأوارها لايقصر ،ينكون في بلد النصرانية صباح مساء نكايةً بيّنةً ظاهرة يوجبها لهم قربُهم من مطالبهم ومجاورتهم للروم في مساكنهم » (٦٤) .

لذلك حاول الروم مراراً مهاجمة الجزيرة منذ أول افتتاح المسلمين لها للقضاء على هذا الخطر الذي طالما هدّد تجارتهم وأراضيهم . ففي سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م ، تمكّن الروم من النزول بعض الوقت في الجزيرة ، الا أن قائد الحملة ثيوكتيسيس Theoctistes اضطر إلى العودة على عجل إلى القسطنطينية ، بسبب الدسائس التي حيكت ضده ، ففتك العرب بجنده الذين خلّفهم في الجزيرة (٦٥) .

ولما كانت جزيرة اقريطش تتلقى اسلحتها من مصر ، فان اسطولاً بيزنطياً أغار على دمياط في صيف سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م وظفر بكمية وافرة من الأسلحة المعدة

---

(٦٠) رستم ، ج٢ ، ص ١٠٠ .

(٦١) Levi — provencal , OP . Cit . Vol . 1 , 173 .

(٦٢) الاصطخري ، ٧٠ .

(٦٣) ابن حوقل ، ص ١٨٤ .

(٦٤) نفس المصدر ، ص ١٨٤ .

(٦٥) *EI2* , III , p . 1083

لاقريطش ، في حين قامت قطع بحرية اخرى بمهاجمة سواحل الجزيرة ذاتها (٦٦) . وعن الغارة على دمياط يقول الطبري إنه في صيف سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م جاءت للروم ثلاثمائة مركب ورست عند دمياط « واحتملوا سلاحاً كان فيها ارادوا حمله إلى أبي حفص صاحب اقريطش نحو من الف قناة وآلتها ... ويقال ان الروم الذين كانوا في الشلنديات التي أناخت بدمياط كانوا نحواً من خمسة آلاف رجل ، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء . وأحرقوا خزانة القلوع وهي شرُع السفن ، واحرقوا مسجد الجامع بدمبياط .. ثم صاروا إلى اشتوم تنيس ... واحرقوا مافيها من المجانيق والعرادات » (٦٧) . ويقول المقريزي إن نزول الروم بدمياط كان يوم عيد الأضحى من سنة ٢٣٨ هـ ، وقتلوا جمعاً كثيراً من المسلمين ، فأمر الخليفة المتوكل العباسي ببناء حصن دمياط على الاثر ، وانشيء الاسطول بمصر (٦٨) .

وفي مطلع القرن الرابع الهجري ــ العاشر الميلادي كان العرب يسيطرون على مياه البحر المتوسط والارخبيل اليوناني ، وكثيراً ماتعرَّضتْ لغاراتهم جزر الارخبيل وساحل البلوبونيس بجنوب اليونان وتساليا في شمالها (٦٩) . وفي سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، دمّر غزاةُ البحر العرب مدينة دمترياس Demetrias الغنية على ساحل تساليا (٧٠) . وأخطر من ذلك كله الحملة البحرية الكبرى التي قادها سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ليو لاوون الطرابلسي ، يوناني كان قد اعتنق الاسلام ، وكانت وجهته باديء الأمر القسطنطينية ، ثم غيّر خطته فجأة وهبط على سلانيك ، وكانت آنذاك مركزاً تجارياً وثقافياً عظيماً ، تلي القسطنطينية أهميةً وثروةً ، ودخل المدينة عَنْوةً بعد حصار دام ثلاثة أيام ،وانسحب المغيرون بغنائمَ وفيرةٍ وبالالوف من الأسرى (٧١) . وذُكر ان ليو سبي اثنين وعشرين

(٦٦) نفس المصدر ، ١٠٨٣ .

(٦٧) الطبري ، جـ٣ ، ص ١٤١٧ .

(٦٨) تقي الدين أحمد المقريزي ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ ــ ٣٧٧ .

(٦٩) G. Ostrogorsky, *The History of the Byzantine State* Oxford, 1892, p. 257.

(٧٠) نفس المصدر ، ص ٢٥٧ .

(٧١) نفس المصدر ، ص ٢٥٨ .

الفاً من اهل سلانيك باعهم في اسواق الرقيق في الخندق وطرابلس الشام (٧٢) . وفي طريق العودة، رست مراكب الحملة في مياه اقريطش حيث بيع بعض الاسرى . ولا شك في أن امتلاك العرب لاقريطش مكّن من نجاح هذه الغارة على سلانيك (٧٣) .

لقد شقّ هذا المصاب على الروم ، فأعدوا حملة كبرى سنة ٩١١ م قادها هيميريوس Himerius ، ولكنه مُني بكارثة واضطر اسطوله إلى الانسحاب . وفي طريق عودته إلى القسطنطينية ، هوجم في ربيع سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م قرب جزيرة كيوس Chios من قِبَل اسطول بحري بقيادة ليو الطرابلسي ومُني بهزيمة ساحقة . وتذكر المصادر اليونانية ان القوات البيزنطية في هذه الحملة كانت تضم ٧٠٠ مرتزق روسي (٧٤) . كان ذلك بعد أن توطّدت العلاقات بين الامبراطور البيزنطي قبل ذلك ببضع سنوات وبين أمير كييف Kiev ، وسمح الاتفاق المعقود بينهما بمشاركة الروس في حملات الامبراطور (٧٥) .

وكان العرب في مطلع القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي قد أتموا فتح جزيرة صقلية ، وسيطروا على مجاز مسّينة وواصلوا غاراتهم على البر الايطالي وسواحل البحر الأدرياتيكي . ان نشاط العرب البحري من هذين الثغرين — اقريطش وصقلية — ينبغي أن يُنظر إليه ضمن اطار حرب الثغور بين العباسيين والبيزنطيين ، ولا شك أن هذه الغزوات البحرية في البحر المتوسط قد شغلت البيزنطيين عن تركيز جهودهم الحربية ضد المسلمين في منطقة الثغور الشامية والجزرية .

وعاود البيزنطيون مهاجمة دمياط في سنة ٣٠٧ هـ — ٩١٩ — ٩٢٠م ، اذ طرقوا دمياط « في نحو مائتي مركب ، فأقاموا يعيثون في السواحل شهراً وهم يقتلون ويأسرون ، وكانت للمسلمين معهم معارك » (٧٦) .

(٧٢) أسد رستم ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٧٣) *EI2* , III , p . 1084

(٧٤) Ostrogorsky , p . 258 .

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٢٥٩ .

(٧٦) المقريزي ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

وقبيل منتصف القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي ، هاجم عرب إقريطش سواحل آسيا الصغرى والبلوبونيس ووسط بلاد اليونان ، ولعلهم وصلوا إلى اثينا مما استدعى اقامة تحصينات دفاعية بها (٧٧) . فأعد الامبراطور أسطولا ضخماً لمهاجمة إقريطش سنة ٩٤٩ م ، بقصد القضاء النهائي على نشاط غزاة البحر منها ، الا أن الحملة باءت بالفشل التام ، وهزم الجنود بعد نزولهم إلى البر إثر هجوم مباغت من جانب العرب ، وفقد الروم عدداً كبيراً من مراكبهم (٧٨) .

لقد تم في السنوات الأخيرة العثور على إحدى عشرة قطعة نقدية عربية من عملة إقريطش في مكان السوق Agora في مدينة اثينا وفي مدينة كورنث . ولعل لوجودها في اثينا علة بالنقش الكتابي المهم من المسجد العربي بأثينا ، وهو النقش الذي عثر على قطع منه في مكان السوق وعلى مقربة منه . ومع ان تاريخ النقش غير معروف بالضبط – قد يعود إلى القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي أو القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – الا أن معظم العملات الأقريطيشية التي عثر عليهما في اثينا تعود إلى القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي ، ويحتمل أن تعود قطعتان منها إلى القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي . وفي هذا دليل على احتمال وجود العرب في اثينا في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي او القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي . وقد يكون العرب جاءوا من جزيرة اقريطش مغيرين أو أسرى حرب أو تجاراً او ربما قد عبروا عبوراً ، كما أن القطع يمكن أن يكون قد جلبها من جزيرة إقريطش تجار أو أسرى حرب يونانيون بعد الافراج عنهم (٧٩) .

أما بالنسبة لمدينة كورنث ، فانه يكاد يكون من المؤكد أن بعض القطع النقدية التي عثر عليها في المدينة تعود إلى القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي . وتشير المصادر الكتابية إلى قيام العرب بشن غارات على منطقة كورنث في سنة ٢٦٥ – ٢٦٦ هـ – ٨٧٩ م ، ولعلهم احتلوا المدينة فترة من الزمن . ويخلص عالم النميات مايلز Miles

(٧٧) A . Sharf , *Byzantine Jewry* , VLondon , 1971 , p . 155

(٧٨) Ostrogorsky , p . 282 . A . A . Vasiliev *History of the Byzantine Empire* . 2Vols . Madison University of Wisconsin Press , 1971 — 73

(٧٩) Miles , pp . 11 — 12 .

إلى القول بأنه يـَعتقد ان « عـُملات امراء كورنث هي من المرجح دليل على وجود صلة تجارية بين المدينة وبين جزيرة إقريطش العربية اكثر من كونها آثاراً لنشاط حربي في المكان . وعلى ذلك فاننا نرى أن علينا ان نعيد النظر في الرأي التقليدي بشأن عرب جزيرة اقريطش ، وهو أنهم لم يكونوا سوى قراصنة برابرة ليس إلا ، وان علينا ان نسلّم بأنه حتى في اثناء غاراتهم على جزر بحر إيجة والبر اليوناني ، فإنه من المحتمل أنهم قد قاموا بدور وسطاء لتبادل السلع والثقافة » (٨٠) .

استرداد الروم البيزنطيين لجزيرة إقريطش (٣٥٠ ه / ٩٦١ م) : منذ منتصف القرن الرابع للهجرة — العاشر الميلادي ، أخذت الامبراطورية البيزنطية بزمام المبادرة في صراعها مع المسلمين ، ورجحت كفتها لفترة من الزمن بفضل ثلاثة من الأباطرة أولهم نيقوفور فوقاس قائد الحملة الضخمة التي استرد بها الروم الجزيرة من ايدي المسلمين بعد صمود هؤلاء دون نصير نحواً من تسعة شهور . كانت الدولة العباسية التي تتبعها الجزيرة ضعيفة ممزّقة الاوصال آنذاك . أما الدولتان الأموية في الأندلس والعبيْدية في افريقية فكانتا في ذروة قوتهما ، الا أنهما كانتا في صراع مرير للسيطرة على المغرب . وانتهز الروم هذه الفرصة السانحة لتجديد صلاتهم بالخليفة الأموي الناصر في قرطبة ، وتـَبادل الامبراطورُ قسطنطين السابع السفاراتِ مع الخليفة الناصر ، وكلاهما معادٍ للعبيْديين (٨١) وتؤكد المصادر الأسماعيلية وجودَ اتفاق بين الامويين والبيزنطيين ضد الفاطميين ، وفي ذلك يقول القاضي النعمان : « وكتب (الناصر) إلى طاغية الروم يسأله النصرة .. فأجابه إلى ذلك » (٨٢) ويذكر القاضي النعمان ان مسلمي جزيرة اقريطش استنجدوا بالمعز لدين الله الفاطمي لحرب الروم (٨٣) .

في هذه الظروف المواتية جهـّز البيزنطيون حملة كبرى لاسترداد اقريطش والتخلص نهائياً من الغارات التي طالما تعرضت لها اراضيهم ، بقيادة نيقوفور فوقاس الذي يُعتبر

---

(٨٠) نفس المصدر ، ص ١٣ .

(٨١) المقري ، ج ١ ، ص ٣٤١ . ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٨٢) أحمد مختار العبادي ، **في التاريخ العباسي والأندلسي** ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٠٢ .

(٨٣) حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الدولة الفاطمية** ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٤٧٩ .

من أكفأ قادتهم واشدهم عداءً للاسلام والمسلمين . والمصادر العربية دون البيزنطية تُمدّنا بتاريخ بدء الحملة ونهايتها ، كما تُمدنا ببعض المعلومات القيمة عن تفاصيلها . يقول ياقوت : « أناخ عليها (إقريطش) نقفور بن الفقاس الدمستق في خلافة المطيع [حكم ٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ ــ ٩٧٤ م] ... في آخر جمادي الاولى سنة ٣٤٩ (اواخر يوليو ٩٦٠ م) في ٧٢,٠٠٠ ، منهم خمسة آلاف فارس » (٨٤) . ويذكر ابن خلدون ان النصارى نازلوا الجزيرة في سبعمائة مركب (٨٥) .

ويروي النويري حكاية عن الطريقة التي تم بها للروم الاستيلاء على إقريطش يقول فيها إن الامبراطور لجأ إلى الحيلة لمّا أعياه أخذُ الجزيرة ، فبدأ بابرام معاهدة صداقة مع أميرها وتعهّد بأن يدفع له ضريبة سنوية على أن يكفّ من الاغارة على جزر بحر ايجة ليعود اليها أهلها . فوافق الأمير عبدالعزيز على ذلك ، وأخذ التجار اليونانيون يمارسون أعمالهم بين إقريطش والقسطنطينية وجزر بحر ايجة ، وازداد بالتالي رخاء الجزيرة وقلّتْ العناية بالاسطول . ثم كتب الامبراطور إلى الامير يقترح ارسال خمسمائة فرس الى الجزيرة بسبب قحط اصاب الامبراطورية ، على أن يتقاسما نسلها ، ثم لم يلبثْ ان ارسل الامبراطور حملةً إلى الجزيرة ورستْ مراكبُه قرب المكان الذي كانت ترعى فيه الخيول ، فنزل الجنود وامتطوها وأغاروا على المسلمين بغتة ، وتم لهم بذلك الاستيلاء على الجزيرة (٨٦) . ورواية النويري هذه ، وان لم يتقبّلها العقل ، انما يُستدل منها على اعتماد الروم في استيلائهم على الجزيرة على عنصريْ الخداع والمباغتة ، وكما يقال والحرب خُدْعَة .

ولدى وصول الحملة إلى الجزيرة ، بادر فوقاس بضرب حصار شديد على عاصمتها (الخندق) لقطع وصول الامدادات اليها . وكما يقول ياقوت « لم يزل محاصراً لها حتى فتحها عَنْوةً بالحرب والجوع في نصف المحرم سنة ٣٥٠ هـ (٧ مارس ٩٦١ م) ، فقتل ونهب وسبى . واخذ صاحبها عبدالعزيز بن شعيب من ولد أبي حفص عمر بن عيسى

---

(٨٤)　الحموي ، جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٨٥)　ابن خلدون ، العبر . ص ٩٨ .

(٨٦)　النويري ، نهاية الأرب . جـ ٢٢ ، وهو يتناول تاريخ المغرب والاندلس ، نشره ماريانو جسبار ريميرو . مدريد ، ١٩١٧ . وقد عتمدنا رواية النويري كما اقتبسها كنارد في: *EI2*, III, p. 1084.

الأندلسي وامواله وبني عمه [أي اقاربه] وحمل ذلك كله إلى القسطنطينية . وقيل انه حمل إلى القسطنطينية من اموالها وسبي أهلها نحواً من ٣٠٠ مركب ، وهدموا حجارة المدينة وألقوها في الميناء الذي دخلت مراكبهم فيه لئلا يدخل فيه بعدهم عدوّ » (٨٧) .

أما المصادر البيزنطية فتقول ان نيقوفور حفر خندقاً على طول الجزيرة ليعزل المدينة عزلا تاماً ، ثم ضربها بالمجانيق إلى ان سقطت في يده بعد مقاومة طويلة وعنيفة . وبعد سقوطها تعرضت المدينة للنهب والسلب ، وأُسر آخر أمرائها الذي تسميه هذه المصادر Kouroupas ، ولعله تحريف عن (القرطبي) ، كما أُسر ابنُه Anemas (النُعمان) وافراد اسرتهم . وبعد ان دكّ قوقاس اسوار المدينة شيّد في ظاهرها حصناً استقرت فيه حامية بيزنطية . ودُمِّرت مساجد المدينة وأُحرقت المصاحف (٨٨) .

ويقول كل من ابن الاثير وابن خلدون ان اهل اقريطش استصرخوا صاحبَ افريقية المعز لدين الله سنة ٣٥١ هـ — ٩٦١ م ، فأرسل اليهم نجدةً أوقعت بالروم (٨٩) . وهذا امر مستبعد ، إذ أن الجزيرة كانت قد سقطت في ايدي الروم قبل ذلك بعام ، وان هي وصلتْ فان وصولها جاء بعد فوات الأوان .

وتقول المصادر البيزنطية أن أمير اقريطش استغاث بعرب الأندلس وافريقية ، وان عدداً من المراكب وصل وأنزل جنوداً في الجزيرة تمكنوا من تسلق اسوار مدينة الخندق ، ولكنهم عادوا إلى مراكبهم لمّا ادركوا عدم جدوى أية مساعدة (٩٠) . وتذكر احدى الروايات اليونانية ان نجدةً وصلتْ من افريقية لمهاجمة المحاصِرين للمدينة من الخلف ، إلا أن فوقاس علِمَ بوصولها وارسل قوةً من الأرمن اعترضت سبيلها واوقعت بها ، وأعلن فوقاس نبأ انتصاره بأن اطلق رؤوس القتلى من الجنود العرب بالمجانيق إلى داخل المدينة المحاصَرة (٩١) .

---

(٨٧) الحموي ، ج ١ ، ص ٢٣٦ . وانظر كذلك الحميري ، ص ٥١ ، وابن خلدون ، العبر ، ج٤ ص٩٨

(٨٨) *EI*2 , III , p . 1084

(٨٩) ابن الاثير ، ج٧ ، ص ٥ . وابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٥١٢ — ٥١٣ .

(٩٠) *EI*2 , III , p . 1084 .

(٩١) E . Clutton , and A . Kenny , Crete Vermont , U . S . A 1976 , p . 95

لقد استنجد الأمير عبدالعزيز بالمسلمين شرقاً وغرباً دون جدوى . فان القليل الذي جاءه من طرسوس ومن افريقية قضى عليه الروم قبل وصوله اليه (٩٢) . والحقيقة أن مسلمي اقريطش لم يظفروا بأية مساعدة تُذكر لمواجهة الجموع التي داهمتهم . فأمير حلب آنذاك سيف الدولة الحمداني لم يكن له اسطول ، كما انه كان في صراع مريرمع الروم ، وقد رجحتْ كفتهم ضده منذ سنة ٩٥٨م . وأما أمير مصر الاخشيدي ابو الحسن علي بن اخشيد فكان عاجزاً عن المساعدة . وفي افريقية قام المعز لدين الله بانهاء الهدنة مع البيزنطيين ، وطلب إلى الامبراطور رفع الحصار المضروب على الجزيرة ، كما وعد بارسال مساعدة إلى أهل اقريطش . وذُكر ان المعز لدين الله اقترح على أمير مصر الاخشيدي ان تجتمع مراكبُهما في برقة في اليوم الأول من ربيع ثاني عام ٣٥٠ هـ ــ ٢٠ مايو ٩٦١ م . ويلاحظ ان هذا التاريخ يأتي بعد سقوط الجزيرة في أيدي الروم بأكثر من شهرين . وقد نُشرت الوثائق المتعلقة بذلك في كتاب **المجالس والمسايرات** للقاضي أبي حنيفة النعمان ، صديق المعز لدين الله وكبير دعاة الاسماعيلية (٩٣)

ان البيزنطيين باستيلائهم على جزيرة كريت استعادوا نقطةً استراتيجية وتجارية مهمة في البحر المتوسط ، وتخلصوا من « وكر للقراصنة » طالما أقضَّ مضجعهم (٩٤) . ويري أحد مؤرخي الدولة البيزنطية ان بيزنطية لم تسجل انتصارا اعظم من هذا الانتصار لقرون عديدة خلت (٩٥) . وبرزت الآن الدولة البيزنطية من جديد كقوة محاربة بحرية حاسمة في شرقي البحر المتوسط (٩٦) ، وتمكّن نيقوفور من القول « إن القوة في البحر هي لي وحدي » (٩٧) ورَحّب اليهود بسقوط الجزيرة في أيدي البيزنطيين للتخلص من غارات أهلها وما كانوا يفرضونه من اتاوات على التجار ، وكان التجار اليهود ، وخاصة الرادانية منهم ، يحتكرون التجارة عبر البحر المتوسط آنذاك (٩٨) .

---

(٩٢) أسد رستم ، جـ٢ ، ص ٣٤ .

(٩٣) *EI*2 , III , p . 1084 .

(٩٤) Vasiliev , Vol . 1 , p . 308 .

(٩٥) Ostrogorsky , p . 284 .

(٩٦) S . Vryonis : *Byzantium & Europe* , *London* , 1967 , p . 87 .

(٩٧) أسد رستم ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٩٨) Sharf , p . 108 .

تنصير مسلمي إقريطش : يقول الاصطخري الذي ألـّف كتابَ **المسالك والممالك** قبيل استرداد الروم لجزيرة اقريطش إن سكان الجزيرة « جميعاً مسلمون اهل غزو ، وبين اظهرهـم نبذ (أي قليل) من النصارى ، كما يكون ببلدان المسلمين » (٩٩) . بيْد أنه ما ان سقطت الجزيرة في أيدي الروم حتى بادر هؤلاء إلى تنصير مسلميها بالضغط والاكراه . وتحت رعاية أباطرة القسطنطينية ، قام عدد من المبشرين المتحمسين بنشاط كبير لتنصير المسلمين في إقريطش ، ويـُفهم من عبارةٍ للرحالة الأندلسي ابن جبير ان اعتناق مسلمي إقريطش للنصرانية تمّ تدريجياً وبمزيج من الضغط والترغيب ، فهو يقول لم تزل بهم (بمسلمي اقريطش) المَلَكةُ الطاغيةُ من النصارى والاستدراج الشيءَ بعد الشيء حالاً بعد حال حتى اضطروا إلى التنصر عن آخرهـم » (١٠٠) . ويضيف صاحب (المُعجِب) أن مسلمي إقريطش بقُوا في الجزيرة بعد سقوطها في ايدي الروم « سنين إلى ان تفرقوا ، فرحل بعضُهم إلى الأندلس ، واختار بعضهم سكنى صقلية ، وانتقل بعضهم إلى الاسكندرية » (١٠١) .

وكما فعل بالنسبة لاستيلاء الروم على اقريطش ، فان النويري يروي قصةً طريفةً عن الكيفيـّة التي تم بها تنصيرُ المسلمين في جزيرة اقريطش ، خلاصتـُها ان عدداً من وجهاء المسلمين زاروا القسطنطينية للتعبير عن ولائهم للامبراطور ، فقوبلوا بكل حفاوة وتكريم ، وأُغدقت عليهم الهدايا ، وكان ذلك بمناسبة عيد الميلاد المسيحي . ولما عادوا إلى القسطنطينية ثانيةً بعد شهور لتقديم ولائهم للامبراطور بمناسبة عيد الفصح المسيحي ، أسيئت معاملتهم وزج بهم في السجون ، وحيل بينهم وبين الطعام والشراب إلى أن اضطروا الى اعتناق المسيحية ، وعندئذ فقط أُفرج عنهم وسُمح لهم بالعودة إلى وطنهم . ولدى وصولهم إلى الجزيرة ، مُنعوا من الالتحاق بعائلاتهم حتى تتنصّر ، وهكذا تم للروم ماابتغوه من تنصير المسلمين في جزيرة إقريطش (١٠٢) . ويـُفهم من هذه الحكاية أن عملية التنصير تمت بصورةٍ رسمية وبالاكراه .

(٩٩)　الاصطخري ، ص ٧٠ .

(١٠٠)　ابن جبير ، ص ٢٨٠ .

(١٠١)　المراكشي ، ص ٢١ .

(١٠٢)　النويري ، نهاية الارب . الجزء ٢٢ ، وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس ، نشره ماريانو جسبار ريميرو ، مدريد ، ١٩١٧ . وقد اعتمدنا رواية النويري كما اقتبسها إمام الدين في مقاله بعنوان « Cordovan Muslim Rule in Iqritish (Crete) , » p . 312 .

ويقتبس كنارد عبارةً لصاحب (كتاب العيون ، الورقة ٢٧٦) مفادها أنه عند استيلاء الروم على مدينة الخندق عاصمة الجزيرة ، قاموا بتدمير مساجدها واحراق المصاحف الشريفة فيها . (١٠٣)

وعند مرور الرحالة الأندلسي ابن جبير بجزيرة صقلية (٥٨١ هـ/٤ـ١١٨٥م) في طريق عودته إلى بلاده من تأدية فريضة الحج ، لاحظ الرحالة عن كثبٍ احوال المسلمين في صقلية النورمانية آنذاك ، وكانت سيئةً وتنذر بأوخم العواقب ، فعلّق على ذلك بقوله : وأهل النظر في العواقب منهم (من مسلمي صقلية) يخافون ان يتفق على جميعهم ماتفق على اهل جزيرة إقريطش من المسلمين في المدة السالفة (أي قبل ذلك بقرنين من الزمن) فانه لم تزل بهم المَلَكةُ الطاغيةُ من النصارى والاستدراج الشيء بعد الشيء حالا بعد حال حتى اضطُروا الى التنصّر عن آخرهم ، وفر منهم من قضى الله بنجاته » . (١٠٤)

ويبدو أن ماحلّ بمسلمي اقريطش كان له صداه في العالم الاسلامي ، اذ وقعتْ حوادثُ شغبٍ في مدينة الفسطاط بمصر استهدفت النصارى فيها » . (١٠٥)

ان عاشر امراء اقريطش العرب وآخرهم ، وهو عبدالعزيز بن شعيْب (Kouroupas) من ولد ابي حفص ، أسره نيقوفور فوقاس ونقلـه وأمواله واقاربه إلى القسطنطينية (١٠٦) ويبدو أنه كان متقدماً في السن ، ولعلّه ولي الامارة في شيخوخته . وقد ظل على اسلامه وعومل معاملة كريمة . أما ابنه النعمان (Anemas) فقد تنصّر والتحق بخدمة الحرس الامبراطوري في القسطنطينية ، وتذكر المصـادر اليونانية أنه قُتل في معركة سلستريا على نهر الدانوب بين البيزنطيين والروس سنة ٩٧١ م . (١٠٧)

وتذكر المصادر البيزنطية انه بعد استرداد الروم لأقريطش ، جرى نشاط تبشيري على يد راهب من آسيا الصغرى هو القديس نيقون (St . Nicon) ، فقد تولّى بحماسٍ

(١٠٣) *EI*2 , III , p . 1084 .

(١٠٤) ابن جبير ، ص ٢٨٠ .

(١٠٥) *EI*2 , III , p . 1084 .

(١٠٦) الحموي ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(١٠٧) Miles , p . 83 .

شديد تنصيرَ مسلمي جزيت كريت ، ثم توجّه إلى اسبارطة ببلاد اليونان للتبشير بين الصقالبة الذين استقروا على مقربة من المدينة . (١٠٨) وقد نقل نيقوفور فوقاس جالياتٍ يونانيةً وارمنيةً وأسكنها جزيرة اقريطش ، وهو الذي استدعى الراهب نيقون من آسيا الصغرى ليبشِّر فيها بين المسلمين (١٠٩) ، اذ كانت سياسة أباطرة البيزنطيين تقوم على ايجاد مجتمع متجانسٍ وموحّدٍ مذهبياً في مختلف ولايات الامبراطورية . وكذلك فعل النورمان في صقلية عند استيلائهم عليها من ايدي المسلمين في اواخر القرن الخامس للهجرة – الحادي عشر للميلاد ، فقد شجّعوا ، وبتأييد من الكنيسة الكاثوليكية ، هجرةَ النصارى من اللمبارد والنورمان اليها .

وقد أصبحت مدينة الخندق بعد استيلاء الروم على الجزيرة عاصمةً مدنيّةً ودينية لها . وكما حدث في صقلية بعد استيلاء النورمان عليها من أيدي المسلمين ، فانّ نظاماً إقطاعياً ساد ريف جزيرة إقريطش بعد استيلاء الروم عليها ، واستغلّ السادةُ الجُدُد في فلاحة الأراضي التي استحوذوا عليها طبقةً من الكادحين العرب المتنصِّرين تُعرف باسم (Parici) . ومع أنه لاتتوفر لدينا المعلومات الكافية عن هذه الطبقة ، فان من المحتمل ان وضعها كان شبيهاً بوضع فلاحي الأرض المسلمين (Villeins) في صقلية النورمانية الذين يردُ ذكرهم في الوثائق العربية باسم (رجال الجرائد) أو (أهل الجرائد) ، ويُعرفون في اللاتينية باسم (Servi glebae) ، وهو وضع يشبه وضع الأرقّاء . فلم تكن لأفراد هذه الطبقة حرية شخصية ، وكان عليهم القيام بالخدمة العسكرية عند الطلب ، وهم يخضعون لنظام السخرة في العمل ، وكانوا في صقلية يدفعون جزية سنوية للملك النورماني (١١٠) .

هذا ولم يَبْقَ شيء يذكر من آثار الحصن العربي في مدينة الخندق ، والتي اصبحت تُعرف منذ مطلع القرن العشرين باسم هيراقليون (Heracleion) . ويذكر مصدر حديث أنه في القرن التاسع عشر ، وعلى مسافة قليلة شرقي مدينة الخندق ، كانت ماتزال

---

(١٠٨) Vryonis , p . 87 .

(١٠٩) أسد رستم ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(١١٠) إحسان عباس ، **العرب في صقلية** ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٢ – ١٤٣ . أنظر أيضاً : Ahmad , p . 70 . Clutton , p . 96 .

توجـد قرية عربية يتراوح سكانها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ نسمة (١١١) . فهل استوطن أهلُ هذه القرية الجزيرةَ في فترة الحكم العثماني لها ، وهي الفترة التي بدأت سنة ١٦٤٥ م واستمرت ثلاثة قرون ونصف القرن ، أم هل هم من عَقِب عرب إقريطش الأوائل ؟

أهميّة النُميّات (Numismatics) للباحث في تاريخ إمارة كريت العربية (١١٢) :

إن دراسة العُملة او النُميّات (numismatics) أمـر على جانب كبير من الأهمية للمؤرخ ، اذ أن ما في العُملات من اسماء للأشخاص ومكان الضرب ووزن العُملة كل ذلك يضيف إلى ماورد في المصادر الكتابية والأثرية ، أو هو يصحّحها .

حتى عام ١٩٥٣ م لم تتوفر سوى خمس عشرة قطعة من الدنانير الذهبية والفلوس النحاسية ترجع إلى إمارة كريت العربية . الا أنه بعد تلك السنة ، وحتى عام ١٩٧٠ م ، تم العثور على المزيد من هذه النقود في الجزيرة نفسها وفي بلاد اليونان بحيث بلغ مجموع هذه القطع الآن مائتين وثمانياً وستين قطعة ، ومعظمها فلوس نحاسية .

ويرى عالِم النميّات مايلز أن التاريخ الوافي لفترة حكم العرب لجزيرة كريت على أساس جميع المصادر العربية واليونانية الكتابية وعلى أساس الأدلّة الأثرية لم يكتب بعد ، وهذه القطع النقدية التي تم العثور عليها تُعتبر مساهمةً لكتابة مثل هذا التاريخ (١١٣)

ان الدنانير والدراهم التي تم العثور عليها تزوّدنا ببعض السنوات التاريخية الثابتة . ولا تردُ في المصادر التاريخية الأسماءُ الجديدة في القطع التي عُثر عليها . وليس بالأمر الهين أو اليسير إعداد شجرة كاملة بأسماء الأمراء العرب الذين حكموا جزيرة كريت ، إذ أن امكانيات الخطأ تكمُن في امور عديدة منها عدمُ ورود كلمة (ابن) في القطعة النقدية ، وقد لاتكون ثمة صلةٌ أبوية بين اسمين واردين فيها ، وعدم معرفة ماذا كان

---

(١١١) Clutton , p . 180 .

(١١٢) اعتمدنا في هذه الفقرة عن النميات (Numismatics) على مأورده عالم النميات الأمريكي البارز جورج مايلز G . Miles في كتابه عن عملة امراء كريت العرب .

(١١٣) نفس المصدر ، ص١ ، حاشية رقم ٢ .

كل الأشخاص المذكورة اسماؤهم من ذرية الفاتح أبي حفص ، وما اذا كان قد ولي الأمارة فعلا الشخصُ الذي يرد اسمُه في العُملة ولياً للعهد (١١٤) .

ومع هذه التحفظات ، فقد أمكن إعداد شجرة نسب مبدئية للامراء العشرة الذين تعاقبوا على حكم جزيرة إقريطش اعتماداً على الأسماء الواردة في المصادر الكتابية وفي قطع النقود التي تمَّ العثورُ عليها وهي كالآتي (١١٥) .

شجرة نسب مبدئية للأمراء العشرة من أسرة أبي حفص **الذين حكموا جزيرة إقريطش (كريت) :**

١ ــ ابو حفص عمر (فاتح الجزيرة ٢١٢ هـ ــ ٨٢٨ م) (Apokhaps) (فلوس ما بين ٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ ــ ٨٤٧ ــ ٨٦١م) .

↑

٢ ــ شعيْب (دنانير ضُربت ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ هـ ــ (Saipis) ٤ ــ ٨٨٥ ، ٨ ــ ٨٨٩ ، ٤ ــ ٨٩٥ م) .

↑

٤ ــ محمد بن شعيب (فلوس) (زرقون ؟ Zerkounis) .

٣ ــ (ابو عبدالله) عمر (Babdlel)

↑

٥ ــ يوسف (بن) عمر .

٦ ــ علي بن يوسف (فلوس) .

٧ ــ أحمد (بن)عمر(درهم ٣٢٦هـ/ ٧ــ٩٣٨م)

↑

٩ ــ علي بن أحمد (دينار ٣٣٧ هـ ؟ ــ ٨ ــ ٩٤٩ م ؟ ودينار ٣٤٠ هـ ؟ ــ ١ ــ ٩٥٢ م ؟) .

٨ ــ شعيب (بن) احمد (فلوس) .

↑

↓

١٠ ــ عبدالعزيز بن شعيب (القرطي ؟ Kouroupas) (دينار ٣٤٣ هـ ــ ٤ ــ ٩٩٥ م) (درهم ٣٥٠ هـ ــ ٩٦١ م) .

---

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٥ .

(١١٥) نفس المصدر ، ص ٣ ، ٤ .

وهذه بعض الملاحظات التاريخية عن ثلاثة نماذج من هذه العُملات .

يحمل **فلس** عُثر عليه في جزيرة كريت على الوجه عبارة (لااله الا الله وحده لاشريك له) واسم فاتح الجزيرة وقد رسم هكذا (عمر بن عيسى) . وعلى ظهر الفلس نقشت عبارة (محمد رسول الله) وتحتها اسم الخليفة العباسي وقد رُسم هكذا (المتوكل على الله) . ولما كان المتوكل ولي الخلافة من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١ م ، فان تاريخ ضرب هذا الفلس لايمكن أن يكون قبل سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م ، أي بعد نحو عشرين سنة من افتتاح الجزيرة ، أو أن يكون بعد سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م . (١١٦) ويؤكد هذا الفلس ماورد في المصادر الكتابية من ان إمارة اقريطش أعلنتْ ولاءها للعباسيين منذ افتتاح الجزيرة على يد أبي حفص .

دينار يحمل التاريخ الهجري ٣٤٣ وعلى وجهه عبارة (لااله الا الله وحده لاشريك له . بن شعيب) وعلى ظهره عبارة (محمد رسول الله . المطيع لله . عبدالعزيز) . ونُقشت على الحاشية الداخلية للدينار عبارة : بسم الله ضرب هذا الدينر باقريطش سنة ثلث وأربع...

يقول مايلز إن هذا الدينار فريد ومهم لعدة اسباب . ففي حين ان المصادر الكتابية تفيدنا فقط ان حكم الأمير عبدالعزيز (Kouroupas) انتهى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م، لدينا الآن بفضل هذا الدينار تاريخ محدّد ، وهو ان عبدالعزيز كان اميراً قبل سبع سنوات على الأقل من أسر نيقوفور فوقاس له سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . كذلك فان هذا الدينار دليل على ان امراء كريت كانوا مايزالون يضربون عُملة ذهبية في السنوات الأخيرة من حكمهم للجزيرة (١١٧) .

ان الاسم العربي لجزيرة كريت وهو إقريطش يرد كثيراً في المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية الكتابية ، الا أن هذه اول مرة يرد فيها الاسم في كتابة منقوشة (epigraphy) سواء أكان ذلك في السكّة او على الحجر .

أما ورود الاسم (إقريطش) لمكان الضرب بدلاً من العاصمة (الخندق) فليس فيه

---

(١١٦) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(١١٧) نفس المصدر ، ص ١ ـ ٢ .

مايدعوا إلى الدهشة ، اذ ثمة امثلة عديدة في النُميّات الاسلامية يردُ فيها اسمُ الولاية بدلا من اسم الحاضرة أو المدينة الرئيسية بالولاية . مثال ذلك : فلسطين ، إفريقية ، الاندلس ، أذربيجان (١١٨) .

درهم يحمل السنة ٣٥٠ هـ وعلى وجهه عبارة (لااله الا الله وحده لاشريك له . بن شعيب) وعلى الظهر عبارة (محمد رسول الله . المطيع لله . عبدالعزيز) . ومع ان مكان الضرب في الحاشية غير واضح ، الا أن السنة المذكورة هي « سنة خمسين وثلثمائة » .

وهذا الدرهم محفوظ في خزانة العملة الملكية بمدينة ستوكهلم ، وكان قد عُثِر عليه في السويد ، ويُحتمل أن يكون ذلك في جتْلاند بجنوب السويد .

ومن الغريب انه لم يُعثر الا على هذا الدرهم الفريد من عهد إمارة آخر أمير عربي في جزيرة كريت . فكيف وصل إلى السويد ؟ ان من غير المحتمل ان يكون الدرهم قد جاء عن طريق احدى الطرق المعروفة التي وصلت فيها العُملات العربية من الشرق إلى منطقة بحر البلطيق . أما الأكثر احتمالا فهو امكانية وجود صلة ما بالنعمان (Anemas) بن عبدالعزيز الذي حارب في صفوف البيزنطيين ضد الأمير الروسي سفياتوسلاف (Sviatoslav) وقُتل في معركة سلسْتريا سنة ٩٧١ م . ولعلَّ النعمان او احد رفاقه العرب الكريتيين كان يحمل القطعة التي صدرتْ عن آخر أمرائهم ، ففقدها في ساحة القتال وعثَر عليها أحدُ الجنود الروس او الفارانجيين (أهل الشمال من اسكندناوة) ، وهذا حملها بدوره إلى جتْلاند أو إلى بلاد السويد (١١٩) .

(١١٨) نفس المصدر ، ص ٨١ .

(١١٩) نفس المصدر ، ص ٣ — ٤ .



الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر هجري

١٧٠٠ ـ ١٨٠٠م

الدكتور م بنعم مزاوي

قسم التاريخ ـ جامعة يوتا
الولايات المتحدة الاميركية

تمهيد : لقد أصرّ معظم الباحثين ، ممّن عالج تاريخ الحياة الفكرية في العالم الاسلامي ، على أنّ الفترة التاريخية الطويلة الممتدّة من سقوط بغداد بأيدي المغول في فبراير من عام ١٢٥٨ م حتى يونيه من عام ١٧٩٨ م عندما شوهد الأسطول الفرنسي يحمل جيش الثورة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت يقترب من ميناء الاسكندرية ــ هذه الفترة البالغة حوالي خمسة قرون ونصف لم تشهد تطوراً في الحياة الفكرية يستحقّ الذكر ــ سوى ابن خلدون ومقدمته .

فالفترات التاريخية بين هولاكو المغولي ونابليون الفرنسي (وكلاهما كانا غريبين عن الاسلام والحضارة التي يمثلها ــ وهي فترات شهدت نشوء دولة المماليك في مصر وسورية وأجزاء من شبه الجزيرة العربية ، وقيام الامبراطورية العثمانية وإمتدادها في شرق أوروبا ، وتأسيس الدولة الصفوية في ايران ايام الشاه اسماعيل ، ونشوء دولة الأوزبك في آسيا الوسطى أو بلاد ماوراء النهر ، وظهور دولة المغول في شبه القارة الهندية ــ هذه الدول الخمسة التي تقاسمت العالم الاسلامي من الغرب إلى الشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ــ لم تحظ باهتمام الباحثين في الحضارة الاسلامية والحياة

الفكرية اهتماماً كافياً (١) . فقد بدت هذه الادوار الاسلامية المجيدة وكأنّها أشبه بالبياض الذي يتركه بعض الكتّاب او النسّاخ في مخطوطاتهم وشبّهها بعض المؤلّفين ، دون تفهّم أو رويّة ، بظلام الليل الطويل الذي — كما ادّعوا — كان ينتظر الغرب بجيوشه واحتلاله لتشرق الشمس الجديدة من حضارته .

هذه الأدوار والفترات والقرون كلّها تحتاج إلى معالجة جديّة للتوصل إلى معرفة ماساهم به الكتاب والعلماء المسلمون في الحضارة والحياة الفكرية في العالم بأسره . وقد اخترت آخرها عنواناً لهذا البحث — وهو القرن الثاني عشر الهجري المقابل للقرن الثامن عشر الميلادي — لأنه بالدرجة الأولى له حدّ واضح المعالم وهو تدخّل الغرب السافر في حياة الاسلام والمسلمين . أما حدّه الأول (أي مطلع القرن) فلا يمكننا الوقوف عنده بأيّ حال من الأحوال بل على العكس من ذلك علينا (في أبحاثنا المستقبلة باذن الله) أن نرجع في مسيرتنا إلى القرن السابع عشر فالسادس عشر الخ . حتى نصل إلى اوائل القرن الثاني عشر حيث عاش حجة الاسلام أبو حامد الغزالي وهو خير من مثل الحياة الفكرية في الاسلام في عصوره المزدهرة وسنة وفاته ٥٠٥ هـ — ١١١١ م .

نهاية القرن الثامن عشر : وقعت بعض الحوادث في انحاء مختلفة من العالم الاسلامي الثامن عشر (وفي سنة ١٧٩٨ بالذات) أي في آخر سنة أو سنتين قبيل انتهاء القرن نذكرها الآن على سبيل المثال لاالحصر ، لأنها تعبّر في مجموعها عن الهوه السحيقة التي واجهها

(١) تجدر الاشارة إلى كتابين ومقالة بحثت بعض نواحي الحياة الفكرية في العالم الاسلامي قبل مجيء الغرب وهي أولا كتاب « **لاالمجتمع الاسلامي والغرب** »

Islamic Society and the West : a Study of the impact of Western civilization on Moslem culture in the Near East , volume I (in two parts) : Islamic *Society in the Eighteenth Century* , London , Oxford University press , 1950 and 1957 , by H . A . R . Gibb and Harold Bowen .

وثانياً . مقالة كتبها الأستاذ ألبرت حوراني حول هذا الموضوع تتعلق بالوضع في منطقة الهلال الخصيب ظهرت مجدداً في كتابه « **رؤيا من التاريخ** »

A Vision of History , by Albert Hourani , Beirut , 1961

وثالثاً . كتاب هو عبارة عن مجموعة مقالات عنوانه «**دراسات حول التاريخ الاسلامي في القرن الثامن عشر**»

Studies in Eighteenth Century Islamic History , edites by T . Naff and R . Owen , Southern Illinois University press , 1977

العالم الاسلامي في اللحظة التي تدخل فيها الغرب بجيوشه وأسلحته وأصبح يتحكّم تدريجياً في حياة المسلمين اليومية ومقدّراتهم .

فبعد أن احتل نابليون مصر في صيف ١٧٩٨ م مدحه أحد الشعراء المحليين بهذه الأبيات :

لِلّـه عصرٌ قـد زَهـا   فَلَكُ السّعادةِ فيه دار
وَجَمال كوكبِ دولةِ الـ   ـجَيْشِ الفَرَنساوي أَنار
يا حُسْنَها من دَوْلَةٍ   بِالافْتِخار لَها اشْتِهار
مِقدامُها ذو سَطْوَةٍ   تُهْدي المُلوكُ لَهُ الوَقار
الشّهمُ بُونابَرْتَةُ   أَسَدُ الوَغا ذُو الإِقْتِدار (٢)

وفي رواية اخرى « لَيْثَ الوَغا ... » ، وقد أرّخ الشاعر قصيدته بعبارة — « تَمَّ الإِنْتِصار » وقيمتها العددية تعادل سنة ١٢١٣ هـ الموافقة لسنة ١٧٩٨ م .

وفي هذه السنة نفسها ، أي سنة ١٧٩٨ م ، كان آخر ملوك المسلمين في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الهند — وهو السلطان تيبو بن حيدر علي سلطان مايسور — يقف وقفته الأخيرة المشهورة أمام جيش الاحتلال البريطاني ، وكانت حفنة مكوّنة من ١٥٠ متطوع فرنسي تساعده في وقفته هذه ، وقد أطلق عليه فرنسيّو الثورة اسم « المواطن تيبو » وكأنه احد قادة الثورة الفرنسية آنذاك (٣) .

بينما كانت تقع هذه الحوادث وأمثالها في قلب العالم الاسلامي وأطرافه بدأ المؤرّخ المصري الكبير عبدالرحمن الجبرتي يدوّن وقائع الحملة الفرنسية في مطلع الجزء الثالث من تاريخه المعروف « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ويقول في محرّم من سنة سنة ١٢١٤ هـ الموافق لشهر حزيران من عام ١٧٩٨ م :

---

(٢) نقولا الترك من ديوانه تحقيق الأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، بيروت ١٩٤٩ ، ص ١٨٠ . ترجع أهمية المعلم نقولا الترك إلى تاريخه المعروف عن الحملة الفرنسية ، أما عن شعره فانظر تعليق الأستاذ البستاني في مقدمته للديوان ، صفحة « ى » .

(٣) حول مقاومة السلطان تيبو للاحتلال البريطاني ، انظر كتاب « **تاريخ الهند** » *History of India* , by Michael Edwards , London , 1967 ص ٢١٣ .

« وهي أول سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الاهوال واختلاف الاحوال ... » (٤)

وفي نفس السنة — أي سنة ١٧٩٨ م — وفي الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية في اليمن ، كان رجل الدولة القاضي والعالم الإسلامي الكبير محمد بن علي الشوكاني ، يؤلف كتابه المعروف « البدر طالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ويقول في مطلعه :

« فانه لما شاع على ألسن جماعة من اختصاص سلف هذه الأمة باحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها ، حتّى اشتهر عن جماعة من اهل هذه المذاهب ... تعذّر وجود مجتهد بعد المائة السادسة ، كما نقل عن البعض ، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون ... حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومَنْ بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا ليعلمَ صاحب تلك المقالة أن الله وله المِنّة قد تفضّل على الخلف كما تفضّل على السلف . **بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها مَنْ يقلّ نظيره من أهل العصور المتقدمة** كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب . » (٥)

إن مدح الشاعر لنابليون والجيش الفرنسي بأبيات لاتمت إلى الشعر العربي الأصيل بشيء هو مثال للسلبيات التي رافقت عهود الاحتلال الأجنبي منذ بدئها ، ويجدر بنا أن نتجاهلها في بحثنا الآن لأنه لاعلاقة لها بما سبق بل بما لحق بالتدخل الغربي . ووقفة تيبو سلطان امام التدخل البريطاني في الهند شبيهة بغيرها من الوقفات التي حاول العالم الإسلامي أن يقفها أمام الغزاة — في تركيا وايران أمام الجيوش الروسية مثلاً ، وفي عكّا أمام نابليون نفسه وفي شمال افريقيا امام الاحتلال الفرنسي ، وغيرها . وهذه كلها تمثل انتصار السلاح وليس انتصار الفكر . ولا علاقة لها بالحياة الفكرية التي نحن بصددها في هذا البحث .

(٤) عبدالرحمن الجبرتي ، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، القاهرة ، بولاق ١٨٧٩ ، المجلد الثالث ، ص ٢ .

(٥) محمد بن علي الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، القاهرة ١٣٤٨/١٩٣٠ ، المجلد الأول ، ص ٣ .

أما صيحة الجبرتي حول « اختلال الزمن وانعكاس المطبوع » وقول الشوكاني من أنه « ربما كان من أهل العصور المتأخرة من العلماء ... من يقلّ نظيره من أهل العصور المتقدمة » تدعونا إلى الرجوع إلى العصر الذي يمثله الجبرتي والشوكاني — وهو القرن الثامن عشر — حتى نتفهّم الوضع في الفترة التي سبقت التدخل الأجنبي وبالتالي لنشرح الإمكانيات التي كان لابدّ أن تلعب دورها في العالم الاسلامي لولا تدخل الغرب في مقدرات الشعوب الاسلامية .

ونحن في بحثنا هذا لايهمّنا التجديد بقدر ماتهمنا مظاهر الحياة الفكرية نفسها في العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر . فاذا استعرضنا الأوضاع الفكرية في شتى البلاد الاسلامية ، من المغرب العربي حتى دولة المغول في الهند شرقاً ، ومن الدولة العثمانية شمالاً حتى اليمن جنوباً (معرّجين على الدول الإسلامية في أفريقيا السوداء في ذلك الوقت) نجد العديد من العلماء المسلمين الذين مافتئوا يبحثون في مختلف النشاطات الاسلامية من الدين وأركانه والشريعة وأصولها والكلام ومجادلاته — زد على ذلك الفلسفة والتصوف التي إن لم تكن من الاسلام في شيء أصلاً إلاّ أنها أصبحت مع الزمن من صميم الحضارة الاسلامية ومقوّماتها .

أما التجديد والأخذ بالحضارة الغربية بمختلف نواحيها ، فهذه جاءت بعد التدخل الأجنبي والاحتلال الغربي ، وهي من مشاكل القرن التاسع عشر والعشرين ولا تزال — حيث حاول العالم الإسلامي أن يردّ الآراء الغربية برمّتها أحياناً ويقتبس منها بعض مايتلاءم مع حياة مجتمعاته ونزعاتهم أحياناً أخرى ، وجاء ماسُمّي بدور الاصلاح بمختلف وجوهه : في الدين والدستور والشرع ، وتبدّلت الأوضاع وتغيرت الأحوال وانعكس المطبوع ... (كما قال الجبرتي) .

همّنا اذاً نرجع إلى القرن الثامن عشر حيث الحضارة الإسلامية الأصيلة قبل أن تشوبها شوائب الغرب كي ندرسها ونتفهّمها ونحلل إمكانياتها وإن استطعنا بعد ذلك ، أن نصدر حكم التاريخ عليها .

اعتبارات أولية : هناك اعتبارات عديدة يجدر بنا أن ننظر فيها ونحدّد موقفنا منها قبل الخوض في هذا الموضوع ، منها مايلي :

أ) اذا اعتبرنا أن الفكر الاسلامي هو جزء لايتجزأ من الفكر الحضاري في العالم أجمع يجب علينا أولاً أن نقارنه بالحركات الفكرية في بلدان غير اسلامية ، وأهمها الحركة الفكرية الأوربية التي سبقت الثورة الفرنسية ـ وهي ماعرف بعصر « الإشعاع الفكري » في القرن الثامن عشر . ويجب علينا ثانياً أن نقرّر ماإذا كان الفكر الاسلامي في هذا الدور يمثل الانحطاط والتقهقر الذي طالما حدثنا عنه المؤرخون والكتاب من غربيين وشرقيين . وبينما توجد بين أيدينا المئات من الدراسات حول عصر الأشعاع الاوروبي ، نجد أنفسنا أقرب إلى الجهل المطبق بالنسبة إلى تاريخ الفكر الإسلامي خصوصاً في العصور الأخيرة . فنحن والحالة هذه لانستطيع أن نجيب على هذا السؤال بشقيه ، ولا سبيل أمامنا سوى أن ننتظر حتى تتوفّر لدينا الدراسات والأبحاث المطلوبة .

ب) ماذا نعني بالمفكر المسلم ؟ وهل كلمة « علماء » التي يتداولها الكتاب والمؤلفون في دراساتهم حول هذا الموضوع تفي بالمطلوب ؟ لقد واجه المفكرون الأوروبيون في عصر ماقبل الثورة الفرنسية نفس المشكلة واختلفوا كثيراً فيما بينهم حول تحديد معنى كلمة « فيلُوسوف » (بلفظها الفرنسي) التي درج اطلاقها آنذاك على المفكرين من امثال فولتير وروسو وديدرو وغيرهم . وقد عالج قضية العلم والعلماء اسلامياً احد كبار المفكرين المسلمين في القرن الثامن عشر ، ان لم يكن أكبرهم ، وهو الشيخ مرتضى الزبيدي ، وكتب فصلاً مطولاً حول هذا الموضوع في المجلد الأول من شرحه لكتاب إحياء علوم الدين للغزالي . وقد شاء الزبيدي أن يشير في أثناء بحثه إلى قراءة أخرى للآية القرآنية المعروفة « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ، وهي القراءة التي ترفع اسم الجلالة وتجعله فاعلاً في الجملة ، وتنصب لفظة « العلماء » على أنها مفعول به ـ وقد أضاف الزبيدي في شرحه لهذه الآية أن الخشية في هذه الحال معناها التعظيم والاجلال لهم وليس الخوف منهم (٦) . ثم إننا نرى كاتباً آخر هو أحمد بن صالح الأدهمي المتوفي سنة ١٧٤٦ م وأصله من حلب يفرّق بين نوعين من العلماء : « رجال العلم والأدب » و « رجال المناصب والرتب » (٧) . ويهمّنا بالطبع في بحثنا هذا الصنف الأول من هؤلاء

(٦) مرتضى الزبيدي ، شرح إحياء علوم الدين في ١٠ مجلدات ، القاهرة ١٣١١/ ١٨٩٤ ، المجلد الأول ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، والإشارة إلى الآية ٢٨ من سورة « فاطر » .

(٧) أحمد بن صالح الأدهمي : انظر مختصراً لرحلته بقلم عبدالقادر المغربي في **مجلة المجمع العلمي العربي** دمشق ، السنة السابعة (١٩٢٧) ص ٢٩٩ ـ ٣١٤ و ٣٤٦ ـ ٣٥٨ .

الناس ، فالعلماء المتحررون من السلطة الزمنية يمكننا أن نتتبّع أقوالهم ونحلّل أفعالهم دون أن نخشى أن تكون لهم أغراض أخرى تبرّر مايقولون ويفعلون . ومع أنه من الصعب جداً التفريق بين العالم الديني والعالِم الدنيوي في الاسلام الا أننا سنحاول بقدر المستطاع أن نختار علماءنا من النوع الذي يفيدنا في بحثنا عن الحركة الفكرية في هذا العصر أي في القرن الثامن عشر الذي اخترناه زمناً تاريخياً لدراستنا هذه — وهؤلاء سيكونون أبعد مايمكن عن الدولة وسياستها والسلطان وسطوته ، وأقرب مايمكن لمن يسمّون بالمفكرين الاحرار في عصرنا الحاضر .

ج) ثم هناك الحياة الفكرية الاسلامية أو الحضارة الاسلامية بمفهومها العام — ماذا نعني بها ؟ وكيف بالتالي يمكننا أن نقارن بينها وبين مايعُرف بالحضارة المسيحية الغربية ؟ هل الاسلام الذي نبحث فيه خلال القرن الثامن عشر هو نفسه إسلام الأشعري والغزالي وغيرهم من علماء العصور المتوسطة ، الذي قال لنا العديدون ممّن لم يدرسوه دراسة وافية ولم يفهموه فهماً صحيحاً ، إنه « انتظم وتحجر ، ولم يعد بالامكان أحسن ممّا كان » ؟ كيف يمكن أن نرضى بالقول المردود ان المفاهيم الاسلامية والحركات الفكرية التي نمت وترعرعت تحت كنف الاسلام في قرونه الأولى قد وقف نموّها وانتهت إمكانياتها أثناء القرون التالية (بعد حملات المغول مثلاً) ؟ لم يدرس لنا أحد تطور الفكر الإسلامي عند طائفة من العلماء المتأخرين من مثل عضد الدين الإيجي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وجلال الدين الدواني وغيرهم ممّن قضوا معظم أيامهم يدرسون الدين وأصوله والشريعة وفروعها والكلام وحيثياته . كما أننا لانجد بين أيدينا دراسة شاملة لتطور الفكر الإسلامي لدى المتأخرين من علماء الشيعة كالعلامة ابن المطهّر الحلي والشهيد الأول أحمد بن مكّي العاملي والمقداد السيُّوري وأحمد بن فهد الحلي وغيرهم حتى نصل أخيراً إلى العصر الصفوي في ايران وعلمائه كالمحقّق الكركي والشيخ البهائي ومحمد باقر المجلسي (هذا اذا رضينا بأن هناك فروقاً أساسية بين علماء السنة وعلماء الشيعة في بحث الحياة الفكرية في العالم الاسلامي بأجمعه في أي دور من أدواره) . إن الحياة الفكرية الإسلامية التي يجب أن تبقى نصب أعيننا أثناء بحثنا هذا هي تلك التي تصل عبر القرون بين الغزالي المتوفى سنة ١١١١ م وشارح إحيائه الشيخ مرتضى الزبيدي المتوّفى سنة ١٧٩١ م في آخر القرن الثامن عشر .

د) قد يقول البعض إنه من الأفضل أن نخصص بحثاً مستقلا لكل واحد من علمائنا في القرن الثامن عشر قبل أن نجمع بينهم ونصدر حكمنا على القرن بأكمله . لاشك أن المعالجة الفردية لها قيمتها وهي مايجب عمله بالضرورة ، لكننا اذا ألقينا نظرة شاملة على العالم الاسلامي قبل مجيء الغرب في آخر القرن الثامن عشر ، نجده عالماً واحداً ، مشاكله واحدة وأوضاعه واحدة وأفكاره واحدة . وسوف نجد أن العلماء الذين اخترناهم لهذا البحث من مختلف أرجاء العالم الاسلامي يتكلّمون لغة واحدة ويبحثون في نفس المواضيع ويخرجون بنفس النتائج . ومع أن الفترة بين عام ١٥٠٠ و ١٨٠٠ تقاسمها في العالم الإسلامي ، كما ذكرنا سابقاً ، أُسر حاكمة كلها تركية ـ مغولية في بلاطات سلاطينها من عثمانيين ومماليك وصفويين وأوزبك ومغول في الهند ، إلاّ أن شعوب هذه الدول كانت كلها شعوباً إسلامية ورثت الدين الاسلامي القويم والحضارة العربية ـ الفارسية ـ التركية ومقوماتها . لذلك لابأس علينا ان أقدمنا على عرض الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر برمّته من الهند إلى المغرب ومن تركيا إلى اليمن ككتلة واحدة لم لم يجزئها سوى الغرب والآراء (القومية) التي جلبها معه .

هـ) يجب ألا ننسى أن من أكبر قضايا هذا البحث هي ندرة المصادر الأصلية أو قلّة توفرها للباحث . فالعدد العديد من مؤلفات كُتّاب هذا العصر لم تنشر ، أو هي إن نشرت ، تكاد تكون صعبة المنال . والكلام حول موضوع تحقيق ونشر المخطوطات العربية ـ الإسلامية في مختلف لغاتها وأهمية ذلك بالنسبة إلى موضوع يبحث الحياة الفكرية بأكملها يطول . ولعل « نظرية لانحطاط » التي طالما كتب عنها الكثيرون هي نتيجة طبيعية لعدم نشر المصادر وتوفرها ـ فالمرء عدوّ لما يجهل . لذلك يجدر بنا أن نقرّ ونعترف بأن هذا البحث سيبقى ناقصاً مالم تتوفر المصادر التي بواسطتها يمكننا أن نتفهم الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر بجميع مظاهرها .

و) ولا بد لنا أخيراً أن نقول بأن العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر ، وهو عهد التجديد والتطور والاصلاح ، لايمكن أن نفهم ماحدث فيه نتيجة التدخل الغربي فهماً صحيحاً إلا بالرجوع إلى القرن الذي سبقه ، فان ردود الفعل العنيفة التي رافقت الأحداث في فترات الاحتلال الأجنبي يمكن تبريرها فقط اذا رجعنا إلى الأدوار التي سبقتها . فالحياة الفكرية الإسلامية في القرن الثامن عشر ومضامينها هي التي أوجدت

الردود الشديدة التي نراها في القرن التاسع نشر وما بعده . فانه من الصعب جداً ، ان لم يكن من المستحيل ، ان نفهم الدور الذي لعبه السيد جمال الدين الأفغاني مثلا في القرن التاسع عشر مالم ندرس الأوضاع التي يمثلها السيد مرتضى الزبيدي وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين في القرن الثامن عشر . (٨)

إعادة النظر في التاريخ السياسي لهذا العصر :

لقد بالغ معظم المؤرخين المعاصرين في وصفهم للأحداث السياسية التي وقعت في القرن الثامن عشر ودونّوها لنا وكأنّها حروب متواصلة وقلاقل مستمرة في جميع أطراف العالم الاسلامي . وقد يكون الذنب في ذلك ذنب المصادر التاريخية نفسها التي اعتمدوا عليها ، فإن معظم هذه المصادر ان لم يكن كلّها تتعلق بالملوك والسلاطين وايامهم وحروبهم ودسائس بلاطاتهم ، وكان ذلك كله على حساب التاريخ الحضاري للشعوب الاسلامية نفسها ، فقد بقي هذا مهملاً لانعرف عنه شيئاً .

وإذا أعدنا النظر في هذا التاريخ نفسه نجده يختلف عما قيل لنا عنه . فالدولة العثمانية مثلاً ، بعد معاهدة كارلوفتس عام ١٦٩٩ ، أوقفت سياستها التوسّعية في أوروبا وبدأ عهد السلطان أحمد الثالث وكأنه عهد جديد في تاريخ آل عثمان (٩) وسرعان ماتأسّست اول مطبعة في اسطنبول سنة ١٧٢٩ .

وفي قلب العالم الاسلامي – في العراق وسورية ومصر – ظهرت شخصيات جديدة على مسرح الحياة السياسية من امثال علي بك الكبير ومحمد أبو الذهب والجزّار وآل العظم في سورية والأمراء الشهابيين في جبل لبنان ، وظاهر العمر في فلسطين وسلالة الجليليين في الموصل والولاة في بغداد والبصرة من عائلة احمد باشا الوالي وأولاده وأحفاده –

---

(٨) انظر على سبيل المثال كتاب « **سياسة التغير الاجتماعي في الشرق الأوسط وشمال افريقيا** »
The politics of Social Change in the Middle East and North Africa , by M . Halpern , princeton Un . press , 1963
وقد شرع الأستاذ هالبيرن في الآونةالأخيرة باعادة النظر في آرائه حول ماعرف بالمجتمعات التقليدية .

(٩) من مقالة بقلم يوريل هايد U . Heyd في « **تاريخ الاسلام لجامعة كمبردج** » ،
Cambridge History of Islami , Cambridge Un . press , 1970
المجلد الأول ، ص ٣٥٤ .

كل هؤلاء وغيرهم كانوا يمثلون نوعاً جديداً من القادة هم أقرب إلى ماسمي « بالطغاة المستنيرين » المعاصرين لهم في بعض أنحاء أوروبا . وباستطاعتنا أن نقول مثلاً إن مكافأة محمد أبي الذهب للزبيدي على كتابه « شرح الإحياء » ، وجعل النسخة الأصلية منه وقفاً في المدرسة التابعة للجامع الذي ابتناه أبو الذهب في القاهرة ، هي أهم بكثير من الحروب والمناوشات التي قضى معظم حياته يخوضها .(١٠) والملاحظة التي أبداها المؤرخ المعاصر كمال الصليبي وقال فيها : « ان تاريخ هذه الكيانات العربية الناجحة التي ظهرت واستمرّت في جبل لبنان وفي الجزيرة العربية في تلك القرون المظلمة هي أغنى وأبهى مايمكننا أن نجده في تاريخ العرب في عهد آل عثمان (١١) ، يمكن تطبيقها على جميع هذه الشخصيات والسلالات التي ظهرت في أنحاء مختلفة من العالم العربي — الاسلامي في القرن الثامن عشر — وحبّذا وقد وصفها « بالغنى والبهاء » لو أنه أخرجها من إطار « الظلمة » التي وضعها فيه .

وفي شمال أفريقيا أيضاً نجد عهوداً جديدة مشرقة في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب (١٢) — وفي ايران انتهى العصر الصفوي سنة ١٧٢٢ وبدأ عهد سلالة الزَّنْد في شيراز ، وكانت سلالة متحرّرة مستنيرة يمثلها كريم خان زَنْد وخلفه . وفي الهند كانت سلالة المغول لاتزال تملك زمام الأمر في دلهي بالرغم من الويلات التي جلبها عليها نادر شاه أفشار الايراني وأحمد شاه درّاني الأفغاني وحملاتهم المتكررة على تلك البلاد ، وبالرغم من التدخل البريطاني الذي كان قد ثبّت أقدامه في البنغال في اواسط القرن عن طريق شركة الهند الشرقية .

---

(١٠) محمود الشرقاوي ، **مصر في القرن الثامن عشر** ، القاهرة ١٩٥٦ ، الجزء الثاني ، ص ٧٩ . يقول الأستاذ الشرقاوي في حديثه عن محمد أبو الذهب : « وكانت مصر في مدة حكمه القصيرة تنعم بالأمن والرخاء .. بنى مسجده ومدرسته في مواجهة الجامع الأزهر في أواخر سنة ١١٨٧ ، ورتب لهما وقفاً كبيراً ، واختار له الشيخ أحمد الدردير مفتياً للمالكية ... كما اختار للتدريس فيها طائفة من كبار العلماء خصص لهم الرواتب من المال والقمح ، وجعل فيها خزانة كبيرة للكتب اختار لها أميناً ومدرساً للغة التركية ، واشترى لها مكتبة الشيخ أحمد الراشدي ، وبذل للسيد مرتضى الزبيدي ١٠٠,٠٠٠ درهم فضة ليضع فيها كتابه تاج العروس » .

(١١) كمال سليمان الصليبي ، في جريدة **النهار** البيروتية ، ٢٨ شباط ١٩٧٥ ، ص ١٠ .

(١٢) انظر مقالة بقلم أندريه ريمون (A. Raymond) في « **تاريخ الاسلام لجامعة كمبردج** »، المجلد الثاني ، ص ٢٦٦ — ٢٩٨ .

فهناك إذن جوانب أخرى للتاريخ الاسلامي في القرن الثامن عشر لم يعالجها المؤرخون بعدُ معالجةً صحيحة ولم يوفوها حقّها من البحث العلمي المتّزن . واننا نرى ، على أي حال ، أن دار الاسلام في القرن الثامن عشر كانت لاتزال بأيدي أهلها تحكمها سلالات إسلامية تطبّق في حكمها الشرع الإسلامي والقوانين الاسلامية على شعوبها المتعددة . ونحن بحاجة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي لهذا القرن لتبرز فيه خصائصه الإيجابية دون ان تطمسها قصص الحروب والويلات التي تجرّها معها . ومتى عرفنا حقيقة هذا التاريخ نستطيع أن نفهم على الوجه الأصلح تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والحضارية التي عاش في ظلّها العلماء والمفكرون المسلمون الذين اخترناهم ليمثلوا الحياة الفكرية في هذا الجزء الكبير من العالم .

العلماء ــ المفكّرون : انه من الصعب جداً اختيار فئة من العلماء والمفكرين المسلمين واعتبارهم الممثلين للحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر . فالأعداد كثيرة والمذاهب مختلفة والمقاييس غير متوفرة . ولكن ، وبعد مطالعة الكثير من المصادر الأصلية وتتبّع حياة العديد من العلماء في كتب الطبقات وغيرها خرجنا بقائمة تمثّل النخبة البارزة منهم من مختلف أنحاء العالم الاسلامي :

من الهند لاشك : في أن المفكر والعلامة الهندي شاه ولي الله دهلوي هو خير من يمثل الحياة الفكرية في شبه القارة الهندية ، وفي معظم أنحاء العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر . فكتابه « حُجّة الله البالِغَة » وآراؤه في كثير من المواضيع كانت ولا تزال نقطة انطلاق لكثير من المفكرين المسلمين الذين جاؤوا بعده . وقد عالج في هذا المؤلف الكبير كثيراً من الأبحاث في الأصول والشرع خصوصاً مايتعلق منها بالصلاة والزكاة والصوم والحج والقصاص والحدود والجهاد وأحكام المعاملات وغير ذلك من القضايا المهمة التي هي من صلب الدين الاسلامي ومفاهيمه . ولا يزال هذا الكتاب من الكتب المقرّرة في جامعة الأزهر بالقاهرة . وفي مقدمة كتابه ، يقول الدهلوي « إن الأعمال معتبرة بالنيّات والهيآت النفسانية التي صدرت منها » . ويضيف قائلاً :

« وقد يُظَنّ أن الأحكام الشرعية غير متضمنة لشيء من المصالح ، وأنه ليس بين الأعمال وبين ماجعل الله جزاء لها مناسبة ، وأن مَثَل التكليف بالشرائع كمَثَل سيّد أراد أن يختبر طاعة عبده ، فأمره برفع حجر أو لمس شجرة ممّا لافائدة فيه غير الاختبار ،

فلما أطاع أوعصى جوزي بعمله . وهذا ظنّ فاسد تكذّبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير . « وأنهى قوله بأن » من عجز أن يعرف (هذه الأمور ، وقد أورد الكثير من الأمثلة عليها) فإنه لم يمسّه من اعلم إلاّ كما يمسس الإبرة الماء حين تغمس في البحر ، وهو بأَنْ يبكي على نفسه أحقّ من أن يُعتدَّ بقوله . (١٣) وقد وصف أحد الكتاب المعاصرين الشاه ولي الله بأنه « كان سابقاً لأوانه ، وأنه مفكّر ثوري حاول أن يجمع بين الأسس الاجتماعية ـ الاقتصادية والأسس الدينية ـ الاخلاقية في الإسلام . » (١٤) وقد توفّي الدهلوي عام ١٧٦٢ م .

من ايران ـ اخترنا ثلاثة علماء من هذا القطر الاسلامي الذي طالما غذى علماؤه الحضارة الأسلامية في مختلف وجوهها . فالسيد نعمة الله الجزائري الذي توفي في مطلع القرن الثامن عشر خلّف لنا من جملة ماخلف وثيقة إنسانية هي قصة حياته عندما انتقل «الجزائر » في جنوبي العراق طالباً العلم في اصفهان وكانت آنذاك حاضرة الدولة الصفوية والمركز العلمي الرئيسي في البلاد ، واشترك هناك مع العلامة المجلسي في تأليف وتدوين « بحار الأنوار » وهي الموسوعة التي جمعت ماانتهت اليه علوم الشيعة في الاسلام (وقد أعيد طبعها حديثاً في أكثر من مائة مجلد) .

وثانيهم الشاعر المؤرخ الشيخ محمد علي « حزين » الذي نشأ في ايران في اواخر العهد الصفوي وألّف كتاباً هاجم فيه سياسة حاكم جديد تسلّط في البلاد بعد ضعف السلالة الصفوية وزوالها ـ هو نادر شاه افشار ، ممّا اضطّر هذا الشاعر والكاتب الحرّ إلى الهرب من وطنه وقضاء بقية عمره « لاجئا سياسيا » في لاهور حيث توفي عام ١٧٦٦ . (ويُذكّرنا هذا بالمؤرّخ الجبرتي الذي عارض سياسة حاكم مصر محمد علي في اوائل القرن التاسع عشر ، فلم تنشر مطبعة الدولة في بولاق كتابه الكبير « عجائب الآثار » . وقد وصف لنا أحد أوائل المستشرقين البريطانيين الشيخ محمد علي « حزين » ـ وكان من

(١٣) شاه ولي الله دهلوي ، **حجة الله البالغة** ، تحقيق السيد سابق ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩ ـ ١١ .

(١٤) انظر المقالة عن « الدهلوي ـ شاه ولي الله » « Dihlawi, Shah Wali Allah » بقلم الأستاذ بزمي الأنصاري Bazmee Ansari من المعهد المركزي للدراسات الاسلامية في كراتشي ، الباكستان ، في **دائرة المعارف الاسلامية** *Encyclopaedia of Islam* الطبعة الجديدة (لايدن ولندن ١٩٦٠) المجلد الثاني ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

معاصريه — بأنه كان « ذا شخصية فريدة متحررة » . أما شعره ، وقد اتّبع في صياغته مايعرف بالسبك الهندي — وهو اسلوب صعب المنال — فإنه يحتوي على الكثير من الآراء الجديدة والأفكار المستحدثة التي تعكس لنا أفكار شاعر حساس قضى نحبه غريباً عن اهله وبلاده .

وثالث الايرانيين هو الشيخ أحمد الاحسائي ، وأصله من الجزيرة العربية ، لكنه قضى معظم حياته في ايران وتوفّي بعد عمــر طويل وهو في طريقه إلى مدينة الرسول . وقد توصّل الشيخ الاحسائي في دراساته حول تطوّر الأفكار الشيعية في الإسلام إلى مايُعرف بنظرية « شيعة كامل » وهي نظرية عويصة يصعب فهمها ، تتعلّق بما يكنّه علماء الشيعة في الإسلام إلى شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من احترام وتقدير يفوقا حد الوصف . وقد اقتبس البابيون والبهائيون في ايران في أواسط القرن التاسع عشر بعض أفكار الشيخ الاحسائي وآرائه وحوّروها بحيث أصبحت لاتمت للاسلام بشيء وخرجوا بذلك عن الدين القويم .

ولا بد لنا ، والبحث لايزال حول ايران وما ساهمت به في الحياة الفكرية لهذا العصر ، من ان نذكر أمرين مهمّين لهما علاقة مباشرة بالفكر الاسلامي وتطوره ، وهما « المدرسة الفلسفية الإشراقية » التي تزعّمها في اصفهان كلّ من مُلاّ صَدْرَا ومير دَامَار ، والتي كان من كبار ممثليها في القرن التاسع عشر مُلاّ هادي سَبْزَ'وي ولا يزل لها أتباع في ايران في عصرنا الحاضر . والأمر الثاني هو « حركة الإخباريين والأصوليين » بين علماء الشيعة ومجادلاتهم التي نشأت في هذا العصر والتي لاتزال تغذّي الأفكار الشيعية حتى يومنا هذا (١٥) .

---

(١٥) قصة حياة السيد نعمة الله الجزائري تجدها في آخر كتابه **الأنوار النعمانية** ، تبريز ، ١٩٦١ المجلد الرابع ، ص ٣٠٢ — ٣٢٦ ، والترجمة بالانكليزية لأجزاء منها في كتاب *Literary History of persia* , by Edward Granville Browne المجلد الرابع ، ص ٣٦١ — ٣٦٧ . وعن الشيخ محمد علي « حزين » انظر ترجمة انكليزية لحياته ، لندن ، ١٨٣٠ ، و وليم أوزلي (William Ousley 1767 – 1842) « المجموعات الشرقية » (*Oriental Collections*) لندن ١٧٩٨ ، المجلد الثاني ، ص ٣٦ . أما عن الشيخ أحمد الاحسائي والحياة الفكرية في ايران عامة انظر كتاب الأستاذ حامد ألكار « الدين والدولة في ايران من ١٧٨٥ إلى ١٩٠٦ » , *Religion and Society in Iran* , 1785 – 1906 , *by* Hamid Algar University of California press , Los Angeles , 1969

وفي العراق : تبدو لنا شخصية المؤرخ الشيخ عبدالله السويدي خير من يمثل بعض مظاهر الحياة الفكرية ، خصوصاً ذلك الدور الذي لعبه في الحلّة في شوال من عام ١١٥٦ الموافق لسنة ١٧٤٣ م عندما كان « الحكم » بين علماء السنة والشيعة وقد اجتمعوا هناك ليبحثوا مسألة « التوحيد بين المذاهب » ـ وهي فكرة طلع بها نادر شاه ليحلّ بعض مشاكله الدينية في ايران والسياسية مع الدولة العثمانية . وقد فشل المؤتمر الكبير كما كان متوقّعاً ولم يبق لنا من أخباره سوى الحيثيّات التي دوّنها السويدي في رسالة وجيزة عنوانها « الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية » وقد نشرت في القاهـرة سنة ١٣٢٣ هـ أي ١٩٠٥ م ، ووردت أجزاء منها في بعض التواريخ الفارسية والتركية لذلك العهد . والرسالة المذكورة ، بالإضافة لما تحويه من المظاهر الإنسانية لتغلغل الروح الدينية من سنية وشيعية في قلوب الحاضرين ، هي وثيقة تاريخية مهمة تمثل أحد مظاهر الجدل الفكري لازم الاسلام منذ نشأته . وهناك غير الشيخ عبدالله من السويديين أنفسهم ومـن العمريين في الموصل والآلوسيين في بغداد ـ وكل منهم يمثل حياة فكرية خصبة تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتحقيق والبحث .

وفي دمشق الشام : كان الشيخ الأستاذ عبدالغني النابلسي يتربع على عرش الحياة الفكرية في سورية دون منازع إلى ان توفاه الله سنة ١٧٣١ م عن عمر يناهز التسعين . وان معظم من يذكرهم المرادي في تاريخه « سلك الدور في أعيان القرن الثاني عشر » من العلماء والمثقفين يعتبرون النابلسي أستاذهم ومعلمهم .

ولا نعرف للنابلسي مدرسة فكرية خاصة سوى أنه كان قبلة المفكرين والعلماء يأتون اليه من كل حدب وصوب ، يطمعون أن يقرأوا بين يديه باباً من أبواب العلم أو يبحثوا معه مشكلة في التفسير أو حديث ينالون بعدها إجازة تثبت علاقتهم بهذا الرجل العلامة المهيب .

كان صوفياً له من الشعر العرفاني عدّة دواوين تحتاج كلها إلى دراسة خاصة لمعرفة ماسكب فيها من الأفكار والآراء ـ وكان معظم مفكري هذا العصر يقرضون الشعر ويتراسلون به (ونذكر هنا على سبيل المثال أن المفكر المعاصر فولتير الفرنسي كان يعتبر أشعر شعراء عصره) . والتصوّف في هذا العصر كان من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وكان كل عالم ومفكّر ينتمي إلى إحدى الطرق الصوفية المعروفة

آنذاك . فالأندية الصوفية كانت المراكز التي كثيراً مايجتمع فيها العلماء فيتسامرون ويشربون القهوة ويدخنون التنباك (وكانت هذه من علامات « التحرر » في ذلك الوقت — وقد خلّف لنا الكثيرون من العلماء رسائل يجيزون فيها القهوة والدخان بعكس العلماء من « ذوي المناصب والرتب » الذين أصرّوا على تحريمها متمشّين في ذلك مع سياسة السلطات الحاكمة) . وقد وصف النابلسي أحد هذه الأندية الصوفية في « الرحلة الطرابلسية فقال :

« دعانا حضرة القاضي يحيى أفندي ... إلى المولويّة ذات الأنهار الدافقة والمحاسن السنية ، فذهبنا ونزّهنا الطرف في بدايع أماكنها الزاهرة ومنازلها العامرة . وكان هناك عدة من الخلان والأفاضل والأعيان فجرت بيننا وبينهم أبحاث عظيمة ولطايف أدبية ونغمات مطربة الاسماع ومداعبات كأمواج البحر اللماع ... ورأينا مع القاضي المذكور كتاباً جليلاً في التاريخ ... » (١٦)

ويستمر النابلسي في الصفحتين التاليتين من رحلته في تقريظ الكتاب ومراجعته وانتقاده وتحليل محتوياته .

وفي مناسبة أخرى ، زار الأديب الشيخ حسين خوجة « رئيس ديوان الإنشاء بالحاضرة التونسية وترجمان الدولة الحسينية » الشيخ عبدالغني وقد « طعن في السن وتجاوز الثمانين » وقال :

« فاجتمعت به أولاً بمدينة دمشق الشام بمكان سكناه قريباً من الجامع الأموي فدخلت عليه فقام إلى قائماً ولاقاني أحسن ملاقاة وأجلسني بإزائه ، فوجدته يشرب الدخان فلما رآني ألقى الدواة من يده فقلت له اشرب ياسيدي ماأنا ممن ينكر ذلك . فأبى ، فأخذتها وجذبت منها جذبة وناولته اياها ، فاستسر وضحك وأخذ يشرب . فقيل لي بعد انفصالي منه إن بعض الموالي من قضاة الشام كان أنكر عليه شرب الدخان وعنفه بذلك ، فألّف في ذلك رسالة وسماها السيف الماضي في رقبة فلان القاضي . » (١٧)

---

(١٦) عبدالغني النابلسي ، **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية** ، مخطوطة في جامعة برنستون (الولايات المتحدة) رقم ٣٣٩٥ ، ص ٣٤ ب .

(١٧) حسين خوجه ، **الذيل لكتاب بشائر أهل الايمان** ، تونس ١٣٢٦/١٩٠٨ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٦ .

وكانت جلسة طويلة بحث الأديبان خلالها تفسير آية « والتين والزيتون » مستعينين في ذلك بتفسير البيضاوي .

وقبل مغادرته دمشق ، زار الشيخ حسين خوجه مقام الشيخ محيي الدين بن عربي وقال : « ثم اني دخلت زاوية المدرسة ، فوجدت الشيخ عبدالغني فيها فدخلت عليه وسلّمت وجلست بين يديه ، وكان معه جماعة من أكابر وأعيان أهل البلد ، فتركهم والتفت إلي فسألني عن حاجتي ، فقلت له إني مسافر غداً ان شاء الله ... مع قافلة إلى القدس الشريف ... »

لاشكّ أن التصوف والأندية الصوفية في جميع أنحاء العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر وقبله كان ظاهرة فريدة من مظاهر المجتمعات الاسلامية من حيث علاقة ذلك بالدين والحياة الفردية من جهة والمنظمات التجارية وغيرها في المدن والقرى كمنظمات الأحداث والأخوّة والفتوّة والأصناف الخ . وقد اعتبر أحد كتاب المعاصرين من المستشرقين أن اختفاء هذه الأندية الصوفية وغيرها من المنظمات الحرفية في العالم الاسلامي بعد مجيء الغرب ، وعدم إيجاد مؤسسات أخرى تسدّ مسدّها ، كان من أكبر المصائب التي حلّت بهذا الجزء من العالم من جرّاء الاحتلال الأجنبي . (وقد أشار كاتب آخر إلى أنه مع كون الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى كالأوزباك والتاجيك وغيرهم خاضعة في يومنا هذا إلى النظام الشيوعي إلاّ أن جميع سائقي التاكسي في طشقند – وهي أكبر مدينة إسلامية في اوزبكستان السوفياتية – ينتمون إلى الطريقة الصوفية النقشبندية (١٨) .

ولننظر إلى القاهرة : إذ كانت هي واسطنبول ودمشق أهم مراكز الثقل للحياة الفكرية في العالم الاسلامي بأسره مع القرن الثامن عشر ، وكثيراً ماتنقّل علماؤنا بين هذه العواصم للزيارة أو للعلم . وكان ذلك التنقل وتلك الروابط بين العلماء والمفكرين من أبرز مظاهر الحياة الفكرية في ذاك العهد – أقول ، في القاهرة كان السيد مرتضى

---

(١٨) أحد كبار المستشرقين هو الأستاذ كيب H. A. R. Gibb وقد عبر عن رأيه هذا في مواطن عدة من مؤلفاته منها « دراسات حول الحضارة الاسلامية » *Studies about the Islamic Civilization* وهي مجموعة لبعض مقالاته ظهرت سنة ١٩٦٨ ، ص ٢١٧ . أما الكاتب الآخر فهو الأستاذ ألكساندر بنيغسون A. Benigson الاختصاصي بتاريخ الاسلام في آسيا الوسطى ، وقد ذكر ذلك أثناء محاضرة له في جامعة برنستون سنة ١٩٧١ .

الزبيدي زعيم الحياة الفكرية بلا منازع ، وكان الجبرتي مؤرّخها وجامع شتات افكارها . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى هذين الشيخين ، الزبيدي والجبرتي ، وثالثهم الشيخ محمد خليل المرادي صاحب « سلك الدور » قد لعبوا دوراً هاماً في تدوين التاريخ الكبير لهذا العصر ، وهو « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » . فأصل الفكرة للمرادي الذي اقترحها علي الزبيدي ، وبدأ هذا يجمع المعلومات ، وتركها أخيراً لأصغرهم سنّاً وهو الجبرتي الذي أخرجها في هذا الكتاب الرائع في أربعة مجلدات .

أما الزبيدي فأحسن من وصف مجالسه الجبرتي إذ قال :

« فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ... ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم .. فيذهب اليهم مع خواصّ الطلبة والمقرىء والمستملي وكاتب الأسماء ، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية ... بحضور الجماعة وصاحب المنزل واصحابه واحبابه وأولاده ونسائه من خلف الستائر ... ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ...»

ويضيف الجبرتي – وكانت بينه وبين الزبيدي صداقة علميّة متينة : « يقول الحقير اني كنت مشاهداً أو حاضراً في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبمسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك . فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن . » (١٩)

وكان الكثيرون يعتبرون زيارة الزبيدي في القاهرة جزءاً من زيارتهم لبيت الله الحرام في مكة في موسم الحج . والحج وهو من أهم الشعائر الدينية في الإسلام ، كان من أهمّ الحلقات التي تربط بين علماء المسلمين من مختلف ديارهم وبلادهم والكثيرون منهم يُمسون في أخريات حياتهم « نزلاء » في الديار المقدسة . يقول الجبرتي :

(١٩) الجبرتي ، **عجائب الآثار** ، المجلد الثاني ، ص ١٩٩ – ٢٠١ .

« وصار له (أي للزبيدي) عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد ... حتى إن أحدهم اذا ورد مصر حاجاً ولم يزره ولم يصله بشيء لايكون حجه كاملاً . فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وخطته وصناعته واولاده وحفظ ذلك أو كتبه ... فتراهم أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن ظفر منه بقطعة ورقة ... يرى أنه قد قبل حجّة وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ....

وأهمّ ماألّف الزبيدي كتابان هما شرحه للإحياء وقاموسه تاج العروس . وما من أحد يرغب في تفهم تطوّر الفكر الاسلامي من الغزالي إلى الزبيدي الاّ وعليه أن يرجع إلى شرح الإحياء وهو « اتحاف السادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » في ١٠ مجلّدات كبيرة — القاهرة ١٣١١ / ١٨٩٤ . وقد أشرنا سابقاً إلى مقدّمته في بحث ماهيّة العلم والعلماء . فقد بحث الزبيدي في « ماهيّة العلم المطلق » فيما اذا كان « ضرورياً وهو رأي فخر الدين الرازي أو « ضرورياً يعسر تعريفه » وهو رأي الغزالي أو « نظريا غير عسير التعريف » وهو رأي الزبيدي نفسه (٢٠) . وتعرّض هناك إلى بحث نظرية « حرمان العلم » وتطرّق إلى « السياسة » واختلف مع الغزالي في كثير من الأمور المتعلّقة بها . ثم فرّق بين ماذا كانت « الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها » وهو رأي الغزالي أم أنّ « الجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق » وهو رأيه في هذا الموضوع . (٢١)

وفي تاج العروس — وهو أكبر موسوعة لغوية في اللغة العربية وقد استعملها المستشرق ادوارد لين نزيل القاهرة أيام محمد علي أساساً لترجمته باللغة الانكليزية — يُبدي الزبيدي رأيه في مطابقة العلم للمكان والزمان فيقول : « ... اذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدّخر لبعض المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدّمين والمعنى أنّ تقدّم الزمان وتأخره ليست له فضيلة في نفسه لأن الأزمان

---

(٢٠) الزبيدي ، شرح الإحياء ، ١ : ٦٤ .

(٢١) نفس المصدر ، ١ : ١٧٤ .

كلها متساوية وإنّما المعتبر الرجال الموجودون في تلك الأزمان . فالمصيب في رأيه ونقله ونقده لايضرّه تأخر زمانه الذي أظهره الله فيه والمخطىء الفاسد الرأي الفاسد الفهم لاينفعه تقدم زمانه . وإنّما المعاصرة كما قيل حجاب والتقليد المحض وبال على صاحبه وعذاب (٢٢) وأضاف في مكان آخر في نفس المعنى : « انّما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته لالقدمه وحدوثه » (٢٣) .

وقد كتب الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجّد حديثاً (سنة ١٩٧١) « ترجمة جديدة للمرتضي الزبيدي » وجعلها مقدمة لتحقيق كتابه « ترويح القلوب في ذكر الملوك من بني أيوب » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

اسطنبول : وقدكادت أن تكون حاضرة العالم الاسلامي كله في القرن الثامن عشر ، كانت تجذب اليها الكثير من العلماء إما للمذاكرة في مدارسها أو طلباً للوظيفة في إحدى المراكز الدينية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية . وتاريخ الجبرتي والمرادي وغيرهما من مجموعات طبقات هذا العصر ملآى بأخبار العلماء والمفكرين المتنقلين من وإلى اسطنبول لهذه الأغراض وغيرها . وقد اخترنا من العلماء « الأتراك » لتمثيل الحركة الفكرية التي نحن بصددها أحمد بن لطف الله المعروف بمنجّم باشي وابراهيم متفرّقة . والأول صاحب آخر تاريخ مطوّل عام للبلاد الاسلامية عنوانه « جامع الدول » لم يحظ بالنشر حتى الآن . وقد قضى أحمد بن لطف الله آخر حياته نزيلاً في مكة حيث كتب رسالة طريفة « في آداب وشرائط المطالعةوما يتعلق بها » اقتناها الشيخ حسن الجبرتي والد المؤرخ ، والنسخة في مكتبة جامعة لايدن ــ ولعلّها الأصل ــ تحمل اسمه وخاتمه . وقد اشتهر الثاني وهو ابراهيم متفرّقة بتأسيس المطبعة التي عرفت باسمه في اسطنبول سنة **١٧٢٩** ولــه رسالتان جديرتان بالبحث أحدهما « أصول الحكم في نظام العالم » نشرها في مطبعته سنة **١٧٣٢** والثانية لاتزال مخطوطة وعنوانها « رسالة إسلامية » وصفها المؤرخ التركي المعاصر الأستاذ نيازي بركس بأنها « مثال مهم الوعي الفكري والحضاري في الدولة العثمانية » (٢٤) .

---

(٢٢) الزبيدي ، **تاج العروس** ، الطبعة الجديدة (الكويت ١٩٦٥ –) ، ١ : ٩٣ .

(٢٣) نفس المصدر ، ١ : ١١ .

(٢٤) انظر مقالته « ابراهيم متفرقة » **I. Muteferrika** » في دائرة المعارف الاسلامية *Encycl . of Islam* الطبعة الجديدة لايدن ولندن ١٩٦٠ – ، المجلد الثالث ، ص ٩٩٦ – ٩٩٨ .

وفي الجزيرة العربية — كانت حركة محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣ — ١٧٩٢) وهي ماعرفت بعدئذ بالحركة الوهابية الحركة الفكرية الوحيدة في العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر التي قدّر لها أن تتطوّر وتتحوّل إلى فلسفة جديدة نشأت على أساسها دولة آل سعود في نجد . ويبدو أن هذه الحركة كانت تستهدف جميع أنحاء العالم الإسلامي فقد تأثر بها أتباع الشاه ولي الله دهلوي في الشرق والحركة السنوسية في الغرب . ولولا أن تكتّل عليها محمد علي وأولاده في مصر والدولة العثمانية وقضوا على مراكزها في وسط الجزيرة لكانت آثارها أبعد بكثير وأعمّ مما آلت اليه . والمفكّر الآخر من الجزيرة الذي يمثّل في رأينا الحياة الفكرية في العالم الاسلامي خلال القرن الثامن عشر خير تمثيل هو محمد بن علي الشوكاني (ولد سنة ١٧٥٩ في اليمن) ، وقد مرّ ذكره في مطلع هذا البحث وتعرّضنا لبعض آرائه في مقدمة كتابه « البدر الطالع » . وقد حمل الشوكاني في كثير من كتبه ورسائله حملة عنيفة على منكري الاجتهاد (ويجدر بنا أن نأخذ هذه الكلمة بمعناها العام وهو الأصالة في التفكير ولا نتقيّد بمعناها الديني الصرف) وقال في « قطر الولي » أثناء حديث طويل في هذا الموضوع :

« والبعيد كل البعد عن الحق قول من قال إن كل مجتهد مصيب من الاصابة وان كل واحد من العلماء قد أصاب الحق الذي يريده الله سبحانه ، فإنّهم قد جعلوا مراد الله عز وجل أمراً دائراً بين اجتهادات المجتهدين إلى يوم القيامة . فكل مجتهد إذا اجتهد فذلك الاجتهاد هو مراد الله من العباد وإن خالف اجتهاد غيره وناقضه .. » (٢٥) .

وردّد صدى هذا القول من الطرف الآخر في العالم الاسلامي من الهند الشاه ولي الله الدهلوي المتوفّى سنة ١٧٦٢ (وقد جاء اسمه في رأس قائمة العلماء هذه) :

« فما يظنّ فيمن كان موافقاً لشيخه في أكثر المسائل لكنه يعرف لكل حكم دليلا ويطمئنّ قلبه بذلك الدليل وهو على بصيرة من أمره أنه ليس بمجتهد ظنّ فاسد . وكذلك مايظنّ من أن المجتهد لايوجد في هذه الأزمنة اعتماداً على الظنّ الأول بناء على فاسد» (٢٦)

---

(٢٥) الشوكاني ، **قطر الولي** ، دراسة وتحقيق ابرهيم ابرهيم هلال ، القاهرة ١٩٦٩ (وقد ظهر هذا الكتاب تحت عنوان ولاية الله والطريق اليها) ، ص ٣٢٦ .

(٢٦) شاه ولي الله دهلوي ، **عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد** ، من مجموعة رسائل ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ٣٢ .

خلاصة القول : ان ماقدّمناه في هذا البحث كان عرضاً سريعاً لعدد من العلماء والمفكرين من مختلف انحاء العالم الاسلامي في الفترة بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ ، أي في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي ، وهي الفترة التاريخية الهامة التي سبقت مباشرة التدخل الغربي والاحتلال الأجنبي لمعظم دول الاسلام . وقد فعلنا ذلك ضمن نطاق الحضارة الاسلامية التي لم يكن هؤلاء الناس يعرفون غيرها بديلا . وشرحنا بعض آرائهم ونتاج أفكارهم كمقدمة موجزة لدراسة مفصّلة سوف نقوم بها مستقبلا لنوفيهم حقهم من البحث والتحليل . والكلام في هذا الموضوع يطول ، ونحن على أي حال لانزال في أول الطريق .

وأول مايستطيع المرء أن يستخلصه من هذه النظرة الاجمالية التي قدمناها هو ان الحياة الفكرية في ديار الاسلام كانت لاتزال حيّة خصبة ، وان الآراء المتفاعلة بين هؤلاء العلماء كانت في طريقها لأن تصبح « حركة فكرية جديدة موحّدة » ، وكان من المنتظر أن تحدث عنها تغييرات جذرية في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية للعالم الاسلامي ومجتمعاته . لكن جاء الغرب بجيوشه واحتلاله وآرائه ولم يعد لهذه الأفكار الاسلامية الأصيلة مجال لأن تنشأ وتتطوّر في ديارها لينتج عنها ماقد يتوخاه أي إنسان درس هذه الأفكار وتتبع سير نموها واتجاهاتها .

وأبعد مايمكن أن يستنتجه المرء من هذا العرض هو توقّع حدوث ثورة تعصف بالأوضاع الاسلامية كلها — كما حدث في الغرب إبّان الثورة الفرنسية وما تلاها من الثورات التي اجتاحت أوروبا في النصف الأول من القرن التاسع عشر وغيّرت مجرى الحياة فيها دون ان تحلّ المشاكل المستعصية في الحضارة الغربية ومجتمعاتها .

أما الاستنتاج الأول فهو من صميم الاسلام المتطوّر عبر القرون .

والاستنتاج الثاني لامحلّ له ولا فائدة ترجى منه في الحياة الاسلامية الهادئة الرتيبة . فالاسلام يحلّ مشاكله ضمن اطار الحضارة الاسلامية التي ورثها المسلمون عن آبائهم وأجدادهم منذ نشأة دينهم .

وفي كلا الحالتين سوف تظل الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها بعيدة المنال ، لأن ماحدث في العالم كله بعد سنة ١٨٠٠ لم يعد يسمح لأيّة حضارة أن تتطوّر ضمن تقاليدها ومفاهيمها الخاصة بها .

الصلات التاريخية والحضارية

للعرب قبل الإسلام

الدكتور عدنان يوسف سكيك
كلية التربية ـ جامعة الفاتح
طرابلس

كثير من الدارسين والمؤرخين يشير إلى عزلة العرب في جزيرتهم قبل الاسلام وكأنها قضية لاتحتمل النقاش ولا تحتاج إلى برهان . فالعرب صفت دماؤهم ونقت لغتهم وعزت جزيرتهم ، لم يقتحمها أحد من الغزاة ، ولم يدفع سكانها اتاوة لحاكم ولم يدينوا بالطاعة لملك أو أمير ولم يخضعوا لقانون أو نظام ...

وقد يكون للدارسين عذر في ترديد تلك الآراء حتى القرن التاسع عشر ، أما وقد كشفت الاحافير الحديثة في القرنين التاسع عشر والعشرين عن حضارات عريقة وحكومات عتيدة وصلات عديدة للأمة العربية بجيرانها ، فان من التجني على العلم والتاريخ ترديد مازعمه الأقدمون وبعض المحدثين حول جهالة العرب وجهلهم وتوحشهم وتخلفهم وعزلتهم قبل الاسلام .

ومن الإنصاف للعلم والتاريخ أن نناقش تلك القضايا أو المسلمات مناقشة علمية ، لأنها تمس تاريخ امتنا البعيد ، حيث أقام العرب حضارة ترجع في قدمها وأصالتها إلى مابعد الألف الثاني قبل الميلاد . وبذلك نقدم تفسيراً معقولاً للحضارة التي مدّ الإسلام رواقها حتى شملت معظم أقطار جنوب شرق آسيا . فلولا أصول الحضارة الكامنة في أعراق الأمة العربية والمتأصلة في تاريخهم البعيد قبل الإسلام ، لما استطاع العرب أن يوطدوا دعائم الملك ويقيموا العمران ويهضموا علوم الأمم وآدابها في فترة لاتزيد عن قرنين من عمر الزمن ، منذ ظهور الإسلام .

صلات فرضها الموقع : ومع الجزيرة في الطرف الجنوبي الغربي من آسيا يجعلها تتصل بأعرق حضارات جنوب غرب آسيا . فحضارة مصر والحبشة إلى الغرب ، وحضارة فارس في الشرق ومن ورائها حضارة الهنود والصينيين الذين ارتبطوا بالعرب بأوثق الصلات التجارية . وتقع حضارة مابين النهرين في الطرف الشمالي من الجزيرة ، كما تقع الحضارات : ـــ الآرامية والفينيقية والعبرية عند شمالها الغربي .

والطرق إلى تلك الحضارات متعددة الفروع براً وبحراً ، ودواعي الاتصال كثيرة مستمرة عبر العصور . فخطوط التجارة لم تنقطع ، وسيل الهجرات ظل يفيض ويغمر أرجاء الشرق الأوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد حتى ظهور الإسلام ، والغزوات الحربية والتفريغ السكاني السلمي ، وانتجاع الكلأ للمرعى في سنوات الجفاف ... كل تلك الأسباب كانت تحمل سكان الجزيرة على الاختلاط بالأمم المجاورة ، مع كل مايحمله الاختلاط من تطعيم للغات والديانات والفنون والثقافة وضروب الحضارة .

وصلات هيأتها التضاريس : وقد مكن ساحلها الطويل المتعرج ذو الفجوات من اقامة موانيء كثيرة هامـــة في جهاتها الثلاث ، ظلت نشطة حتى ظهور الاسلام ومن أشهر موانئها القديمة قبل الإسلام : جرها (العقير الحالية) ، دبا (دبى الحالية) ، مسقط ، صحار ، عدن ، موزع (قرب الحديدة الحالية) والحوراء ميناء الحجر ، الجار (قرب ينبع الحالية) .

والجزيرة العربية ليست صحراء في مجملها كما هو شائع ، فمعظمها جبال وهضاب وسهول قابلة للزراعة أو الرعي أو التشجير (١) . ومعظم الصحارى — إذا استثنينا الربع الخالي — تتخللها الواحات والعيون والآبار والأودية ، فيرتادها الرعاة والتجار والقوافل ، لأن كثير من تلك المواضع كانت تسمح باقامة القرى الزراعيـــة أو التجارية كديدان (العلا الحالية) الحجر (مدائن صالح الحالية) ، مدين ، تيماء معان ... وغيرها كثير من أطراف الجزيرة ووسطها .

وسلسلة جبال السراة في الحجاز ظلت الخط الرئيسي للتجارة والحضارة وهي تصل مابين اليمن والشام منذ أقدم العصور حتى بعد ظهور الأسلام . والصحراء الواسعة الممتدة من جنوب الجزيرة إلى شمالها لم تستطع عزل العرب عن الأمم والشعوب المجاورة فكثيراً ماأوغل الآشوريين والفرس حتى وصل بعضهم إلى اليمامة في قلب الجزيرة العربية (٢) ، كما وصل الأحباش والرومان إلى وسط الحجاز أحياناً . وكثير من المؤرخين

(١) احمد الشريف ، **مكة والمدينة** . القاهرة : دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ص ١٠ — ١١ .

(٢) فيليب حتى ، **تاريخ العرب المطول** . ترجمة **ادوارد جرجي وجبرائيل جبور** ، بيروت : دار الكشاف ، ١٩٥٣ ، ص ٤٥ — ٥٠ ، وانظر أيضاً جرجي زيدان ، **تاريخ العرب قبل الاسلام** . القاهرة : دار الهلال ، بدون تاريخ ؟ . ص ١١٠ وما بعدها حيث يتحدث المؤلف عن صلات العرب بالمصريين والآشوريين والفرس واليونان والرومان .

يظن أن تلك البوادي هي الموطن الأصلي للساميين الذين استوطنوا العراق والشام وسيناء ، والذين غزوا الحبشة والسودان ومصر غزوا مدنياً أو عسكرياً منذ فجر التاريخ حتى ظهور الاسلام (٣) .

ولا يعقل أن يقطع الساميون الذين استوطنوا تلك البقاع جميع صلاتهم القديمة بموطنهم الأصلي ، فجميع المظاهر المشتركة بين العرب والساميين في اللغات والشرائع والديانات والعادات ... توحي بأن الأواصر ظلت قائمة بين سكان الجزيرة من العرب والمواطن الجديدة في الشمال والغرب .

امتداد حدود الجزيرة نحو الشمال : وانتهاء الحدود المائية للجزيرة العربية لايوحي بانتهاء حدود بحر الصحراء ، فهذا الحد يظل في امتداده نحو الشمال حتى يشمل بادية السماوة في الشمال الشرقي ، وبادية الشام عند الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة . والهمداني يدخل بلاد الشام كله والبادية التي بين العراق والشام وبادية سيناء أيضاً في جزيرة العرب (٤) ... وهيرودوت جعل صحراء مصر الشرقية جزءاً من الجزيرة العربية .

ويذكر د . علي حسني الخربوطلي أن العرب القدامى كانوا يضمون إلى شبه جزيرتهم سيناء وفلسطين وسوريا (٥) ... بحيث تبدأ الحدود الغربية لبلاد العرب عند قنسرين (قرب حمص) ، ومن هناك تمتد شرقاً فتسير مع الفرات وشط العرب حتى سواحل الخليج .

والأصطخري يعد الحد الغربي للجزيرة من أيلة على خليج العقبة إلى البلقاء واذرعات وحوران والغوطة في دمشق حتى يصل بها إلى تدمر وبالي من أعمال قنسرين ، أما الحد الشرقي فيمده مع الفرات نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى الرقة وقرقيسيا (الشمال الشرقي من سوريا) فالحدود الطبيعية لجزيرة العرب تمتد مع الصحارى والجبال لتصل إلى أطراف العراق وأواسط الشام (٦) . وهذه المناطق استوطنها العرب الساميون منذ فجر التاريخ

---

(٣) موسكاني ، **الحضارات السامية القديمة** . ترجمة السيد **يعقوب بكر** ، القاهرة : دار الكاتب العربي للنشر وتاريخ النشر ؟ ، ص ٢٢٥ .

(٤) الحسن بن أحمد الهمذاني ، **صفة جزيرة العرب** . بريل ١٨٨٤ ص١ .

(٥) علي حسن الخربطلي ، **العرب والحضارة** . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٩٦٦ ، ص ٩ .

(٦) ابراهيم بن محمد الأصطخري ، **المسالك والممالك** . تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني ، مصر : دار الثقافة ، ١٩٦١ ، ص ؟ .

(الألف الرابع قبل الميلاد) ، ثم كانت وقفاً على العرب دون سواهم منذ الألف الأول ق م تقريباً ، لأن لفظ (عربي أو عريبي) أصبح يطلق على ساكني الصحراء الواقعة إلى الغرب من العراق منذ ساد الآشوريون أوائل الألف الأول قبل الميلاد (٧) .

وهكذا فإن بلاد العرب الواسعة ، وحدودها المترامية ، وبحارها المتصلة بالنيل غرباً والفرات شرقاً ــ مكنتها من الاتصال بالأمم المجاورة حرباً وسلماً ، وبذلك استمر الأخذ والعطاء بين العرب وغيرهم من الشعوب على مر العصور ، بسبب الموقع الممتاز الذي كانت تحتله جزيرتهم في قلب العالم القديم ، وبسبب التضاريس الطبيعية التي وصلت بلادهم بالشام والعراق ومصر منذ فجر التاريخ .

صلات العرب التجارية : منذ عصور سحيقة لايعرف أولها معرفة يقينية ، كوّن العرب علاقات تجارية وطيدة مع الأحباش والفرس والمصريين وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين ، وكانت الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ــ القنطرة التي تعبر عليها البضائع والحضارة من شرق آسيا إلى شرق افريقيا وشمالها وإلى الشام وآسيا الصغرى وجنوب أوربا وبالعكس . وأكبر الظن أن صلات الجزيرة بمصر بدأت قبل التاريخ المكتوب ، أي قبل عهد الأسر بزمن طويل جداً وأن الصلات لم تكن تنقطع في أي وقت من الأوقات حتى أصبحت مصر وجزيرة العرب قطرين مرتبطين بأقوى الوشائج (٨) . « وقد اتصل المصريون ببلاد بنت (بلاد العرب الجنوبية) مباشرة دون وسيط منذ الأسرة الخامسة على الأقل . فقد جاء في حجر بالرمو أن الملك ساحورع تلقى كثيراً من العطايا من بلاد بنت » (٩) . وظلت علاقات مصر التجارية مستمرة مع بلاد بنت حتى سيطر اليونان والفرس والروم على طبق التجارة في البحار المحيطة بالجزيرة العربية منذ المائة الثالثة قبل الميلاد .

---

(٧) جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** . بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٨ ؟ ج١ ص ١٦ – ٢٥ ، وانظر في تاريخ العرب المطول ج ١ ص ٤٥ – ٥٣ .

(٨) محمد عوض محمد ، **السلالات والشعوب الأفريقية** . القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

(٩) ابراهيم رزقانة وآخرون ، **حضارة مصر والشرق** . القاهرة : مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، ص١٣٧

ومن المحقق أن مملكة « اكسوم » في الحبشة أسسها مستوطنون من تجار بلاد العرب الجنوبية (١٠) . وكان يحكم الصومال وما وراء أمراء من العرب . وعلى طول ساحل أفريقيا الشرقي كان التجار العرب يشاهدون في كل مكان زنجبار رغم سيطرة اليونان والرومان والفرس على تجارة أعالي البحار .

أما علاقة العرب التجارية مع بلاد مابين النهرين فتؤكدها النقوش السومرية الأكدية التي ترجع إلى الألف الثالث ق.م . والنقوش تتحدث عن صلات بحرية مع بلاد دلمون (البحرين) ، وماجن (معين) وسابو (سبأ) وملخا (اقليم في اليمن) (١١) . أما البضائع التي كانت تحمل من تلك الأقطار فكانت الذهب ، العاج ، التوابل ، الأخشاب ، النحاس ، الديوريت ، البخور والعطور والصمغ واللبان . وبعض تلك المنتجات مستورد من الهند ، ومعظمها مما ينتج أو يصنع محلياً .

وقد كون عرب الجزيرة – خاصة سبأ – ثروات طائلة حتى قدر بعضهم مايشتريه العالم الروماني من طيوب بلاد العرب والفرس والصين بمائة مليون درهم (١٢) . وقد تحدث أحد مؤرخي اليونان عن ثراء السبئين والجرهيين (نسبة إلى ميناء جرها) فقال « لايبدو أن ثمة شعباً أغنى من السبئيين والجرهيين . كانوا وكلاء عن كل شيء يقع تحت اسم النقل بين آسيا وأوربا ، وهم الذين جعلوا سوريا البطلمية غنية بالذهب ، كما أتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة وآفاقاً من الأشياء الأخرى » (١٣) .

ولم يتوقف الخط التجاري العظيم الرابط بين اليمن والشام في أي حقبة من حقب التاريخ القديم حتى بعد ظهور الاسلام بوقت طويل . وكان هذا الطريق بأيدي المعينين تارة ، وبأيدي السبئيين تارة أخرى ، تبعاً لصراعهم وانتصارهم في الجنوب . وقد أقام السبئيون والمعينييون حاميات لهم ومقيمين يشرفون على نقل متاجرهم وحماية قوافلهم ،

(١٠) جورج فضلو حوراني ، **العرب والملاحة في المحيط الهندي** . ترجمة يعقوب بكر . بدون مكان للنشر وبدون تاريخ ، ص ٣٠ . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، دت ، ص ٣٠ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٢٧ .

(١٣) سعيد الأفغاني ، **أسواق العرب** . ص ٢٥ – ٢٧ .

وينفذون تعليمات رؤوسائهم في الجنوب (١٤) . ولعل مدن : ديدان والحجر ومعان كانت من أبرز المراكز التجارية في شمال الجزيرة حتى آذنت شمس الحضارة الجنوبية بالمغيب .

وكانت دولة الأنباط وتجارتهم الواسعة ونفوذهم العريض أول بادرة لانتقال النفوذ التجاري والحضاري من جنوب الجزيرة إلى شمالها .

وقد سيطرت هذه الدولة الفتية على ملتقى الطرق التجارية بين العراق وفارس شرقا ومصر والشام غربا ، كما حملت قوافلها الآمنة جميع اصناف البضائع القادمة من اليمن إلى الشام وآسيا الصغرى ومصر (١٥) .

وعقب سقوط البتراء عاصمة الأنباط سنة ١٠٦ م انتقل مركز الثقل التجاري في شمال الجزيرة إلى تدمر ، فكانت حلقة الوصل بين العراق والشام منذ القرن السادس ق . م ، ولكن تجارتها لم تزدهر الا بعد سقوط البتراء ، وقد امتد نفوذ تدمر السياسي والتجاري أيام أذينة وزوجته الزباء أو زنوبيا حتى شمل مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى إلى أنقرة (١٦) .

وكان التدمريون يحملون من جزيرة العرب الذهب والجزع واللبان والصمغ وعود الند ، ويجلبون اللالىء من البحرين ، والقرنفل والبهار والعاج والأبنوس من الهند (١٧) . وكانوا ينقلون هذه الحاصلات إلى روما وبيزنطة وسائر مدن أوربا .

ثم آل النفوذ التجاري والروحي والأجتماعي إلى قريش ، فسيطرت على طريق التجارة بين اليمن والشام ، وعقدت المعاهدات والأحلاف التجارية مع الفرس والروم ، واليمن والحبشة (١٨) ، حتى غدت مكة أكبر مركز تجاري في جزيرة العرب منذ القرن الخامس للميلاد حتى ظهور الإسلام .

---

(١٤) أ . موصل ، شمال الحجاز ، ترجمة عبدالمحسن الحسين ، الأسكندرية : مطابع رمسيس ، ١٩٥٢ ، ص ٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ .

(١٥) زيدان ، ٩٠ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ١٠٧ .

(١٨) ابن هشام ، **سيرة ابن هشام** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، طبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٩٣٦ ج ١ ص ٤٧ .

التجارة الداخلية : وكانت التجارة الداخلية تعبر أرجاء الجزيرة ، حواضرها وقراها ، كما كانت الأسواق التجارية تنعقد على مدار السنة ، في مختلف بقاع الجزيرة ، فتمكن عربها وأعرابها من تبادل البضائع والمنافع ، وتهيىء لهم الفرص المواتية ، للتفاعل لغوياً وأدبياً واجتماعياً وعرفيا .... (١٩) .

ولعل أهم الطرق التجارية داخل الجزيرة ، هو ذلك الخط الرابط بين اليمن والشام (٢٠) ، ويبدأ عادة من عدن ، فمأرب (عاصمة سبأ) ثم إلى معين (في جوف اليمن) ، فنجران ومنها إلى تبالة ، ثم الطائف — مكة — يثرب — ديدان — الحجر — تيماء — البتراء ثم إلى غزة فمصر جنوباً أو فينيقيا شمالا . وينحرف الخط عند البترا أحيانا ليصل إلى معان ، ومنها إلى بصرى ودمشق وتدمر .

وفي الجزيرة خط ثان يصل مابين عمان وعدن برا ، لأن البواخر القادمة من الهند والصين كانت تؤثر افراغ حمولتها في عمان ، فتحمل القوافل منتجات الهند والصين من مسقط (عاصمة عمان) إلى شبوه (عاصمة حضرموت) عبر مهرة والشحر ، ثم تستقر البضائع في أحد مخازن اليمن مأرب أو ظفار أو صنعاء . ومن عمان أيضاً كانت البضائع تنقل براً أو بحراً إلى البصرة عبر البحرين .

ويقطع الجزيرة من الشرق إلى الغرب وبالعكس خطان تجاريان هامان : أحدهما ينطلق من مأرب إلى البحرين عبر نجران فوادي الدواسر فوادي السليل إلى آبار الأفلاج والخرج ثم اليمامة ، ومنها إلى واحات الاحساء ثم إلى البحرين (٢١) .

والآخر يقطع الجزيرة من البحرين إلى البترا عبر واحات الاحساء — إلى اليمامة فوادي حنيفة (وبه الرياض والدرعية) — ثم إلى يدوس ووادي الرمة قرب عنيزة ، فالرس وجبل شمّر ثم يدور الخط حول الحافة الجنوبية لصحراء النفوذ حتى يصل إلى تيماء ومنها إلى البترا ، وبذلك يلتقي بالخط الرئيسي القادم من اليمن (٢٢) .

---

(١٩) الأفغاني ، ص ٢٢٦ .

(٢٠) أحمد محمد الحوفي ، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي** . مصر : مكتبة النهضة ، ١٩٦٣ ، ص ٦١ .

(٢١) فؤاد حمزة ، **قلب جزيرة العرب** . الرياض ، مكتبة العصر الحديث ، دت ، ص ٣٩٧ — ٤٠٠ .

(٢٢) محمد أحمد حسونة ، **الجغرافيا التاريخية الإسلامية** . ص ١٢ — ١٨ .

وأسواق العرب الداخلية لعبت دوراً هاما في اتصال العرب بعضهم ببعض ، لأنها كانت تقام على مدار السنة ، في جميع الأقاليم وجميع الجهات تقريباً . وقد ذكر أبو حيان التوحيدي أن الناس كانوا ينزلون دومة الجندل (في النصف بين العراق والشام) أول يوم من شهر ربيع الأول » . . . فيقوم سوقهم فيها إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر (وهو المشقر) في شهر ربيع الآخر ، ثم يرتحلون إلى عمان فتقوم سوقهم في دبا ثم صحار . ثم يرتحلون إلى ارم وقرى الشحر ، فتقوم أسواقهم أياما . ثم يرتحلون فينزلون عدن ابين .... ثم يرتحلون إلى عكاظ وذوي المجاز في الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد (٢٣) .

وقد فات التوحيدي ذكر الكثير من أسواق العرب الهامة في الجزيرة العربية وأطرافها كاذرعات ، بدر ، بصرى ، حباشة ، حجر اليمامة ، مجنة ، خير .... وفي دراسة جادة للأستاذ سعيد الأفغاني ، يجد الباحث جميع أسواق العرب في الجزيرة (٢٤) ومواقعها ، ومختلف المصادر التي استقى منها أسماء تلك الأسواق . ويلاحظ أن بعض تلك الأسواق قريب من حدود الفرس أو الحبشة أو الشام أو العراق وهي على التوالي : المشقر ، حباشة ، (٢٥) بصرى واذرعات ، دومة الجندل وتيماء ، وبذلك ينفتح المجال أمام أعراب الجزيرة للالتقاء بالأمم المجاورة وبالعرب القاطنين عند أطراف الجزيرة .

ويبدو أن كثرة اختلاط عرب الأطراف بالأمم المجاورة أثر في ألسنة بعضهم الأمر الذي حدا بعلماء اللغة ألا يعتمدوا لغة القبائل المجاورة للأعاجم « فلم يؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام ... ولا من تغلب ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للفرس ، ولا من عبد القيس وازدعمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ،

(٢٣) أبو حيان التوحيدي ، **الامتاع والمؤانسة** . تصحيح أحمد أمين واحمد الزين ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٥٣ ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٢٤) الأفغاني ، ص ٢٢٥ .

(٢٥) بصرى مدينة قديمة في الشام ، تقع جنوبي مدينة دمشق بالقرب من درعا الحالية .

ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم (٢٦) .

وهكذا يتضح لنا أن معظم القبائل الهامة ، الكثيرة العدد ، الواسعة الانتشار كانت تخالط جميع الأمم المحيطة بالجزيرة وتتأثر بها لغوياً واجتماعياً ، وتتبادل معها المتاجر والثقافة والحضارة .

الصلات العرقية للعرب : كل ادعاء بنقاء الدم في شمال الجزيرة أو جنوبها ليس له أساس من الصحة ، ولا يستند إلى أي دليل تاريخي — ولا يدعمه أي برهان علمي . فمنذ فجر التاريخ وموجات الأمم السامية تخرج من الجزيرة العربية ، شمالها وجنوبها ، شرقها وغربها . فتختلط بالشعوب والأمم القاطنة في الهلال الخصيب أو مصر ، اختلاطا تتفاوت حدته ومدته بحسب قوة الموجة الخارجة من الجزيرة ومقدار مقاومته الشعوب التي يفرض عليها السلطان السامي أو العربي مقاومة الخارج من الجزيرة .

وقد اختلطت أمواج الساميين بالسومريين والمصريين منذ (٤٠٠٠) سنة ق . م كذلك تدفقت أمواج الآريين على منطقة الهلال الخصيب ، فغزاها الحثيون والكشيون وشعوب البحر والفرس واليونان والرومان .... (٢٧) .

ويبدو أن هذا الأختلاط حدث قبل فجر التاريخ أيضاً ، داخل الجزيرة وخارجها فسكان جنوب غرب آسيا ، أعني الجزيرة وشرق أفريقيا وشمالها يكونون جنسا متقاربا يجمع بين أفراده كثير من أوجه الشبه كاللغة والجماجم والعظام والحضارة والديانات ... ذلك لأن الحضارات واللغات تتجه نحو التوحيد حيث لاتوجد عقبات طبيعية تحول دون اختلاط السكان (٢٨) .

(٢٦) السيوطي ، **المزهر في علوم اللغة** . تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية دت ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٢٧) ج . كونتينو ، **الحضارة الفينيقية** . ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة ، القاهرة : شركة مركز كتب الشرق الأوسط ، ص ٣٩٢ .

(٢٨) رالف لنتون ، **شجرة الحضارة** . ترجمة أحمد فخري ، القاهرة : مكتبة الانجلو بدون تاريخ ج٢ ، ص ١٨٤ .

أما داخل الجزيرة فكانت عوامل اختلاط العرب بعضهم ببعض وبغيرهم من الأمم كثيرة متنوعة أهمها الاتجار بالرقيق الأسود من الجنوب والرقيق الأبيض من الشمال . فكان اليهود تجار الرقيق الأبيض في الشمال ، وعرب الجنوب تجار الرقيق الأسود « وقد كثر الرقيق من العبيد والاماء كثرة بالغة جعلت الرقيق طبقة اجتماعية كبيرة » داخل الجزيرة العربية (٢٩) .

ويذكر المؤرخون أن سابور ذا الاكتاف غزا بلاد العرب الشرقية وتوغل فيها حتى اليمامة ، وأخذ منهم أسرى أسكنهم على الجانب الشرقي من الخليج (٣٠) .

كذلك غزاها الآشوريون أكثر من مرة ، وكانوا يوغلون فيها أحيانا ويعودون بأسرى وسبايا (٣١) . ولا يخفى ماينجم عن ذلك من اختلاط في الدم واللون واللسان وصلات جنوب الجزيرة بالعدنانيين لم تنقطع منذ نزل ابراهيم عليه السلام أرض الحجاز وأسكن فيها اسماعيل وامه هاجر .

ويتحدث المؤرخون عن هجرة واسعة النطاق حملت كثيراً من عرب الجنوب نحو الشمال بسبب تهدم مأرب ، وهم يفسرون بذلك وجود الأوس والخزرج في يثرب والغساسنة في الشام واللخميين في الحيرة ، وطيء في وسط الجزيرة عند جبلي أجا وسلمى ، وكنده في دومة الجندل والأزد في عمان .... (٣٢) .

ولم يخل هذا الانتقال والاستقرار من غزوات وأيام أشتعلت فيها نار الحرب بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، فكثر فيها القتل والسلب والسبي والاسترقاق ومن أبرز تلك الأيام طخفة ، اواره الأول والثاني ، السُّلان ، خُزاز ، فيف الريح ... كذلك كثرت أيام عرب الشمال فيها بينهم وأيام عرب الجنوب فيما بينهم . (٣٣) ، وكثر

---

(٢٩) ناصر الدين الأسد ، **القيان والغناء في العصر الجاهلي** . ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف ص ٣٠ .

(٣٠) زيدان ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣١) نفس المصدر ، ص ١١١ – ١١٤ .

(٣٢) محمد مبروك نافع ، **عصر ماقبل الاسلام** . ط٢ القاهرة : مطبعة السعادة ١٩٥٢ ص ٨٥ .

(٣٣) محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، **أيام العرب في الجاهلية** . القاهرة : دار احياء الكتب ، بدون تاريخ ، ص ٩٣ ، ١٣٩

الأسر والسبي والاسترقاق في تلك الأيام حتى روي أن أحد رؤساء القبائل كان لديه أربعة آلاف أسير من العرب عند ظهور الإسلام ، فسأله عمر أن يبيعهم له كي يعتقهم ، فأبى ، فلما راح اعتقهم لوجه الله . (٣٤) . وقد أدت بعض الأسس الاجتماعية المتعارف عليها في الجزيرة إلى ذوبان بعض الأفراد والقبائل الصغرى في غيرها من القبائل الكبيرة ، ومن أبرز تلك الأعراف : الولاء ، الاحلاف ، الجوار ، الإخاء ... (٣٥)

الصلات اللغوية : لاحظ مؤرخو اللغات القديمة تشابهاً بين اللغات السامية والحامية فسلكوها في أسرة واحدة سموها الأسرة السامية الحامية (٣٦) ، واللغة العربية (شمالية كانت أو جنوبية) هي احدى لغات هذه الأسرة الواسعة . وقد لاحظ علماء اللغات تشابهاً بين مجموعات كبيرة من اللغات في منطقة الشرق الأوسط من حيث المفردات ، الضمائر ، الأعداد ، الأفعال ، الصيغ ، الحروف فعدوها لغات ذات أصل مشترك اختلفت فيما بينها اختلافات يسيرة تبعاً لاختلاف الزمان والمكان ، وسميت بـ « اللغات السامية » (٣٧) . ثم صنفت اللغات السامية في مجموعات ثلاث بسبب التشابه الشديد الذي يربط أفراد كل مجموعة ، فكانت كالآتي :

أ ــ المجموعة الآشورية ــ البابلية .

ب ــ المجموعة الكنعانية وتضم (العبرية ، الفينيقية ، الآرامية ، الموابية ، الادومية)

جـ ــ مجموعة اللغات السامية الجنوبية وأبرزها (العربية الجنوبية والشمالية والحبشية) (٣٨) وهذا التقسيم يجعل العربية الشمالية جزءاً من التراث الانساني والحضاري الضخم الذي ساد منطقة الشرق الأوسط منذ الألف الثالث ق . م تقريباً .

---

(٣٤) الأسد ، ص ٣١ .

(٣٥) ل . أ . سيديو ، **تاريخ العرب العام** . ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٤٨ ، ص٣٣ .

(٣٦) جواد علي ، تناول المؤلف هذا الموضوع بالتفصيل في الجزء السابع .

(٣٧) أ . ولفنسون ، **تاريخ اللغات السامية** . ط١ القاهرة : مطبعة الأعتماد ، ١٩٣٩ ، ص ٢٠ . وانظر ، صبحي الصالح ، **دراسات في فقه اللغة** . ط٢ بيروت : المكتبة الأهلية ، ص ٦٤ .

(٣٨) علي الجندي وآخرون ، **أطوار الثقافة والفكر** ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ص ٩٢ ــ ١٠٢ .

ولو أن عرب الشمال لم يختلطوا بالأمم والشعوب من حولهم ، لظلت لغتهم فقيرة في مفرداتها وتراكيبها وصيغها ، تعبر عن عقلية محدودة وحاجات قليلة لأمة محاصرة في صحرائها ولكن العربية الشمالية تدل دلالة قاطعة على ماض حضاري ، لايكون ولا ينبغي أن يكون لأمة معزولة في الصحراء وكثرة المعرب والدخيل في اللغة العربية يشهد على شدة احتكاك العرب بالفرس ، والروم والحبشة والأنباط (٣٩) فمن الألفاظ الفارسية في اللغة العربية : الكوز ، الأبريق ، الطبق ، الخز ، الديباج ، ومن الرومية : الفردوس ، القسطاس ، القنطار ، القنطرة ، النقرس ، الترياق ...

ومن الحبشية : الجبت ، الطاغوت ، مشكاة ، كفلين ، بحور ، جوبا .

ومن النبطية والبربرية : احرى ، تتبيرا ، آن ، ابا ، اكواب ، عبدت ..

هذا عدا العلاقة الوطيدة بين العربية الشمالية والجنوبية ، فقد بلغ التشابه بينهما حدا حمل الكثيرين على اعتبار العربية الشمالية وليدة العربية الجنوبية أو صورة حديثة لها .

أما التشابه القائم بين العربية الشمالية من جهة ، والعبرية والسريانية (الآرامية) من جهة ثانية فقد لاحظه الدارسون وعلماء اللغة قديماً وحديثاً (٤٠) ، وأثبته علم اللغات المقارن في العصر الحديث .

صلات دينية : خضعت منطقة الشرق الأوسط لثالوث مقدس من الآلهة ، يتمثل في معظم الأحوال بالأب والابن والزوجة ، ثم يلي هذا الثالوث مجموعة أخرى من الآلهة ، تأتي في المرتبة الثانية بعد هذا الثالوث المقدس ، تنبثق عنه أو تتصل به ، وقد تستقل عنه في بعض الأحيان ، ولكن يظل نظام التثليث هو العقيدة السائدة في المنطقة حتى جاء الإسلام فقضى عليه القضاء المبرم .

وقد عرف المصريون هذا الثالوث المقدس ، فكان ايزيس هو الأب ، واوزيريس الزوجة وحوريس الابن (٤١) .

---

(٣٩) أغناطوس يعقوب الثالث ، البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية . دمشق : الناشر ١٩٦٩ ، ص ١٧ — ٢٥ .

(٤٠) نافع ، ص ٨٠ .

(٤١) ل . ديلابورت ، بلاد مابين النهرين . ترجمة محرم كمال . مراجعة عبدالمنعم أبو بكر ، بدون مكان للنشر وبدون تاريخ ، ص ١٦٧ . القاهرة : مكتبة الآداب د ت ص ١٦٧ .

وفي بلاد مابين النهرين ، عبدالاله الأعظم و (آنو) Anu ، وزوجه (أيا أو أنتم) Aya , Antum ، والإبن (انليل) Enlil (٤٢) . وكان (ال) على رأس الآلهة في أرض كنعان (٤٣) ، وهو شديد الشبه بالاله البابلي (انو) . وزوجته هي الآلهة (أثرت أو عشترت) المذكورة في التوراة باسم (أشيرا) ، وأبنهما الاله (شمش) .

وساد في جنوب بلاد العرب ثالوث من لآلهة المقدسة هي اله القمر — الأب ، إلاهة الشمس — الزوجة ، ونجمة الصباح (الزهرة) الابن . وقد سمي اله القمر بأسماء مختلفة بحسب الدول التي سادت في الجنوب .. فهو (ود) عند المعينين ، (المقه) عند السبئيين (عم) عند القتبانيين ، (سين) في حضرموت وبابل ، وهو أيضاً (رخ أو يرخ) عند الآراميين والزهرة أو نجمة الصباح هي عشتر البابلية وعشترت الكنعانية (٤٤) .

وآلهة عرب الجنوب هي نفسها الآلهة المعبودة في شمال الجزيرة وحين بدأ شمال الجزيرة يتحرر من هيمنة الجنوب ، ويتأثر تدريجيا بالحضارة السامية الشمالية استقل بثالوثه المقدس : (اللات ، العزى ، مناه) هذا الثالوث الذي عبد على نحو او آخر عند التدمريين والأنباط والصفويين والتموديين (٤٥) .

فاللاّت أو الشمس هي كبيرة آلهة الصفويين ، وقد عبدها الأنباط وأهل تدمر أيضاً واللات من أهم أصنام عرب الجاهلية ، وكانت على شكل صخرة مربعة بالطائف وقامت على سدانتها ثقيف وسموا (زيد اللات ، وهب اللات ، يتم اللات) (٤٦) وتيمنا بها وتقربا إليها . والعزى هي مؤنث الأعز ويقصد بها الزهرة أو نجمة الصباح « فينوس » وكانت تعبد في « نخلة » إلى الشرق من مكة ، وكان حرمها مكوناً من ثلاث أشجار في وادي نخلة عن يمين الذاهب من مكة إلى العراق .

ومناة مشتقة من المنية أو القضاة المحتوم ، وهي كذلك آلهة القضاء والقدر . وحرمها

---

(٤٢) موسكاني ، ص ١٩٤ ، وقد عرف هذا الاله باسم الوهيم عند العبريين ، وباسم (الله) عند العرب .

(٤٣) نفس المصدر ، ص ١٩٤ .

(٤٤) عبدالعزيز سالم ، **تاريخ العرب في الجاهلية** . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ١٩٧ .

(٤٥) حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي** ط ٩ جـ١ الكويت ١٩٧٥ ، ص ٧١ .

(٤٦) نافـــع ، ص ١٦٦ وما بعدها .

صخرة سوداء قائمة على الطريق بين مكة والمدينة ، وأعظم عبادها : الاوس والخزرج ، وكانت مناة معروفة لدى التدمريين واللحيانيين . واللات والعزى ومناة آلهة مؤنثة ويعلو فوقهن أبوهن « الله » (٤٧) .

وفي القرآن الكريم « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان » (٤٨) .

وإلى جانب هذه الآلهة الشهيرة ، عبد عرب الجزيرة آلهة متعددة عرفت في أطراف الجزيرة ، ودان لها التموديون أو اللحبانيون أو الأنباط أو التدمريون . نحو هبل إله قريش (والتسمية لاتبعد كثيراً عن بعل اله التدمريين) ، ذو شرى الالة القومي للأنباط رضى ، شمس ، سعد ، قيس .....

والجزيرة العربية عرفت غير الوثنية : اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة ، كما عرفت الجزيرة عقيدة التوحيد منذ جاء ابراهيم بولده اسماعيل عليهما السلام . ويحدثنا القرآن الكريم عن هود ، وشعيب ، وصالح عليهم السلام الذين دعوا إلى الوحدانية في الاحقاف ، ومدين والحجر .

وكانت عبادة مظاهر الطبيعة شائعة في مصر والشام وفارس والعراق ، فتأثر عرب الجزيرة أيضاً بهذا اللون من العبادة ، فاتخذوا من بعض الحيوانات والنباتات والصخور آلهة مقدسة لتقربهم إلى الاله الأعلى « الله » .

وجميع هذه الديانات والعقائد والآلهة ، توحي بأن العرب في جميع أنحاء الجزيرة لم يكونوا بمعزل عن الديانات والعقائد والالهة المجاورة . فتفشت المجوسية في البحرين وانتشرت المسيحية بين عرب الشام والحيرة ونجران ، واستقرت اليهود في خيبر ويثرب وفدك وصنعاء ودانت حمير وبعض أهل شواطىء الخليج العربي بدين الصابئة بالاضافة إلى الوثنية التي كانت الديانة الشائعة والمفضلة عند جميع العرب .

---

(٤٧) موسكاني ، ص ٢٠٦ .

(٤٨) سورة النجم ، آية ١٩ – ٢٣ .

صلات كتابية : وكتابة العرب في الجاهلية ذات صلة وثيقة بالكتابات أو الخطوط الشهيرة التي سادت منطقة الشرق الأوسط ، فخط المسند - خط عرب الجنوب - يشبه إلى حد بعيد الخط الفينيقي ، والخطان تفرعا من أبجدية واحدة هي الأم حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . أو أن أحدهما تفرع عن الآخر (٤٩) .

والأبجدية الأم المقصودة هي أبجدية سيناء التي اشتقت بدورها من الرموز الكتابية الهيروغليفية . فقد « استطاع أحد أهل سيناء أن يتعلم من أحد الكتاب المصريين المبدأ الذي تقوم عليه الأبجدية المصرية ، ولكنه راح يعطي الحروف أسماء كنعانية ... وكان الفينيقيون يتاجرون مع سيناء ، فاستعاروا هذه الحروف الجديدة ، وأضافوا إليها وخلقوا منها أثنين وعشرين صوتا صامتا (غير صائت) (٥٠) » وهذا العدد من الحروف هو الذي كان وما زال شائعاً في عالمنا العربي والذي نحفظه على هذا النحو : (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت) . ثم اضيفت اليه الروادف الأخرى وهي (تخذ - ضظغ) .

وقد ساد خط المسند أرجاء الجزيرة العربية ، شمالها وجنوبها ، وعبر البحر الأحمر إلى الحبشة فاتخذه الأحباش خطا لكتاباتهم ، وبه كتب الثموديون والصفويون واللحيانيون والمعينون الشماليون ، وظل سائداً حتى القرن الثاني قبل الميلاد ، حيث سيطر الخط الآرامي على شمال الجزيرة منذ ذلك الحين كما ساد فيما بعد منطقة شاسعة من العالم تمتد من الهند إلى البحر الأبيض ، ومن بلاد الشام إلى شمال الجزيرة فأثيوبيا (٥١) ، ولم يسلم من من نفوذه سوى الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية . وبهذا الخط كتب الأنباط الذين كونوا دولة لهم شمال الجزيرة في القرن الأول للميلاد ، كما كتب به التدمريون الذين كونوا دولتهم في بادية الشام قرب حمص في أعقاب سقوط دولة الأنباط سنة ١٠٦ م .

وبهذا الخط الآرامي أيضاً كتب الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق (٥٢) ،

---

(٤٩) د . نيلسن ، وآخرون . **التاريخ العربي القديم** . ترجمة فؤاد حسنين علي ، القاهرة : مكتبة النهضة العصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٦٠ .

(٥٠) رزقانـــة ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٥١) نفس المصدر ، ص ٣٨٢ - ٣٨٤ .

(٥٢) حتى ، ص ١٠٢ - ١٠١ .

وعن طريق أحدى هاتين الدولتين انتقل الخط الآرامي النبطي إلى الحجاز حيث استخدمته قريش في كتاباتها ، وبه دون القرآن الكريم .

وقد اختلف المؤرخون العرب والأجانب في كيفية وصول الأحرف الكتابية إلى الحجاز . فالمستشرقون يرون أنه تخذ الطريق الآتي (٥٣) .

المصري

الفينيقي

السرياني	النبطي
الاسترنجيلي	الحيري
الكوفي	الحجازي

بينما يرى الرواة العرب أن الخط الحجازي تطور على النحو الآتي

المصري

الفينيقي

الحميري للحياني الثمودي الصفوي

النبطي - الكندي

الانباري - الحيري

الحجازي

الكوفي

ويرجح د . شوقي ضيف انتقال الخط إلى أهل الحجاز عن طريق الانباط الذين استمدوه من الآراميين « فقد وجدوا نقوشا حجازية تصور انتقال الخط الآرامي إلى خط نبطي ، ثم انتقال هذا الخط إلى الخط العربي » .

(٥٣) شوقي ضيف ، **العصر الجاهلي** القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥ ص ٣٤ .

فقد عثر ليتمان على نقش في قرية أم الجمال (غربي حوران) يرجع تاريخه إلى سنة ٢٧٠ م واكتشف دوسونقش النمارة (شرقي جبل الدروز) ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ م ثم عثر على **نقش** زيد (جنوب شرق حلب) وهو مؤرخ سنة ٥١٢ م ، وفيه تكتمل خصائص الكتابة الجاهلية .

وعثر أيضاً على نقش حران اللجا (جنوبي دمشق) المؤرخ ٥٦٨ م والذي لايختلف في خصائصه الكتابية عن نقش زيد .

« ومعنى هذا كله أن الخط العربي نشأ وتطور شمالي الحجاز ، وأنه لايرجع في نشأته وتطوره إلى بلاد العراق » (٥٤) .

وسواء اعتبر العراق أو الشام أو شمال الجزيرة منشأ للخط العربي الحجازي (الخط الذي كتب به القرآن الكريم) ، فان الدلالة القوية المستخلصة من هذا تشير إلى تأثر عرب الحجاز بالحضارتين الساميتين البارزتين في شمال الجزيرة وجنوبها ، وهما حضارة عرب الجنوب وحضارة الآراميين والفينيقيين في الشمال .

صلات فنية : موسيقية وأدبية : ومـا دمنا نميل دوماً إلى ربط تاريخ العرب وحضارتهم ولغتهم واعراقهم .... بالأمم المجاورة لهم ، فإن أدبهم وموسيقاهم وفنهم عامة أحرى بهذا الربط الذي بدأ منذ أقدم العهود السامية ولم ينته بعد ظهور الاسلام بل زادت اواصره وتعددت وسائله وكثرت سبله .

وليس الأدب والفنون عامة سوى مظهر من مظاهر تلك الصلات الوثيقة المتنوعة . وما دام الشعر وثيق الصلة بالغناء ، منذ أقدم عهوده ، فان موسيقى العرب يمكن تخمينها في اطار المعلومات التي وصلتنا عن موسيقى الساميين . يقول فارمر :

« اذا وضعنا نصب أعيننا تقارير الإغريق والرومان عن الممالك العربية التي تمتعت بقسط من الثروة والرفاهية يحسد عليه جيرانها ، والتي فاقت ثروتها جميع الأمم الأخرى ، فإننا لانستطيع سوى القول بأنهم وصلوا في الموسيقى إلى الدرجة التي وصل إليها الساميون الآخرون (٥٥) . ويبرر فارمر رأيه بأن الشبه في الثقافة العامة واضح كل الوضوح لدى

(٥٤) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

(٥٥) فارمر ، **تاريخ الموسيقى العربية** . ترجمة حسين نصار . القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٩ ، ص ٤ .

جميع الساميين ، خاصة في الدين ، الذي ترتبط الموسيقى به ارتباطا قوياً . فإذا وصلت الموسيقى عند الآشوريين والعبريين والفينيقيين إلى مستوى معين ، فإن من الصعب الظن بعدم وجود نفس المستوى عند العرب .

ثم يعقد فارمر مقارنة بين الألفاظ الموسيقية والآلات الموسيقية عند الآشوريين والعبرانيين والعرب فكلمة (الشاعر) عند العرب تقابلها شـارو Sharru أي رئيس المغنيين في الآشورية وكلمة (الشعر) تقابلها شيرو Shiru الآشورية ، وهي الترتيلة . والاغنية في الآشورية زمارو Zamaru وفي العبرية Zimrah وفي العربية مزمور أو مزمار .

وكلمة (شجو) الآشورية ــ ومعناها مزمزر التوبة ــ هي أصل (شجايون) العبرية (شجن) العربية .

وتقابل (طبالو ، ادبو) في الآشورية البابلية (طبلا وتف في الآرامية العبرية ، وطبل ودف في العربية) .

والمزمار العبري المسمى (زمر) هو (الزمر) بالعربية . وكلمة (قرنو) الآشورية هي (قرن) العبرية وقرن العربية . و (امبوبو) الآشورية هي (ابوبا) الآرامية وانبوب العربية (٥٦) .

ولعل أقدم أثر عثر عليه حتى الآن يشير إلى الغناء العربي يعود إلى القرن السابع ق . م . فأحد نقوش بانيال الآشوري يدلنا على اعجاب الآشوريين بموسيقى العرب وغنائهم (اليلي) ، بينما كانوا يعملون لسادتهم الآشوريين ، فطربوا لدرجة جعلتهم يسألوا المزيد (٥٧) .

ومعظم الآلات الموسيقية التي استعملها الجاهليون في العزف ترجع إلى اصول مصرية وفارسية واغريقية .. وأول ماظهر الطنبور والبربط والصنج (جناك) في الحيرة والطنبور مصدره قوم لوط في سدوم ، وقيل ظهر في سبأ أولا (٥٨) والبربط اسمه فارسي ،

(٥٦)　نفس المصدر ، ص ٤ ــ ٥ .

(٥٧)　نفس المصدر ، ص ٣ .

(٥٨)　نفس المصدر ، ص ٤١ ــ ٤٤ .

ونقل إلى العربية بنفس التسمية والرباب أيضاً استعملت في فارس تحت نفس الاسم . والمعازف جميعاً (القانون ، الهارب ، الجنك أو الصنج) تعتبر فصيلة من آلة الهارب المصرية ، حيث انتقلت من مصر القديمة إلى مختلف بقاع العالم ، وتراوحت أعداد الأوتار المستعملة في المعازف القديمة بين ١٥ ـ ٣٥ وترا .

وعرف الناي (قصابه أو شبابه) في مصر وفارس ، كما عرف الناي الضخم ـ (صورناي) لدى قدماء المصريين والاغريق . وشاعت زمارة القرب عند الغساسنة والفرس . وآلات الزمر هذه كانت جميعاً معروفة ومتداولة عند العرب في الجاهلية (٥٩) .

ومن الآلات الموسيقية التي كانت معروفة في الجاهلية أيضاً المزهر ، العود ، الكران ، الموتر ، وكلها آلات وترية . وعرف الجاهليون أيضاً الدفوف والطبول والجلاجل والكاسات وآلات النفخ المختلفة .

ويجب أن لانستبعد الأثر السيء ـ الحميري ـ الحيري في الموسيقى والغناء والأدب فقد خضعت بلاد العرب كلها لنفوذ العرب القحطانيين مئات السنين . ويذكر فارس أن عرب الحجاز اخذوا عن الحيرة غناء النصب (٦٠) ، وأن النضر بن حارث بن كلدة تعلم ضرب العود والغناء على نفر من أهل الحيرة ، فقدم مكة وعلم أهلها فاتخذوا القينات (٦١) .

وكانت القيان في الجزيرة من الروميات والفارسيات واليونانيات ومن أقدمهن في الحجاز سيرين ، زرنب ، خولة ، الرباب ، سلمى ، رائقة (٦٢) .

والأدب صنو الموسيقى ، وما دام العرب قد كونوا هذه الصلات الموسيقية الواسعة مع الأمم المجاورة فمما لاشك فيه أنهم تأثروا بآدابهم وأنواعها المختلفة ، وليس من اليسير أن نصدق أن الأمم القديمة والحديثة انتفعت بآداب اليونان والرومان والفرس في

(٥٩) محمد محمود حافظ ، **تاريخ الموسيقى والغناء** . القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، تاريخ دت ، ص ١٨ ـ ٣٣ .

(٦٠) فارمر ، ص ٤١ .

(٦١) الأسـد ، ص ١١٥ .

(٦٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

حين قصر العرب عن الانتفاع بها رغم الجوار وطول المعاصرة (٦٣) . وكيف يتسنى للعرب وصحراءهم متاخمة لدول ذات حضارة ألا يتأثروا بجيرانهم ؟ لقد رأينا أن ثمة دويلات عربية في العهد الفارسي أولا ، ثم في العهد الروماني بعد ذلك ، لها ثقافة آرامية ولغة آرامية وكتابة بالخط الآرامي (٦٤) .

ويحدثنا ابن هشام أن النصر بن الحارث كان يحدث قريشا ببعض القصص الفارسي كقصة رستم واسفنديار (٦٥) .

وتظهر آثار النصرانية في أشعار بعض الجاهليين وخطبائهم أمثال عدي بن يزيد العبادي ، وأمية بن ابي الصلت ، والأعشى والخطيب : قس بن ساعدة الابادي (٦٦) .

وقد بالغ الأب لويس شيخو في تعداد شعراء النصرانية في الجاهلية حتى بلغوا في حسابه العشرات (٦٧) .

فإذا اعتدلنا كل الاعتدال ، وتحفظنا كل التحفظ فإن أثر النصرانية في اشعار الجاهليين وحياتهم العامة لايمكن أن يجحد .

ولم تقتصر صلات الجاهليين الفنية على الموسيقى والغناء والأدب ، بل تجاوزتها إلى النحت والنقش والزخرفة والفن المعماري (٦٨) فعلماء الساميات ودارسو الحضارات القديمة في منطقة جنوب شرق آسيا يطلعوننا على العديد من أوجه الصلة بين العرب وغيرهم في ميادين الفن والعمران والزخرفة ... (٦٩) .

---

(٦٣) سامي الدهان ، **الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية** . القاهرة . دار المعارف ، ١٩٥٤ ص ٨

(٦٤) عمر الدسوقي ، **النابغة الذبياني** . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤ .

(٦٥) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

(٦٦) الدسوقي ، ص ٣٢ .

(٦٧) كارلو نالينو ، **تاريخ الآداب العربية** . القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٧٠ ص ٨٩ وما بعدها .

(٦٨) أحمد تيمور ، **التصوير عند العرب** . القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٢ ، ص ١١٧ — ١١٩ ، وانظر أيضاً نعمت علام ، **فنون الشرق الأوسط القديم** . القاهرة : دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٤ .

(٦٩) جواد علي ، جـ ٨ ص ٥ — ٨١ .

وهناك صلات اخرى متعددة في ميادين العمران والفن والصناعة والسياسة والمجتمع لامجال لذكرهــا ، لأن غايتنا في هــذا البحث التنويه والإشارة لا الاستقصاء غير أن الصلات المتنوعة التي تطرق اليها البحث تكفي لدحض المسلمات القديمة التي كانت تنسب العرب للجهل والتخلف والعزلة في صحراء الجزيرة ، وقد تبين لنا أن العرب — عرب الجزيرة جميعاً — تفاعلوا مع الأمم المجاورة والحضارات واللغات والديانات ... التي سادت منطقة جنوب شرق آسيا . وكل زعم بعزلتهم وتبديهم وتخلفهم هو أقرب إلى التشنيع والافتراء منه إلى التاريخ العلمي الصحيح .

مراجعات كتب :

The Tunisian Ulama'

1873 - 1915

Social Structure and Response to Ideological Current

ARNOLD H. GREEN

Leiden, E. J. Brill 1978

عادل علوش

مركز دراسات الشرق الاوسط

جامعة يوتا ـ الولايات المتحدة الاميركية

يسعى الأستاذ أرنولد قرين من خلال كتابه « العلماء التونسيّون من ١٨٧٣ إلى ١٩١٥ » إلى تحليل مواقف رجال الدين في تونس ازاء الإصلاحات الإداريّة والتربويّة التي أدخلها في ذلك البلد الوزير الأكبر خير الدين ، ثمّ سلطات الحماية الفرنسيّة . أمّا من الوجهة الزمنيّة . فيأتي هذا الكتاب كحلقة من حلقات البحوث الحديثة التي صدرت في أواسط السبعينات عن حركة الإصلاح في تونس والتي قام بها بعض المستشرقين أمثال الأستاذين كارل براون وفان كريكن في كتابيهما « تونس في عصر أحمد باي ، ١٨٣٧ — ١٨٥٥ » و « خير الدين وتونس ، ١٨٥٠ — ١٨٥٥ » (١) .

لقد سبق للأستاذ قرين أن نشر بحثاً عن حركة الإصلاح في تونس ، (٢) وهذا الكتاب — الذي كان في الأصل أطروحة دكتوراه — يعتبر تعميقاً لأبحاث المؤلّف السابقة . وينقسم كتاب « العلماء التونسيّون » إلى بابين يعتني أوّلهما بخصائص علماء الدين في تونس في تلك الفترة ، بينما يتعرّض الباب الثاني لمواقف هؤلاء العلماء من حركة الإصلاح .

في الباب الأوّل ، يسلك المؤلّف المنهج نفسه الذي سلكه من قبله الأستاذ براون ، ألا وهو استخراج إحصائيّات اعتماداً على تراجم الأعلام في تلك الفترة ، وكذلك

(١) L . Carl Brown , *The Tunisia of Ahmad Bey* , 1837 — 1855 (Princeton : princeton University press , 1974) G . S . Van Krieken *Khayr al — Din et la Tunisie* (1850 — 1881) (Leiden E . J . Brill , 1976) .

(٢) Arnold H . Green , « political Attitudes and Activities of the Ulama in The Liberal Age : Tunisia as an Exceptional Case , 1 JMES 7 (1976) : 209 — 241 .

مراجعة شجرة بعض العائلات المعروفة بعلمائها ، وأهمّ استنتاج توصّل إليه هو أنّ أغلب العلماء في ذلك العصر كانوا ينتمون إلى عائلات مشهورة بصلاتها بالعلوم الدينيّة ومتمركزة في العاصمة التونسيّة . وهذا يطابق ماسبق أن أبرزه الأستاذ براون في دراسته عن رجال الدين في تونس مابين ١٨٣٧ و ١٨٥٥ وما بعدها ، (٣) ممّا يدلّ على أنّه – حتّى نهاية القرن التاسع عشر – لم يطرأ تغيير مهمّ على العلماء التونسيّين من حيث الأصل والمنشأ والمكانة الاجتماعيّة . وقد أطال الأستاذ قرين مناقشة هذه الظاهرة في مواضع ربما كان من المستحسن الاختصار فيها ، كحديثه عن تعريف عالم وعلم (حتّى صفحة ٣٦) ، أو الاكتفاء بالإشارة إلى نتائج بحوث سابقة كالّتي قام بها الأستاذ براون .

ويتطرّق المؤلّف في الباب الثاني للحديث عن ردود فعل علماء الدين في تونس من الإصلاحات التي أدخلت على بعض نظم الإدارة وعلى التعليم ، وعن بروز نخبة مفكّرة أصبحت نواة الحركة القوميّة في تونس بتأسيسها لحزب « تونس الفتاة » سنة ١٩٠٧ . وعلى الرغم من تقسيم الباب الثاني إلى أربعة فصول ، فانّه يمكن اختصار ماجاء فيها من الوجهة الزمنيّة إلى اثنين وهما عهدا ماقبل الحماية وما بعدها .

أما بالنسبة للإصلاحات التي أدخلت بين ١٨٧٣ و ١٨٨١ ، أي منذ تولّي خير الدين باشا الوزارة الكبرى إلى بسط النفوذ الفرنسي على البلاد ، والمتمثّلة في إنشاء المدرسة الصادقيّة وإصدار قوانين تحوير برامج جامع الزيتونة ، فيرى المؤلّف أن معظم رجال الدين لم يكونوا من المناصرين لهذه الاصلاحات وذلك خوفاً على مركزهم العلمي والاجتماعي ، وأنّ نجاح خير الدين في تنفيذ هذه المنجزات يرجع إلى طريقته في إشراك بعض العلماء في اللجان التي تولّت مهمّة تشريع تلك الإصلاحات على الرغم من معارضة أغلبيّتهم .

وأمّا بقية الكتاب ، فتتعرّض لموقف رجال الدين من التغييرات التي أدخلتها سلطات الحماية على أسس الادارة والتعليم في تونس ، فنرى مثلا المعارضة التي قوبل

---

(٣) راجع كتابه المذكور في حاشية (١) ص . ١٤٦ – ١٦١ وفي المقالة التالية :
Leon Carl Brown , « the Religious Establishment in Husainid Tunisia » in *Scholars , Saints and Sufis* , ed . Nikki R . Keddie (Los Angeles : University of California press , 1972) : 47 — 91 .

بها قرار المجلس البلدي الخاصّ بطريقة الدفن وباستخلاص الأداءات ، تلك المعارضة التي سجّل أحداثها الشيخ محمّد بن عثمان السنوسي في كتابه « خلاصة النازلة التونسيّة » (٤) ثمّ ظهور تيّار جديد يتزعّمه نخبة من خرّيجي المدرسة الصادقية على رأسهم البشير صفر ، تلك النخبة التي جعلت من جريدتها « الحاضرة » منبراً للمناداة بالاصلاح ، والتي أسّست الجمعية الخلدونيّة لتكون نافذة على حضارة العصر والتي تخرّج منها عدد من المتنوّرين أمثال عبدالعزيز الثعالبي والطاهر الحدّاد . وفي هذا المضمار ، يحلّل الكاتب سياسة سلطات الحماية في تطوير التعليم في تونس ويبرز خاصّة ماقام به لويس ماشوال — (Louis Machuel) — المسؤول آنذاك عن التعليم — في ترجيح كفّة الإصلاح ، ثمّ يستعرض أيضاً تطوّر الفكر التحرّري في ذلك البلد ، من خلال مؤلّفات الشيخ الطاهر بن عاشور أليس الصبح بقريب ومحمّد الخضر بن الحسين السعادة العظمى وعبدالعزيز الثعالبي فكر القرآن التحرّري ، (٥) وبلغ هذا التطوّر درجة من النضج حيث تمّ إنشاء حزب « تونس الفتاة » سنة ١٩٠٧ على يد زمرة من المصلحين يتزعّمها البشير صفر وعلي بوشوشة وعلي باش حانبه ، والتي جعلت من صحيفة « التونسي » لسان حالها . وأدّت هذه الحركة إلى مقاومة سياسيّة لسلطات الحماية ظهرت نتائجها من خلال معركة الزلاّج (١٩١١) ومقاطعة وسائل النقل العامّ (الترام : Tram) في العاصمة (١٩١٢) ، ممّا جعل سلطات الحماية تقبل على حلّ ذلك الحزب وتوقيف نشاطه .

لقد وفّق الأستاذ قرين في كشفه عن ردود فعل علماء الدين في تونس تجاه الإصلاحات التي بدأها خير الدين وأخذتها على عاتقها سلطات الحماية الفرنسيّة من بعده . وقد ضمّت الملاحق الخمسة التي شفعها بالنصّ تفاصيل مهمّة ساعدت على معرفة أشمل للموضوع ، إلاّ أن هناك مأخذين على هذا الكتاب ، أوّلهما عدم ذكر المؤلّف للإطار التاريخي لبحثه في المقدّمة ، فالقارىء لايتعرف على سبب اختيار ١٨٧٣ كبداية للبحث إلاّ في وسط الكتاب (ص ١٠٦) . والمؤلّف يضع القارىء في حيرة لعدم

(٤) راجع عرض هذا الكتاب في **مجلة البحوث التاريخية** . السنة الأولى ، العدد الثاني (يوليه ١٩٧٩) ص ١٠٥ — ١٠٨ .

(٥) نشر عبدالعزيز الثعالبي هذا الكتاب بالفرنسية في باريس سنة ١٩٠٥ تحت عنوان L'Esprit Liberal du Coran وساعده على تحريره الهادي السبعي وقيصر بن عطار .

توضيح أسباب توقّفه عند سنة ١٩١٥ ، فلا يذكر عمّا إذا كان هذا التاريخ حدثاً من أحداث الحرب العالميّة الأولى أم أنّه يصادف تطوّراً ما في حياة تونس السياسيّة . أمّا المأخذ الثاني فهو وجود كثير من النصوص المقتبسة من الوثائق الفرنسيّة دون ان يعتني المؤلّف بترجمتها وتلخيصها ، فجاءت كما هي في متن الكتاب (أنظر مثلا ص ١٣٥ — ١٣٧) ، بينما قام بمجهود الترجمة في مواضع أخرى ، وهذا ربّما يقلّل من فائدة الكتاب لمن لايحسن الفرنسيّة .

المشرق العربي والغرب

الدكتور جلال أحمد أمين

بحث في دور المؤثرات الخارجية
في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية
مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت : ١٩٧٩

محمود ابراهيم

قسم التاريخ ـ جامعة كاليفورنيا
لوس انجلوس

واجهت البلاد العربية في بداية هذا العقد ظروفاً سياسية واقتصادية صعبة للغاية . وقد بدت وكأنها على مفترق الطرق وأن أحد هذين الطريقين المسلوك تعصف به رمال متحركة ألا وهي الانفتاح الاقتصادي الذي فرضته الدول الغربية ذات الصناعة المتقدمة المصدرة للرأسمال إلى الدول العربية . ان هذا الانفتاح الاقتصادي سوف يسبب زوال أي أثر للاستقلال السياسي والاقتصادي في البلاد العربية وسيؤثر على مدى الزمن تأثيراً سلبياً عميقاً على الحضارة العربية عامة . سيحصل هذا لأن الرأسمالية أينما ذهبت حطمت تلك المعاملات والعلاقات التي تقف في وجهها وتجبر المجتمع على تغيير القيم والأنماط الحيوية سواء كانت فكرية أم اجتماعية أم متطلبات أساسية لتناسب هذه القيم الجديدة والأفكار السياسية والاقتصادية المكتسبة لنمو وازدهار الرأسمالية في صالح الدول الغربية المصدرة لهذا الرأسمال .

إن المشكلة الأساسية التي يواجهها الدكتور أمين في هذا الكتاب هي الرد على دعاة الانفتاح الاقتصادي والذين يعتقدون أن الاستثمارات الأجنبية مهما كانت طبيعتها ستمكن الدول النامية من رفع معدل الدخل القومي في طريقها لتوفير الحاجات الأساسية للسكان بما فيها تلك الفئة الأقل دخلا . يقول الدكتور أمين « إن الدول الصناعية المتقدمة ليس في سلتها الزاخمـــة من السلع والخدمات إلا القليل مما يمكن اشباع الحاجات الأساسية للسكان الأقل دخلا في الدول الفقيرة » وزيادة على ذلك فإن الدول النامية التي تتبع نمط الانفتاح الاقتصادي تجد نفسها وهي مجبرة على شراء مالا تحتاجه من السلع الاستهلاكية التي تعكس متطلبات المجتمعات الرأسمالية لامجتمعات دول العالم الثالث ، كالأسلحة الباهظة الثمن والآلات الكهربائية والكماليات بمختلف أشكالها . مما يجبر تلك الدول على المضي في التبعية للدول المستعمرة اقتصاديا وبالتالي العجز عن تحقيق مطالب السكان .

إن هذه النتيجة تعكس الواقع ، وهي نتاج بحث في العلاقات الاقتصادية بين المشرق العربي والدول الغربية منذ عهد محمد علي باشا حتى الآن . ويحتوي هذا البحث على كثير من الجداول الاقتصادية التي تدعم وتدل على صحة الاستنتاجات التي وصل اليها الباحث . ويجدر بنا القول هنا أن هـذه الدراسة تشكل من حيث المنهج مثالا جيداً لدراسة التطورات الاقتصادية أو مايترتب عليها في بلد أو آخر من نتائج وتمثل كذلك كتابة تاريخ بلد أو آخر .

إن هذه الدراسة ذات طرفين متوازيين ولو أنها مقسمة إلى أربعة أقسام فالطرف الأول هو ماحصل بعدما حطمت بريطانيا التجربة الصناعية في مصر التي قام بها محمد علي والتي صادفت النجاح حتى ١٨٤٠ وكيف حلت على البلاد العربية في ذلك الوقت محنة الانفتاح الاقتصادي ، الذي اجبرت عليه هذه الدول بعدما وقعت بريطانيا وفرنسا معاهدتيهما المشهورتين (١٨٣٨) مع الباب العالي الذي فرض قوانين ورسوم جمركية كانت لصالح الصادرات الغربية والطرف الثاني هو ماحلّ على الاقتصاد العربي من نمو وازدهار أثناء تجربة جمال عبدالناصر وعلى إثر الحركات الاستقلالية التي عمت البلاد العربية خاصة والعالم الثالث عامة ، وكيف تحركت أمريكا في منتصف الستينات لضرب هذه الحركات واحدة بعد الأخرى حتى فرضت نمـط الانفتاح الاقتصادي على هذه الدول وهو الانفتاح الذي نحن بصدده الآن . وما يجب ملاحظته ان العامل الفعال الذي يأخذه الدكتور أمين هو مدى خفة أو شدة الضغوط الخارجية على الاقتصاد في المشرق العربي فكلما خف الضغط الخارجي حصلت هناك حركات استقلالية ناجحة ذات طابع سياسي واقتصادي وعندما يزداد الضغط تبدأ تلك المحاولات بالاضمحلال والاختفاء . إن هذه العلاقة ذات «نمط دائب التكرار في التاريخ العربي يبدأ بحـدوث تطورات اقتصادية أو سياسية في الدول الكبرى التي سيطرت على مصير الشرق العربي طـوال هذه الفترة ثم يترتب عليها تغيير في طبيعة المصالح التي ترمي هذه الدول إلى تحقيقها في المنطقة العربية او في العلاقات بين هذه الدول نفسها » .

إن هذا القول ليس نظرياً فقط وإنما هو وصف حقيقي لما حصل . فنجد في بداية القرن التاسع عشر أن أوربا كانت منهمكة في حروب نابليون وأعقابها ولم تكن مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية تبقى بضرورة تدخلها في البلاد العربية في هذه الفترة وكانت

الامبراطورية العثمانية تعاني من الانحلال حيث أخذت قبضتها على الولايات العربية في الوهن الأمر الذي جعل الميدان فسيحاً لحركات محلية تبنى فيه اقتصادا مستقلا ومدعماً برأسمال واستثمارات محلية . فشهد هذا العصر حكم محمد علي في مصر والسودان ، والحركة السنوسية في برقة ، والوهابية في الجزيرة العربية ، وداوود باشا في بغداد وبشير الشهابي في لبنان .

وما ان انتهت العقود الأربعة الأولى في القرن التاسع عشر حتى أصبحت الدول الاوربية ، خصوصا بريطانيا ، المصدرة للرأسمال في حاجة إلى اسواق عالمية لتصريف بضائعها . فكان عليها ان تحطم تلك المحاولات الصناعية في البلاد العربية وأن تجعل من سكانها مستهلكين لبضائعها فبدأ الغزو الاقتصادي بمعاهدة ١٨٣٨ مع الباب العالي التي جعلت الرسوم الجمركية على الصناعة المحلية أكثر من الرسوم على الصناعة الأجنبية مما جعل الصناعة المحلية أغلى سعراً وأكثر ندرة . وهكذا تغلبت الصناعة الأجنبية على الصناعة المحلية وبدأ الاقتصاد المحلي في الاضمحلال وانفتح الباب للتدخل الأجنبي الذي بدأ يسيطر سياسيا واقتصاديا مما جعله يسيطر على الفكر والثقافة والحضارة واستطاع الغرب تجزئة الشرق العربي إلى مناطق نفوذ وجلب الغرب معه كذلك على الكيان الصهيوني . هذا وقد اجبر الغرب صاحب الصناعة المتقدمة الشرق العربي على القيام بمشاريع لاتوافق إلا مشاريع المستعمر كثورة الشريف حسين ، ومشروع الهلال الخصيب ، ومشروع سوريا الكبرى . وما ان تم نفع هذه المشاريع حتى أهملها المستعمر كما حصل في المحاولة الاقتصادية الجدّية المتمثلة في سعي دول الحلفاء إلى خلق « مركز تموين الشرق الأوسط » خلال الحرب العالمية الثانية . فكانت مهمة هذا المركز هي إيجاد التكامل الاقتصادي حتى لايحصل عجز في المواد الأساسية . وكانت هذه المحاولة ناجحة حتى انتهاء الحرب فاضمحلت أهمية المركز في نظر المستعمر ولم تعد له أهمية تذكر .

لقد مرّ قرن من الزمن على التدخل الأجنبي الذي فرض بطبيعته التفكك السياسي والتبعية الاقتصادية جالبا معه الركود الثقافي والخمول الفكري الذي جعل العربي يفقد الثقة بنفسه وحضارته وجعل منه مقلداً للطقوس والعادات الغربية ظانا أنها أفضل وأكثر تقدما من حضارته حتى وصل بعضهم إلى القول : « ان اوربا متفوقة علينا في كل شيء ، وانه وان كان يطيب لنا أن نظن إن الاوربيين أفضل منا ماديا وأننا أفضل منهم روحيا وأخلاقيا فإن هذا ليس صحيحا ، فهم أفضل منا خلقاً وروحيا أيضا » قاسم أمين .

وخلال هذه الفترة الطويلة من الانحطاط الاقتصادي لم تكن هناك الا فترة قصيرة (١٩١٨ ــ ١٩٣٩) خفّ فيها الضغط الأوربي على البلاد العربية مما سبب بعض الازدهار الصناعي في البلاد العربية كما حصل في مصر واستثمارات بنك مصر العربية . فهذه الفترة ــ فترة مابين الحربين ــ شهدت زوال الامبراطورية العثمانية وألمانيا وروسيا القيصرية وانطوت الولايات المتحدة على نفسها وانشغلت أوربا في بناء اقتصادها بعد الكساد العظيم الذي حلّ على الاقتصاد الغربي أثناء تلك الفترة .

أما في أعقاب الحرب العالمية الثانية خصوصا في الخمسينات وأوائل الستينات وهي الفترة التي ظهرت فيها روسيا وامريكا بدلاً من فرنسا وبريطانيا فقد ظهرت أهمية البترول الاستراتيجية والاقتصادية واضحة . ففي هذه المدة انهمكت أوربا في بناء اقتصادها بعدما أصبحت سوقاً رائجة للمنتجات الأمريكية وسوقاً للاستثمارات الأمريكية المباشرة وبذلك خفت الضغوط الاقتصادية على الدول النامية فنتجت عن هذه الغيبة الأوربية ماسمّاه الكاتب ــ بالفترة المجيدة ــ في تاريخ العالم الثالث حيث قامت حركات وطنية استقلالية في معظم أقطار العالم الثالث فكان هناك سوكارنو ونهرو وبن بالا وجمال عبدالناصر وغيرهم من ممثلي دول الحياد الايجابي . كما ظهرت في البلاد العربية حركات أخرى إذ انتهت التبعية في العراق سنة ١٩٥٨ وقامت كذلك في نفس السنة حكومة شهاب في لبنان وابراهيم عبود في السودان وطرد جلوب باشا من الاردن والوحدة بين سوريا ومصر وإعلان الجمهورية اليمنية وبدأت بعض الدول ترفع الشعارات الاشتراكية وتقيم الإصلاح الزراعي وحققت الطبقة لوسطى بعض المكاسب المعنوية والمادية حيث حمت هذه الحكومات الصناعات الوطنية وشجعتها ونشأت كذلك طبقة عمالية كبيرة ورأت هذه الفترة إنشاء مجلس الوحدة الاقتصادي والسوق العربية المشتركة وكانت كذلك فترة من أخصب الفترات لإحياء وبعث التراث الشعبي وتقدمت الخدمات التعليمية وتوفرت الخدمات الصحية بشكل ملحوظ .

ولكن ماذا حدث لهذه التجارب التي شبهها الكاتب بتجربة محمد علي في مصر ؟ فالذي حصل في نهاية هذه الفترة أي في منتصف الستينات أن بدأت ظواهر الوهن على الاقتصاد الأمريكي حيث تم إعادة بناء الاقتصاد الاوربي والياباني ولم تعد هذه الدول سوقا للصادرات الأمريكية وخسرت أمريكا نسبة كبيرة من تجارتها وبدأ الدولار في

الانخفاض واشتد التضخم في الاقتصاد الأمريكي خصوصا بعد تصعيد حرب فيتنام وبدأ العجز يظهر في الاقتصاد الأمريكي . لهذا بدأت أهمية العالم الثالث كمجال لتصريف الصناعات الأمريكية تنجلي تدريجياً وأخذت الحركات الاستقلالية التي كانت تناهض التدخل الأمريكي تسقط واحدة تلو الأخرى وحلّت مكانها انظمة تتمشى سياستها الاقتصادية مع طلبات الاقتصاد الأمريكي وازدادت بعد ذلك صادرات أمريكا لهذه لهذه الدول . أما البلاد العربية فازدادت وارداتها من أمريكا بنسبة هائلة فمصر شهدت زيادة ٧٨ ٪ والسودان ٦٦ ٪ والاردن ١٢٢ ٪ واليمن ١٥٠ ٪ وسوريا ٥٩٧ ٪ وكذلك أصبحت بعض الدول العربية المصدرة للنفط وكأنها وكيلة اعمال الولايات المتحدة من خلال تحديدها لأسعار النفط على مايناسب الاقتصاد الأمريكي .

ومع تدفق السلع الأمريكية خاصة والغربية عامة انصرف الاستثمار الفردي من المشاريع المنتجة إلى الانشغال بأعمال الوساطة والأعمال التجارية وانحسر القطاع العام وازدادت الدول تبعية نتيجة لسماعها « النصح » من الهيئات الدولية كالبنك الدولي ومنظمة العمل الدولية التي يهيمن عليهما خبراء واتباع أمريكيون .

لقد اشتد « التغريب » قوة ورسوخا مما شكّل خطراً ملموساً على الثقافة والحضارة العربية لأنه كما سبقت الإشارة فإن الدول الغربية الكبرى تسعى لتهيئة هــذه الأســواق والمستهلكين للمنتجات الرأسمالية التي يكاد العالم الثالث أن لايكون في حاجة لها . وهكذا تكرر التاريخ وأصبحت الاستثمارات الأجنبية والقروض المالية إحدى الطرق التي سلكتها الدول الغربية مرة أخرى للضغط على الدول النامية لتغيير سياستها واقتصادها بما يناسب أمريكا .

وماذا عن الكيان الصهيوني ودوره في خدمة المصالح الأمريكية ؟ يرى الدكتور جلال أمين الاقتصاد الصهيوني وكأنه امتداد للاقتصاد الغربي وهذا هو الصحيح . وقد حصلت نفس التطورات على اقتصاد اسرائيل وما ان حل منتصف الستينات حتى واجه الاقتصاد الصهيوني طريقين هما إما الانفتاح على أسواق جديدة او ان يواجه الاختناق . إن رغبة إسرائيل في إيجاد أسواق جديدة قريبة هو الدافع الأساسي وراء حل النزاع بين إسرائيل والعرب وما تلاه من مساومة باسم السلام . وقد بدأت كل من أمريكا واسرائيل تخطط منذ ١٩٦٣ ضربة ضد الدول العربية للإطاحة بتلك الحكومات التي ناهضت

مطالب الاقتصاد الأمريكي والصهيوني . فكما عملت المخابرات المركزية الأمريكية على الإطاحة بالحكومات الوطنية في البلاد الأخرى كايران واليونان لجأت الحكومة الأمريكية إلى خادمها في الشرق العربي ـ إسرائيل ـ لتوجه هذه الضربة في ١٩٦٧ والتي أدت إلى احتلال إسرائيل المزيد من الأرض العربية خصوصاً الضفة الغربية بسوقها وأيديها العاملة . وبدأ الحـــديث عن السلام لأن السلام في نظر الإسرائيليين هـو انفتاح الأسواق العربية للمنتجات الإسرائيلية .

وهنا تنجلي « ضرورة إحلال السلام في المنطقة » التي مازالت أمريكا وراءها فبدأت تهيء الظروف المناسبة لنزع السلاح والمباحثات الطويلة ولزيارة السادات إلى القدس الشريف ومصافحته لبيجين وجولدا مائير .. الخ الذي قادت السادات إلى كامب ديفيد والاتفاقية التي ستجعل من مصر سوقاً للمنتجات الإسرائيلية التي لايوجد لها سوق آخر ، وستجعل من المصري عاملا رخيص الإيجار ومستهلكاً للصادرات الإسرائيلية . فهذا ماتريده إسرائيل وأمريكا من مصر يريدان أن يجعلاها الرئة التي يتنفس من خلالها الاقتصاد الاسرائيلي فيفك الحصار الاقتصادي الذي قامت به الدول العربية ويبطل مفعول المقاطعة العربية وبذلك تصبح إسرائيل أكثر جاذبية للاستثمارات الأجنبية ويعود تدفق رأسمال الغرب إليها وبذلك تتخلص امريكا من عبء دعم إسرائيل الذي أصبح كبيراً حيث لاتستطيع الحكومة الأمريكية تـبريــره لشعبها . وهكذا نـــرى مايترتب على الانفتاح الاقتصادي من التفكك السياسي والتدهور في الاقتصاد الوطني ونسيان القضايا العربية والقصور عن اشباع الحاجات الضرورية للأفراد إلى آخره من مزايا التبعية .

ماالحل اذن لهذه المشكلة وكيف تستطيع الدول العربية تخطي هذه الرمال المتحركة التي تهددها بل وتجعلها لقمة سائغة وكيف نبني اقتصاداً مستقلا ؟ وكيف نعيد إلى العربي ثقته بنفسه وحضارته ؟ يقول الدكتور أمين في هذا الصدد « إن رفض الانفتاح الاقتصادي يجب إذن أن يقوم أساساً من منطلق حضاري وليس من منطلق اقتصادي » ويقول أيضاً « إن المهم أن يستغل حماس الناس لقضية يعتقدون بعدالتها أو سموها أو الحاحها أو كل هذا معاً . فتهون التضحية ولا يفكر الفرد في نفسه بل فيمن حوله ، وتتعلق الأبصار كلها بالمستقبل » . ويستطرد القول في مكان آخر « ان مثل هــذا التحول لايمكن أن

يحدث نتيجة لفرض ضريبة جديدة أو رسم جمركي » ثم يعود به الكلام إلى القول إن المطلوب هو كما سماه مالك بن نبي « إرادة حضارية » أو كما سماه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده « بالتعصب » .

اننا لانتفق مع الدكتور أمين في هذه الأطروحة حيث أنه في اقتراحه لهذا الحل يتناقض مع ماجاء به في متن الكتاب . فقد رأينا أنه يوجد علاقة وثيقة ومحكمة لافكاك فيها بين الحياة الاقتصادية والحياة الفكرية والثقافية الخ ... فإذا كان هناك اقتصاد مزدهر مدعوم بحكومة وطنية ومحمي من المنافسات الخارجية فسيؤدي ذلك إلى ازدهار في الحياة الفكرية والثقافية والاستقلال السياسي وبالتالي يخلق في الفرد والمجتمع حيوية وثقة بالنفس ففي عهد محمد علي حيث تقدمت الصناعة ، ازدهرت تبعاً لذلك الحياة التعليمية والفكرية وتكررت التجربة نفسها في الخمسينات عندما جاء جمال عبدالناصر بحكومة وطنية ترعرع الاقتصاد الوطني في ظلها فبعد ذلك بدأت الحياة الفكرية والثقافية والحضارية بالتقدم . لقد رأينا الأثر الدامي للرسوم الجمركية التي فرضتها الامبراطورية العثمانية على المنتجات المصرية والتي عانت منها المنتجات العربية مما جعل المنافسة من صالح الدول الأوربية . إذن يجب مواجهة العوامل والمؤثرات الاقتصادية والسياسية في الانفتاح الاقتصادي بحلول سياسية واقتصادية في اطار حضاري متحرر . ان مايدعو له الكاتب هو من مظاهر التحرر السياسي والاقتصادي . فلنتحرر اولاً من أولئك الذين يدأبون على الارتكان إلى التبعية بمختلف أشكالها ولنحدد من هم الأعداء الحقيقيون فبعد الحرية تأتي الإرادة الحضارية التي ستحيي التراث وتعيد الثقة بالنفس .

أخبار المركز

◉ نظم مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية الندوة العلمية — الثانية التي انعقدت في رحابه وخصصها لدراسة «طرق تجارة القوافل» وحددت أهداف هذه الندوة في ابراز الدور الثقافي والحضاري الذي قامت به أقطار الشمال الأفريقي وخاصة ليبيا في الربط بين شمال القارة الأفريقية وجنوبها ، وفي دراسة تجارة القوافل والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي اسهمت في ازدهارها وفي اضمحلالها ، وفي تتبع الدور الذي لعبته تجارة القوافل في نشر الحضارة العربية الاسلامية في وسط أفريقيا وغربها .

وشارك في هذه الندوة ٣٩ باحثاً من الجماهيرية وممن وفدوا من الأقطار العربية الأقطار العربية والإسلامية ومن أوربا وأمريكا . واستلمت اللجنة التحضيرية ٢٥ بحثاً بلغات مختلفة وزعت إلى خمسة مواضيع رئيسية هي :

١ — مصادر دراسة تجارة القوافل .

٢ — طرق تجارة القوافل .

٣ — المراكز التجارية .

٤ — مواد التجارة الصحراوية .

٥ — انتشار الاسلام في أفريقيا .

وقد افتتح هذا الملتقى العلمي الأخ الدكتور محمد الطاهر الجراري مدير عام المركز بكلمة حيا فيها الضيوف ونوّه بأهمية الموضوع الذي تطرحه هذه الندوة وأشار إلى محاولات الاستعمار المركزة على قطع الصلات العميقة التي تربط شمال القارة الأفريقية بوسطها وغربيها والتي تتمثل في الاسلام والحضارة العربية الاسلامية وأكد على خطورة الفجوة التي استطاع الاستعمار احداثها عن طريق النظرات الخاطئة التي زرعها وتقليص انتشار الاسلام والوقوف في وجه الحضارة العربية الاسلامية ودعا إلى ضرورة إعادة كتابة تاريخ هذه المنطقة وتخليصه من الأخطاء التي غرست فيه .

وألقى الدكتور كونته من النيجر كلمة الباحثين المشاركين في الندوة وألقى الأخ الأستاذ حبيب وداعة الحسناوي رئيس اللجنة التحضيرية للندوة كلمة تعرض فيها لأهداف الندوة والمهام الملقاة على لباحثين المشاركين فيها وأشار إلى الأمور التنظيمية الخاصة بسير الندوة وقد تضمن البرنامج خمس جلسات علمية ألقيت خلالها نتائج البحوث المقدمة وتمت مناقشتها ونظمت للمشاركين زيارات لبعض المعالم الأثرية في طرابلس والمناطق المجاورة لها .

◉ **معرض غدامس :** نظم بمناسبة ندوة طرق تجارة القوافل معرض لمدينة غدامس تضمن تعريفاً بهذه المدينة العريقة التي ارتبط ازدهارها إلى حد كبير بتجارة القوافل فقد كانت غدامس أحد أهم مراكز التجارة الصحراوية ، كما جمع هــذا المعرض ألواناً من التراث الشعبي الغدامسي والصناعات التقليدية الغدامسية ووثائق ومخطوطات استقدمت من مكتبات خاصة في مدينة غدامس كما ضم المعرض نموذجاً للبيت الطارقي وهو عبارة عن خيمة وضعت فيها جميع قطع الأثاث واللوازم التي يحتاجها الطارقي في حياته . وقد نظم هــذا المعرض بالتعاون مع لجنة حفظ التراث ببلدية غدامس وحظي باقبال كبير من المواطنين بحيث تقرر تمديد الفترة الزمنية المخصصة له ثلاث مرات .

◉ **معارض اخرى :** ساهمت مكتبة المركز في النشاطــات العلمية التي نظمت بمناسبة ندوة طرق تجــارة القوافل فأقامت معرضاً لمقتنياتها المتعلقة بموضوع الصحراء وأدب الرحلات كما شاركت المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان بعرض سلسلة من منشوراتها .

◉ **ندوة ليبيا : تاريخ وخبرات ومستقبل ثورة :**

بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة نظمت جامعة كارل ماركس في ليبزيغ بألمانيا الديمقراطية بالتعاون مع مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية خلال يومي ١٢ و ١٣ سبتمبر ١٩٧٩ ندوة بعنوان « ليبيا : تاريخ وخبرات ومستقبل ثورة » وقد مثل المركز في هذه الندوة كل من الأخوة : الأستاذ حبيب وداعة الحسناوي ــ الدكتور محمد المدني الحضيري ــ الدكتور صلاح الدين حسن ــ أحمد عطية المدلل ــ محمد فرحات القاضي وقد ألقى ممثلو المركز المحاضرات التالية :

* حبيب وداعة الحسناوي : القواعد العسكرية الأجنبية في ليبيا ونضال الشعب العربي الليبي ضدها .

* حبيب وداعة الحسناوي : تطور أداة الحكم في الجماهيرية منذ أول سبتمبر ١٩٦٩ حتى اعلان سلطة الشعب .

* محمد المدني الحضيري : المضامين الأساسية للثورة الثقافية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

* صلاح الدين حسن : التطور السياسي في ليبيا قبل ١٩٦٩ .

* أحمد عطيه المدلل : رد الفعل الوطني تجاه الغزو الاستعماري الايطالي ١٩١١ — ١٩١٢ .

وشارك من الجانب الألماني عدد من الأساتذة من جامعات ألمانيا الديمقراطية ساهموا بأبحاث تتناول نضال الشعب العربي الليبي ضد الاحتلال والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجماهيرية وقد ترأس الندوة الأستاذ فوغت مدير مركز الأبحاث العلمية لأفريقيا والشرق الأوسط كما شارك الأستاذ راتمان رئيس جامعة كارل ماركس ببحث تناول فيه الخطوط العامة للنضال المعادي للاستعمار في ليبيا . ومن المعلوم أن الأستاذ راثمان يشرف على تأليف كتاب « تاريخ العرب » الذي صدرت منه حتى الآن ستة مجلدات باللغة الألمانية وستصدر أبحاث هذه الندوة باللغة الألمانية .

◉ احتفالات الذكرى التاسعة لعيد الثأر ٧ اكتوبر ١٩٧٩ :

بمناسبة الذكرى التاسعة لعيد الثأر ٧ أكتوبر ١٩٧٩ م قام مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية بتظاهرة علمية ثقافية ذات طابع تاريخي تضمنت الفقرات التالية :

١ — تسجيل أربع ندوات علمية بالاذاعة المرئية والمسموعة حول :

* معركة تاقرفت .
* الرواية الشفوية كمصدر للتاريخ الليبي .
* ندوة مع المؤرخين الليبيين من الرعيل الأول .
* الاستيطان الايطالي في ليبيا .

٢ ـ تنظيم معارض للجهاد :

قام المركز بتنظيم معرض للجهاد في المكان الذي جرى فيه الاحتفال الشعبي الكبير بمناسبة أعياد الثأر . وفي هذا العام جرى في المكان الذي وقعت فيه معركة تاقرفت تحت رعاية الأخ العقيد معمر القذافي قائد الثورة . وقد افتتح الأخ قائد الثورة هذا المعرض الذي تضمن صوراً تاريخية قيمة تسجل تاريخ حركة الجهاد الليبي ضد الاستعمار الايطالي منذ ١٩١١ وحتى رحيل آخر فاستشي عن تراب الوطن في اكتوبر ١٩٧٠ كما ضم المعرض قسماً خاصاً عن معركة تاقرفت التي جرت في ٢٥ فبراير ١٩٢٨ ونظم المركز معارض مماثلة في اثني عشر مدينة من مدن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وهي زليطن ـ غدامس ـ مصراته ـ غات ـ هون ـ المرج ـ البيضاء ـ اجدابيا ـ بني وليد ـ يفرن ـ صبراته ـ تاجوراء ، وتهدف هذه المعارض إلى تعريف المواطنين وتوعيتهم إلى الأهمية الكبرى لحركة الجهاد الليبي وابراز الدور الهام الذي قام به الشعب العربي الليبي في التصدي للاستعمار والهيمنة الامبريالية وقد تم افتتاح معرض دائم للجهاد الليبي في مقر المركز بطرابلس .

٣ ـ حلقات نقاش حول صدى الغزو الايطالي في الصحافة العالمية من وجهة النظر التركية .

استضاف المركز نخبة من الأساتذة الجامعيين الأتراك وقاموا بالقاء المحاضرات التالية :

* نجاة قويونج : حرب طرابلس وتقارير وزارة الخارجية التركية من واقع الصحافة العالمية .

* أورخان كول أوغلو : الحملات الصحفية الداعية لحرب ليبيا ١٩١١ .

* أمل دوغرامجي : بداية الحرب التركية الايطالية في جريدة التايمز والجازيت المصرية .

* بايرام كودامان : حرب طرابلس ١٩١١م في الحركة التاريخية التركية .

وتأتي حلقات النقاش هذه كمقدمة لجهود اللجنة المشتركة بين البلدين لاعادة كتابة تاريخ العلاقات العربية الليبية التركية .

كما اقيمت ندوة حول موقف المثقفين الايطاليين من الغزو الايطالي لليبيا شارك فيها كل من الدكتورة جويا كباوس والدكتور سلفاتوري بونو .

◉ مؤتمر حول المؤرخ العربي الليبي « ابن غلبون » .

يدرس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية مشروع اقامة مؤتمر حول المؤرخ العربي الليبي ابن غلبون الذي عاش في القرن الثامن عشر وألف كتاب « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » وقد حددت أهداف هذا المؤتمر في دراسة النقاط التالية :

١ ــ المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات والروايات الشفهية التي استند عليها ابن غلبون عند وضعه لكتاب التذكار .

٢ ــ التعريف الكامل بابن غلبون .

٣ ــ نقد المنهج التاريخي لابن غلبون في كتابه « التذكار » وفيما ينسب اليه من كتب أخرى .

٤ ــ تقصي أثر كتابه « التذكار » كمصدر أساسي لتاريخ ليبيا في كتابات المؤرخين العرب والأجانب .

٥ ــ تقييم ثقافة ابن غلبون التاريخية والعامة من خلال الاستعراض النقدي لما يلي :

آ ــ المناخ الفكري والثقافي والتعليمي في الجامع الأزهر إبان الفترة التي درس فيها ابن غلبون وبخاصة « رواق المغاربة » .

ب ــ المناخ الفكري والثقافي والتعليمي في ليبيا عند نهاية العهد العثماني الأول وخلال حكم أحمد باشا القرمانلي .

٦ ــ دراسة العبدري ورحلته والشيخ أحمد بن عبدالدائم الأنصاري وقصيدته .

٧ ــ دراسة المؤلفات الأخرى المنسوبة إلى ابن غلبون .

٨ ــ دراسة مقارنة حول مخطوطات كتاب التذكار .

٩ ــ عقد مقارنة نقدية منهجية بين المادة التاريخية في كتاب « التذكار » لابن غلبون وكتاب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » تأليف أحمد النائب الأنصاري

وقد حدد بشكل مبدئي بداية الاسبوع الثاني من شهر ديسمبر ١٩٨٠ موعداً لانعقاد هذا المؤتمر وكلف المركز الدكتور محمد عبدالكريم الوافي الأستاذ المساعد بقسم الجهاد العربي الليبي والمتعاون مع المركز بالإشراف على تنظيم هذا المؤتمر .

◎ الاسبوع الثقافي الليبي في إيطاليا :

في اطار التعاون القائم بين مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية والمعهد الايطالي الافريقي بروما سينظم اسبوع ثقافي ليبي تحت عنوان « ليبيا ، تاريخ وثورة » خلال شهر أبريل ١٩٨٠ . وتهدف هذه الندوة إلى دراسة التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية منذ تفجر ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة وتلمس جذور هذه التحولات في جهاد الشعب العربي الليبي ضد الاستعمار والاستغلال كما تهدف الندوة إلى مناقشة العلاقات العربية الليبية الايطالية في الماضي والحاضر والمستقبل من أجل فهم أفضل وبناء علاقات متكافئة . ويشتمل البرنامج على محاضرات عامة ومناقشات ومعرض عام .

◎ مشروع جمع روايات الجهاد الليبي :

بلغت حصيلة الحملة الثانية في مشروع جمع روايات الجهاد الليبي حوالي ٢٠٠٠ شريط وما زال البحث جارياً في تجميع الروايات . وقد وضع المركز استبياناً وفق احدث الطرق العلمية وسيوزع على أوسع نطاق في جميع أنحاء الجماهيرية بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات حول حركة الجهاد الليبي سواء من الذين شاركوا في حركة الجهاد أو من الذين لم يشاركوا بصورة مباشرة وتتوفر لديهم معلومات حول الجهاد أو حول الجوانب المختلفة للحياة العامة في تلك الفترة .

◎ في اطار الموسم الثقافي الذي ينظمه المركز قام وبناء على دعوته بزيارة الجماهيرية كل من الأساتذة :

١ ـ الدكتور محمود حسين الأمين بكلية التربية بجامعة الفاتح وألقى محاضرة بعنوان « النعانيون الغربيون » .

٢ ـ الدكتور يوسف فضل حسن مدير معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم وألقى محاضرة بعنوان « البحر الأحمر في التاريخ » .

٣ ـ الدكتور فريد اليحكي من كلية التربية بجامعة الفاتح وألقى محاضرة بعنوان « أفريقيا فيما قبل التاريخ » .

٤ ـ الدكتور عبدالرحمن شاه ولى من كلية التربية بجامعة الفاتح وألقى محاضرة بعنوان « حول فلسفة محمد اقبال » .

وقد وجهت الدعوة لعدد من الأساتذة لالقاء محاضرات حول مواضيع تاريخية مختلفة .

◉ دعوة رئيس جامعة حلب لزيارة المركز : -

وجهت الدعوة إلى السيد الاستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب بالجمهورية العربية السورية لزيارة المركز وبحث امكانيات زيادة التعاون العلمي والثقافي وتمتين أواصر العلاقات الأخوية بين المركز وجامعة حلب .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن علاقات أخوية وطيدة وروح تعاون ايجابي تربط المركز بجامعة حلب ولقد تمت طباعة أعداد مجلة البحوث التاريخية الثلاثة التي صدرت حتى الآن في مطبعة هذه الجامعة، كما أن الجامعة قد وافقت على اعارة بعض المختصين العاملين لديها من أجل العمل في المركز في اطار التعاون الأخوي بين المؤسستين .

◉ زيارة الأخ الدكتور محمد الطاهر الجراري ـ مدير عام المركز ـ إلى تونس والجزائر وتركيا : قام الأخ الدكتور محمد الطاهر الجراري مدير عام المركز بزيارات إلى كل من الجزائر وتونس وتركيا بقصد الاتصال المباشر بالمراكز والمؤسسات العلمية المختلفة في البلدان المعنية ، بهدف توطيد العلاقات وتنسيق الجهد وصول الأرضية مشتركة للحركة . خصوصاً فيما يتعلق بتبادل الزيارات وعقد الندوات والحلقات العلمية وتبادل المعلومات والوثائق ذات الأهمية المشتركة ولقد اتصل بعدد من الأخوة المؤرخين

في القطر الجزائري الشقيق وزار قسم التاريخ والآثار بجامعة الجزائر والمركز الوطني للدراسات التاريخية حيث درس امكانية توطيد العلاقات العلمية والادارية بين المركزين ، واطلع برفقة الاستاذ ـ أحمد توفيق المدني على نتائج مسابقة نظمها المركز المذكور لتجميع حركة الجهاد .

كما زار أيضاً المتحف الوطني للمجاهد بمنطقة الابيار حيث وقف على اسلوب جمع الرواية الشفهية حول حرب التحرير الجزائرية وكل مايتعلق بها من وثائق وصور وغيرها . وزار متحف المجاهد بالقبة واطلع على الأدوات الخاصة بالجهاد كما زار الأخ ـ المدير العام تونس والتقى هناك مع عدد من المؤرخين وتبادل معهم الآراء حول امكانية التعاون .

وفي تركيا زار الأخ ـ المدير العام بعض المؤسسات العلمية والشخصيات التركية بقصد الابقاء على العلاقات التي تطورت نتيجة للمناسبات العلمية المشتركة التي نظمها المركز والجهات العلمية التركية .

فقد قام بزيارة مكتبة السليمانية ، ومكتبة بيازيد ، ومكتبة البلدية وارشيف رئاسة مجلس الوزراء ، ومكتبة توب قابي سراي . وقد بحث مع المسؤولين في هذه المؤسسات كيفية تبادل الوثائق ونشرها كشفاً للحقيقة وابرازاً للجوانب الايجابية في علاقات الشعبين العربي والتركي .

كما ناقش موضوع المؤتمر القادم للعلاقات العربية التركية والذي سيعقد في الجماهيرية والمؤتمر الثاني للعلاقات العربية الليبية التركية اثناء حرب التحرير الليبية ، ومن المعلوم ان المؤتمر الأول كان قد عقد في طرابلس خلال شهر اكتوبر الماضي . كما اجتمع الأخ ـ المدير العام مع عدد من المفكرين الأتراك أمثال ـ كمال كربات وكمال ميريش المفكر الكفيف الذي يعتبره الأتراك حجة في أدبهم وفكرهم .

وتم التوصل إلى نتائج ايجابية للعلاقات العلمية والثقافية بين الجانبين .

مؤتمرات عالمية

مهرجان زروق

الذكرى الخمسمائة لوفاته

تقيم الجماهيرية مهرجاناً لاحياء ذكرى الشيخ أحمد الزروق بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته . وقد شكلت أمانة مؤتمر الشعب العام لجنتين للاعداد لهذا المهرجان الذي سيقام بمصراته خلال الفترة الواقعة بين ٣ و ٧ شعبان ١٣٨٩ والموافق ١٦ — ٢٠ يونيو ١٩٨٠ م .

ويتضمن هذا المهرجان مناقشات وبحوثاً تدور في نطاقين :

١ — مايتعلق بزروق (حياته — مؤلفاته — رحلاته — آثاره — زروق الناقد — الصوفي — المجدد — اللغوي — الفقيه) .

٢ — مايتعلق بعصره (المراكز العلمية في عصر الزروق — تراجم أعلام عصره — أثر الصوفية في الحياة العامة — الصوفية : سلبياتها وايجابياتها) .

كما سيقام معرض لآثار الزروق المخطوطة والمطبوعة ولما كتب عليه تضاف اليه صور لمدرسته وجامعه ورسومات مستلهمة من حياته وأعماله وسيعرض شريط حول الزروق وأشرطة حول الثورة العلمية والثقافية في الجماهيرية . وسيقدم عرض مسرحية قصيرة باسم « شهاب الدين » تمثل زروقاً في ثورته ضد الجمود والشعوذة والتخلف الفكري كما ستنظم حفلة للموشحات والذكر الصوفي .

◉ المؤتمر الثاني لتاريخ المغرب العربي وحضارته

وجهت الجمعية التونسية للمؤرخين الجامعيين بالاشتراك مع مركز الأبحاث الاقتصادية

والاجتماعية الدعوة للمؤتمر الثاني لتاريخ المغرب وحضارته الذي سينعقد في تونس خلال شهر نوفمبر ١٩٨٠ وسيكون موضوعه دراسة التبعية والمقاومة وحركات التحرير في تاريخ المغرب العربي من التاريخ القديم إلى الحديث وستتناول البحوث الجوانب السياسية والاجتماعية بدون استثناء المظاهر الاقتصادية والثقافية والمذهبية والدينية كما ستشمل اسبانيا خلال العهد العربي .

◉ مؤتمر منظمة دراسات الشرق الأوسط بأمريكا الشمالية MESA :

انعقد مؤتمر منظمة دراسات الشرق الأوسط ، MESA بأمريكا الشمالية في دورته السنوية الثالثة عشر بمدينة سولت ليك بولاية يوتا بالولايات المتحدة الامريكية ، في الفترة الواقعة مابين الأربعاء السابع من نوفمبر إلى يوم السبت العاشر منه ، ١٩٧٩ .

تهتم هذه المؤسسة العلمية ، التي أنشئت سنة ١٩٦٦ بتطوير دراسات الشرق الأوسط ومن أهم أهدافها تذليل مشاكل الاتصال العلمي بين المختصين في هذه المنطقة من العالم . ويشمل نشاط هذه الهيئة عقد الندوات العلمية السنوية وتسهيل عقد ندوات لكل جماعة من الاختصاصيين في أي منطقة أو أي فترة زمنية تقع في اطار الشرق الأوسط في أوسع تعريف له .

ومن أهم نشاطات هذه المؤسسة العلمية إصدار مجلة علمية مرموقة بعنوان « مجلة دراسات الشرق الأوسط العالمية » التي تشرف على تحريرها الأستاذة : عفاف لطفي السيد والتي كانت أيضاً رئيسة لمؤتمر هذه المؤسسة في دورة انعقاده الثالثة عشر في مدينة سولت ليك . كما تصدر هذه الهيئة العلمية كراسة دورية تهتم بالنشاطات العلمية والنشرات الأخبارية .

إن التقليد الجاري لهذه المؤسسة هو أن تعقد مؤتمرها كل سنة في ولاية . ولما كان إنعقاد مؤتمر هذه السنة في ولاية يوتا . المعروفة بتحفظها إزاء مطالب المرأة بأمريكا فإن معظم الباحثات قاطعن المؤتمر احتجاجا على موقف ولاية يوتا من هذه القضية وللتعبير عن ذلك الموقف قام لفيف من الباحثات بدعوة إلى عقد مؤتمر تظاهري في مدينة نيويورك يمثل هذا اللقاء السنوي ندوات عامية تتناول منطقة الشرق الأوسط في مختلف المجالات العلمية كاللغوية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وقد اشتمل

مؤتمر سولت ليك على ثلاثين ندوة علمية كان نصيب الشمال الأفريقي منها ثلاث ندوات علمية . وكانت هذه الندوات هي السادسة والخامسة عشر والسابعة والعشرين .

أما الندوة السادسة فقد طرحت تحت عنوان « المظاهر الدينية والاقتصادية في الشمال الافريقي » . وقد ترأس هذه الندوة جين كلود واتن Jean Cluade Vatin ومن البحوث التي قدمت في هذه الندوة مايلي :

١ ــ تاريخ عوائل العلماء في تونس .

٢ ــ تاريخ زاوية تامقروت في مراكش في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

٣ ــ طرق التجارة الصحراوية الجزائرية في القرن التاسع عشر .

٤ ــ المقاومة الدينية في الجزائر .

أما الندوة الخامسة عشر فقد خصصت بكاملها عن ليبيا ، ومن أهم المواضيع التي طرحت مايلي :

آ ــ محاضرة بعنوان « الجهاد الليبي » قدمتها ليسا أندرسون من جامعة كلومبيا بنيويورك تتحدث فيها عن جهود جامعتي قاريونس والفاتح في إعادة كتابة التاريخ .

ب ــ سياسة ليبيا الخارجية محاضرة قدمها الدكتور هنري حبيب من جامعة كونكورديا بكندا .

أما الندوة السابعة والعشرون فقد خصصت لمعالجة بعض المشاكل التعليمية التي تواجه المختصين الأمريكيين في تدريس تاريخ شمال افريقيا لطلبة المرحلة الجامعية . وقد ألقيت في هذه الندوة محاضرات تحت العناوين التالية :

١ ــ تدريس تاريخ شمال افريقيا الوسيط .

٢ ــ تدريس تاريخ شمال افريقيا الحديث لطلبة المرحلة الجامعية بالولايات المتحدة

٣ ــ الهوة في التاريخ المغربي ١٥٠٠ ــ ١٨٣٠ .



المراجع أو البيبليوغرافيا المغربية

عقيل البربار

كلية الآداب ـ جامعة قاريونس
بنغازي

أولاً : قائمة بالمنشورات العربية المتعلقة بالمغرب العربي
التي صدرت في الفترة الواقعة
من ١٩٧٠ - ١٩٧٩

شؤون اقتصادية

الجزائر ، الحالة الاقتصادية الجزائرية ١٩٧٢ – ١٩٧٣ . الجزائر : مكتبة الغرفة التجارية والصناعية ، ١٩٧٥ ، ٢٤٨ ص

الشركسي ، محمد مصطفى .

لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الايطالي . طرابلس – تونس : الدار العربية للكتاب ١٩٧٦ ، ٩٨ ص

بريون ، عبدالسلام .

قراءات في الاقتصاد الليبي ١٩٦٨ – ١٩٦٩ . طرابلس : دار مكتبة الفكر ١٩٧١ ١٩٥ ص

جامعة الدول العربية .

دليل استثمار الجمهورية العربية الليبية . القاهرة : مركز التنمية الصناعية ، الجامعة العربية ، ١٩٧١ م ، ٦٣ ص

ببليوغرافيا المطبوعات العربية الصادرة في مجالات التنمية الصناعية في الدول العربية . القاهرة : مركز التنمية الصناعية ، الجامعة العربية ، ١٩٧١ م ، ٤٣٠ ص

حجير ، مبارك .

الأنظمة الاقتصادية للدول العربية . بيروت : مطبعة دار لبنان ، ١٩٧١م ، ٢٧٥ ص

شامية ، عبد الله محمد .

التنمية الزراعية في منطقة الجبل الأخضر . بنغازي : الجامعة الليبية ، ١٩٧٣ م ، ٩٥ ص .

عبدالحميد ، مصطفى .

المحاسبة في شركات الأموال . بنغازي : الجامعة الليبية ، ١٩٧١ م ، ٣٥٧ ص .

عبدالرحيم ، نوح محمد .

المحاسب الضريبي دراسة نظرية تطبيقية متقاربة مع التشريع الضريبي الليبي . الطبعة الأولى . بنغازي : الجامعة لليبية ، ١٩٧١ م ، ٣٩٧ ص .

منصور ، أحمد توفيق ومحمد سامح .

تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي . القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ م ، ٧٤٢ ص .

شؤون أدبية

الجابري ، محمد صالح .

دراسات في الأدب التونسي : طرابلس . الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨م ، ٢٧٨ ص

السلامي ، ابراهيم .

الشعر الوطني في عهد الحماية . ١٩١٢ ــ ١٩٥٦ . الدار البيضاء : دار الثقافة ١٩٧٤ م ، ٣١٠ ص

الشافعي ، محمد ابراهيم .

اتجاهات الشباب في ليبيا ، دراسة علمية لاتجاهات الشباب وميولهم نحو أهم قضايا الأسرة والمجتمع . بنغازي : جامعة بنغازي ، كلية اللغة العربية ١٩٧٦ م ، ٢٣٣ ص

الغزي ، الهادي حموده .

الأدب التونسي في عهد الحسيني ١٠٧٥ ــ ١٨٨١ . تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢ م ، ٣١١ ص

النسّاج ، سيد حامد .

الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى ١٩٦٣ — ١٩٧٥ . القاهرة : النساج ، ٤٤٨ ص

تركي ، رابـــح .

الشيخ عبدالحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ م ، ٣٧٧ .

حلقة الادارة التعليمية في البلاد العربية .

بحوث مؤتمر طرابلس ١١ — ١٦ — سبتمبر — ١٩٧٣ . القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٤ م ، ١٨٢ ص .

ركيبي ، عبد الله .

تطور النشر الجزائري الحديث ، ١٨٣٠ — ١٩٧٤ . الطبعة الثانية ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ٢٦٨ ص

شرف الدين ، المنصـــف .

تاريخ المسرح التونسي . تونس : ١٩٧٢ م ، ١٦١ ص .

غازي ، محمد فريد .

أبو القاسم الشابي من خلال يومياته . تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٥ م ، ٩٩ ص .

قنون ، عبد الله .

النبوغ المغربي في الأدب العربي . ثلاثة أجزاء ، الطبعة الثالثة منقحة . بيروت : مكتبة المدرسة ، ١٩٧٥ م ،

محمود ، زكي نجيـــب .

تجديد الفكر العربي . الطبعة الثانية ، بيروت : دار الشرق ، ١٩٧٣ م ، ٣٨٦ ص

شؤون تاريخية

ابراهيم ، عبد الله .

صمود وسط الاعصار : محاولة لتفسير تاريخ المغرب العربي . كازبلانكا : مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٧٦ م ، ١٢٤ ص .

ابراهيم ، عبدالله علي .

« حركة الترجمة في ليبيا وآثارها الايجابية والسلبية » . مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول (يناير ١٩٧٩) ٩٧ ـ ١١٠ .

البشير بن سلامة .

النظرية التاريخية في الكفاح التحرري التونسي . تونس : مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ، ١٩٧٧ م ، ١٤٢ ص

الجبري ، محمد العربي .

مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث . الجزائر : المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ م ، ١٦٤ ص .

الجراري ، محمد الطاهـر .

« لماذا كتابة التاريخ » مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (يناير ١٩٧٩) ، ٩٢ ـ ٩٦ .

الجمال ، ابراهيم محمد .

أمير المسلمين يوسف بن تشفين قاهر الصليبيين في الغرب وموحد المغرب والأندلس ٤٠٠ ـ ٥٠٠ هجري . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٦٧ م ، ٢٢٧ ص .

الحرير ، عبدالمولى صالح .

« منظمة تشكيلاتي مخصوصة السرية وادوارها في حركة النضال الوطني ١٩١١ ـ ١٨١٨ » . مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول (يناير ١٩٧٩) ، ١٤ ـ ٥٠ .

الحسناوي ، حبيب وداعه .

« حملة رمضان باي على غدامس ١٦٠٩ م — ١٠١٨ ه كما يصورها مخطوط غدامسي » . مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول (يناير ١٩٧٩) ، ٧٨ — ٩١ .

الحضيري ، محمد المدني .

« الطريق من طرابلس إلى فزان » . مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (يناير ١٩٧٩) ، ١١١ — ١٢٢ .

الدرجيني ، احمد بن سعيد .

كتاب طبقات المشايخ بالمغرب . تحقيق ابراهيم طلالي ، قسنطينة ، الجزائر : مطبعة البعث ، ١٩٧٥ م ، جزآن .

الزاوي ، الطاهر أحمد .

عمر المختار . طرابلس : الفرجاني ، ١٩٧٠ م ، ٢٢٦ ص

الزائدي ، محمد رجب .

ليبيا في العهد القرمانلي . بنغازي : دار الكتاب الليبي ، ١٩٧٤ م ، ١٤٩ ص .

الزبيري ، محمد العربي .

مقاومة الجنوب للاحتلال التونسي . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٢ م ، ٩٠ ص

الطيبي ، أمين توفيق .

« جبل طارق (جبل الفتح) معقل اسلامي عبر القرون الوسطى (٧٩٢ — ٨٦٦ ه / ٧١١ — ١٤٦٢ م) عرض تاريخي » . مجلة البحـوث التاريخيـة ، السنة الأولى ، العدد الأول (يناير ١٩٧٩) ، ص ٥١ — ٧١ .

العبادي ، أحمد مختار .

في تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٧٥ م ، ٣٩٤ ص .

الفاهوم ، صبا .

المرأة الليبية في عشرة أعوام ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ . بيروت : ١٩٧٦ م ، ١١٦ ص

الكيب ، نجم الدين غالب .

مدينة طرابلس عبر التاريخ . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ١٤٣ ص

الكيب ، نجم الدين غالب .

الحرب البحرية بين نيابة طرابلس الغرب وامريكا . طرابلس : المطبعة العصرية ، ١٩٧١ م ، ٩٧ ص

المجدوب ، عبد العزيز .

الصراع الذهبي في افريقيا إلى قيام الدولة الزبيرية . تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٥ م ، ٣١٦ ص

حسن ، علي حسن .

تاريخ المغرب العربي . القاهرة : مكتبة الشباب ، ١٩٧٧ م ، ٣٥٧ ص

رمضان ، علي مصطفى .

تأملات في المعمار الاسلامي في ليبيا . طرابلس : وزارة الدولة ، الادارة العامة للثقافة ، ١٩٧٥ م ، ١٤٨ ص .

صبحي ، حسن محمد .

تاريخ شمال افريقيا الحديث والمعاصر . الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٧٣ م ، ٢١٧ ص .

عسلي ، بسّام .

موسى بن نصير . بيروت : دار النفائس ، ١٩٧٦ م ، ١٦٠ ص .

غانم ، عماد الدين .

« الرحالة الألماني رولفس في ليبيا » . مجلة البحوث التاريخية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (يناير ١٩٧٩) ، ١٢٣ ـ ١٤٠ .

فائد ، عبد الحميـــد .

المرأة وأثرها في الحياة العربية . بيروت : جمعية بيروت العربية ، ١٩٧٧ م ، ١٢٢ ص .

قداح ، نعيم .

حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ م ، ٢٦٩ ص

قسم الدراسات والتوثيق بدار المسيرة .

الثورة الشعبية في ليبيا . بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٧ م ، ١٥٩ ص

كرو ، أبو القاسم محمد .

العرب وابن خلدون . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧ م ، ١٤٣. ص

خير الدين التونسي .

تونس : دار المغرب العربي ، ١٩٧٣ م ، ١١١ ص .

مجاهد ، مسعود .

تاريخ الجزائر . الجزء الأول . الجزائر : ١٩٧٧ م ، ٤٣٧ ص .

نصحي ، ابراهيم .

انشاء قوريني وشقيقاتها . بنغازي : الجامعة الليبية ، ١٩٧٠ م ، ١٢٣ ص

هورنمان ، فريدك .

يوميات الرحالة فريدك هورنمان . الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام ١٧٩٧ م . ترجمة مصطفى محمد جودة . طرابلس : مكتبة الفرجاني ، ١٩٦٨ م ، ١٨٧

ياخيموفتش ، زب .

الحرب التركية الايطالية ١٩١١ — ١٩١٢ . ترجمه عن الروسية هشام التكريتي بنغازي : الجامعة الليبية ١٩٧٠ م ، ٢٧٢ ص

شؤون ثقافية

أبو رقية ، علي .

فريق النجدة . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ١١٩ ص

التوزري ، ابراهيم العبيدي .

تاريخ التربية بتونس . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٥ م ،

القويري ، عبد الله .

عندما تضج الأعماق . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ٢٢٧ ص

زفزاف ، محمد .

قبور في الماء . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ١٠٠ ص .

شريط ، عبدالله .

من واقع الثقافة الجزائرية . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ م ، ١٨٥ ص

غلاّب ، عبد الكريم .

واخرجها من الجنة . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧ م ، ١٦٢ ص

شؤون سياسية

الكعاك ، عثمان .

العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٢ م ، ٢٢٧ ص

عبد الله ، الطاهر .

الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة . ١٨٣٠ ـ ١٩٥٦ . بيروت : مكتبة الجماهير ، ١٩٧٦ م ، ٢٩١ ص

غلاّب ، عبد الكريم .

الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧ م ، ٢١٩ ص

نازلي ، معوض أحمد .

العلاقات بين الجزائر وفرنسا من اتفاقيات ايفان إلى تأميم البترول ١٩٦٢ — ١٩٧١ . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ٢٨٥ ص

شؤون عامة

الحاجي ، محمد سالم .

ثلاثة وجوه لعملة واحدة . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ م ، ١٢٣ ص

بعيو ، مصطفى عبد الله .

المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا . طرابلس : الدار العربية للكتاب ١٩٧٥ ، ١٥١ ص .

تشرشل ، شارل هنري .

حياة الأمير عبدالقادر . ترجمة أبو القاسم سعد الله . تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٤ م ، ٣٣٤ ص

جبران ، مسعود .

أحمد الفقيه حسن ١٨٩٤ — ١٩٧٥ . طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٦ م ١٤٣ ص

دودو ، ابو عائد .

الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان . الألمان . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ م ، ١٠٨٠ ص .

عبد الحميد ، عمر مولود .

حجة القياس في اصول الفقه الاسلامي . بنغازي : جامعة بنغازي ، كلية الحقوق ، ١٩٧٣ م ، ٥١٤ ص .

عمر ، محمد عبد الخالق .

القانون الدولي الليبي الخاص . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ م ، ٤٣٢ .



ثانيا : قائمة بالمنشورات الأجنبية المتعلقة بالمغرب العربي
التي صدرت في الفترة الواقعة
من ١٩٧٠- ١٩٧٩

Art Linguistics and Literature

Abu — Haidar , Farida . « A survey of the Algerian Novel written in French » . Maghreb Review , Vol . 2 No . 1 (Jan . Feb . 1977) , 19 — 22 .

Askari , H . and J . Cummings , « The Middle East and the United States : A problem of Brain Drain . » International Journal of Middle East Studies 8 (January 1977) , 65 — 90 .

Berque , J . Cultural Expression in Arab Society Today . Austin : University of Texas Press , 1978 , 370 p p .

Boullata , Issa J . Modern Arab poets 1950 — 1975 . Washington D . C : Three continents press , 1976 , 168 pp .

Clement , J . F . A . « panorama de la Littèrature Marocaine d'expression francaise . » Esprit (June 1974) , 1056 — 1069 .

Etienne , Bruno . L' Algèrie , Culturie , et Rèvolution . paris : Edition de Seciel , 1977 .

Heggoy , Alf Andrew . « Education in French Algeria : An Essay on Cultural Conflict . Comparative Education Review (Los Angeles) (June 1973) , 180 — 197 .

Jayyusi , Salma K . Trends and movements in Modern Arabic poetry . Leiden : E . J . Brill , 1977 . Two vol s . 877 pp .

King , James Roy . « The Theme of Alienation in Contemporary Middle Eastern Literature . » Muslim world . Vol . 68, No . 2 (April 1978) , III — 131 .

Lings , Martin . The Quranic Art of Calligraphy and IIIumination . London : World of Islam Festival Trust , 1977 , 242 pp .

Murphy , Dermot F . « Colonial and post — Colonial Language policy in the Maghreb . Review . Vol . 2 (March — April 1977) , 1 — 9 .

Norris , H . T . Saharan Myth and Saga . London : Oxford University press , 1972 ,

The pilgrimage of Ahmed: Son of the Little Bird of paradise: An Account of a 19 th Century pilgrimage from Mauritania to Mecca. Warminster . 1977, 168 pp.

Rice , David Talbot . Islamic Art . London : Thames and Hudson , 1975 , 288 pp .

Souriau , C , La Presse Maghrèbine . paris : de Recherches et d'Etudes sur Les Sociètès Mèditerranèennes , 1970 , 369 pp .

Zahlan, A. B. « Science in the Arab World. » Minerva. Vol. 8, No. 1 (1970), 8 — 35

Economics

« Agriculture in the North African Subregion. » Economic Bulletin for Africa. Vol. 9, No 2 (1970), 51 — 77.

Akins, J. « The oil crisis : This time the wolf is here. » Foreign Affairs Vol. 51, 3 (April 1973), 162 — 190.

« Algiers 75. » Europe outremer. (March 1975), 7 — 60.

Allan, J. A. et al. (eds.) Libya : Agriculture and Economic Development. London : Frank case, 1973. 240 pp.

Amin, G. « Income Distribution and economic development in the Arab World 1950 1970. » L' Egypte Contemporaine. (April 1973), 115 — 145.

« Arab Banking. » The Arab Economist, A Supplement, (January 1975), 58 pp.

« Banking in the Arab World. » The Arab Economist, (special issue), (August 1973), No. 55, 98 pp.

« Basic data on the Libyan Economy. » Overseas Business Report, (July 1970), 1 — 22

Ben Youssef, A. « Recherche des Fondements èconomiques et L' intègration au Maghreb. » Annuaire de L' Afrique du Nord, 9, (1970), 9 — 84.

Bradley, P. C. Raynaut, and J. Torrealba, The Guidimaka Region of Mauritania : A Critical Analysis Leading to a Develoment project. London : 1977.

Chiauzzi, G. « Materiali per Lo Studio dei riti Agratri in Libia. » Africa. (Rome), 27, No. 2, (1972), 193 — 230.

Clegg, Ian Worker's self — Management in Algeria. New York : Monthly Review press, 1971, 249 pp.

Destanne de Bernis, Gerard. « La Libye et L' Algèrie : Strategies de développement comparèes. » Annuaire de L' Afrique du Nord Vol. 10, (1971), 267 — 296.

Dwyer, Daisy H. The Cultural Basis of Entrepreneurial Activity : A Study of a Moroccan Community. New Haven : Yale University press, 1974. 348 pp.

Etienne, Bruno et al. problèmes Agrairzes au Maghrib. paris : Editions du C. N. R. S. 1977, pp.

Hatzing G. « petroleum Developments in North Africa. » American Association of petroleum Geologists Bulletin. Vol 54, (1970), pp.

Hershlag, Z. Y. The Economic Structure of the Middle East. Leiden : E. J. Brill, 1975. xiv, 349 pp.

« Libya hoping to keep oil exports steady in 1978 . » Middle East Economic Survey . Vol . 21 , No . 32 , (May 29 , 1978) , 1 — 4 .

« The Libyan Economy , 1971 — 1972 . » Arab Economist A supplement 48 , (January 1973) , 3 — 31

« The oil and Gas industry in Libya . » Arab oil and Gas . Vol . 5 No . 7 , (1978) , 20 — 25.

Mabro , R . « La Libye : un ètat rentier . » problèmes Economiques . (January 1 , 1970 , 2 — 27 .

Robana , A. The prospects for an Econmic Community in North Africa : Managing Economic Integration in the Maghreb States . New York : paraeger , 1973 . 206 pp .

Sarkis , N . Le pètrole a L' heure Arabe Paris. Editions Stock , 1975 . 317 . pp .

Sur Le feodalisme . paris : Editions Sociales , 1971 . 272 p .

Surveys of African Economies . Vol . 7 : Algeria , Mali ,Morocco and Tunisai . Washington , D . C . : International Monetary Fund , 1977 pp .

Tiano , Andre . « Human Resources investment and employment policy in Maghreb . » International Labor Review . Vol . 105 , No . 2 , (February 1972) , 109 — 134.

Wifati , Bashir El — « Some Socio — Economic Considerations in the Agricultural Settlement of Bedouin S : An example from Libya . » Land Reform . (1978) , No . 1 , 69 — 87 .

History

Abdulrazak, Fawzi Arabic Historical writing 1975 — 1976: An Annotated Bibliography. London : Mansell , 1979 . 210 pp .

Abu — Jaber , Faiz S . « The Algeria War of Independence , 1954 — 1962 in World politics : Implication for the future . » Cahiers d' Historie , economique et Sociale . Vol . I , (1972) , 87 — 125 .

Abun — Nasr , Jamil M . « The Independence Movements in the Maghrib . » Tarikh . (Ibadan , Nigeria) , 4 , No . 1 (1971) , 54 — 67 .

Ahmad Azize . A History of Islamic Sicily . Edinburgh University press , 1975 , 147 pp .

«The Shriking Frontiers of Islami». International Journal of Middle East Studies. (1976) , 145 — 159 .

Allan , D . C . « Les dèbicts du conflict du italo — Turc : 1911 — Janvier 1912 (d'après Les Archives francaises) Rèvue d'Histoire Moderne et Contemporaine . (January — March 1971) , 106 — 118 .

Audenino , patrizia Cinquant anni di Stampa operaia dell' Unita Alla guerra di Libia . Milano : Guard , 1976 . 268 pp .

Baer , K . « The Libyan and Nubian Kings of Egypt : Notes on the Chronology of Dynasties XXII to XXVI . » Journal of Near Eastern Studies . (Chicago) , 32 (January — October , 1973) , 4 — 25 .

Baroudi , Abdallah Marco : Impèriasme et èmigration . paris : Le Sycomorc , 1978 . 189 pp .

Barton , I . M . Africa in the Roman Empire . Accra : Ghana University press , 1972 . 84 pp .

Betts , Raymond , Tricouleur , the French Overseas Empire . London : Gordon K Cremonesi , 1978 .

Boyd , D . « A North African Journey in July 1845 , Compiled from a letter written 1845 . » Army Quarterly . 107 , (1977) , 304 — 309 .

Brett , Michael . « The colonil period in the Maghrib and its Aftermath . The present state of Historical Writing . » Journal of African History . 17 , No . 2 , (1976) , 291 — 305 .

North Africa : Islam and Modernization . London : Frank Cass , 1973 . XXVII + 156 pp .

Brown , Kenneth . people of Sale : Tradition and Change in la Moroccan City , 1830 — 1930 . Manchester : Manchester University press , 1976 . 256 pp .

Bulliet , Richard W . The camel and the wheel . Cambridge , Mass . : Harvard University press , 1975 . 327 pp .

Burke , Edmund III « Towards a History of the Maghrib . » Middle Eastern Studies . (October 1975) , 307 — 323 .

« Pan — islam and Moroccan Resistance to French colonial penetration , 1900 — 1912 . » Journal of African History . 13 No . 1 , (1972) , 97 — 118 .

prelude to protectorate in Morocco : precolonial protest and Resistance , 1860 — 1912 . Chicago : University of Chicago press , 1976 , 306 pp.

Caster , H . The Tripolitan War , 1801 — 1805 . New York : Watts , 1971 . 62 pp .

Chandler , J . A . « Spain and her Moroccan protectorate 1898 — 1927 . » Journal of Contemporary History . (April 1971) , 301 — 322

Chidsey , Donald Barr . The Wars in Barbary . New york : Crown publishers , 1971 , 146 pp .

Clayton , Vista . The phantom Caravan or Abd al — Kader 1808 — 1883 . New York : Exposition press , 1975 , 308 pp .

Clissold , S . The Barbary Slaves . London : paul Elek , 1977 , 166 pp .

Cook , James, « The colonial origins of colon and Muslim Nationalism in Algeria 1880 — 1890 . » Indial political Science Review . 10 No. 1, (January 1976) , 19—36.

Cook , M . A . (ed .) Studies in the Economic Histoty of the Middle East from the Rise of Islam to the present Day . London : Oxford University press , 1970 , 513 pp .

Danziger , Raphael . Abd — al Qadir and the Algerians . Resistance to the French and Internal Consolidation . New York , London : Holmes and Meier , 1977 . 300 pp .

Davidson , B . L' Afrique Ancienne paris : Masperro , 1973 .

Delgi , D . Innocenti , « La guerra Libica , La Crisi del riformismo e La Vittoria degli Intransigenti . » Studi Storici . Vol . 13 , No . 3 , (1972) , pp .

Dunn , Ross Resistance in the Dessert : Moroccan Responses to French Imperialism 1881 — 1912 . Madison , Milwaukee : University of Wisconsin press , 1977 . 283 pp .

Fage , J . D . An Atlas of African History . 2 nd ed . London : Edward Arnold 1978

Folayan , K . « Umar al — Mukhtar of Libya : A preliminary Note . » IFE , African Studies . Vol . 1 , No . 1 , (March 1974) , 54 — 65 .

« Tripoli and the war with the U . S . , 1801 — 1805 . » Journal of African History 8 , No . 2 , (1972) , 261 — 270 .

Gaid Mouloud . L' Algèrie sous Les Turcs . Algiers : Maison Tunisiènne de L' Edition , 1974 .

Gallota , A . « La Gazavat di Hayreddin Barbarossa . » Stusi Magrebini . 3 , (1970) , 79 — 160 .

Garbini , G . « Dieci Anni di epigrafia punica nel Maghreb . » Studi Maghrebini . Vol 6 , (1974) , 1 — 36 .

Gordon , David C . Self — Determination and History in the third world. princeton : princeton University press , 1971 . 219 pp .

Gordon , John W . « Mechanized Forces to Control Desert Tribes : Italian , British and French Approaches 1919 — 1923 . » proceedings of the French Colonial Historical Society . 1 , (1976) , 116 — 123 .

Haddad , W . W . and W . Ochsenwald (eds) Nationalism in a Non — National State . Columbus : Ohio State University press , 1977 , 297 pp .

Hansen , Emmanuel Frantz Fanon . Columbus : Ohoo State University press , 1977 , 232 pp .

Hess , Andrew The Forgotten Frontier : A History of the 16 th Century Ibero — Africa Frontier . Chicago : University of Chicago press , 1978 . 278 pp .

Horne , Alistair . A savage war of peace : Algeria 1954 — 1962 . London : penguin Books , 1979 , 604 pp .

« Ibn Khaldun » Maghreb Review . Vol . 4 , No 1 , (January — February 1979) , Special issue on Ibn Khaldun . 25 pp .

In alcik , Halil , the Ottoman Empier : Conquest , Organization and Economy . London : Variorum , 1978 . 362 pp .

Ireland , J . de Caurcy , « the Corsairs of North Africa . » Mariner ' s Mirror . Vol .62 , (1976) , 271 — 83 .

Julien , Charles Andre . Le Marco face aux impérialismes : 1415 — 1956 . paris : Editions J . A . , 1978 , 549 pp .

Keenan , Jeremy . « Power and Wealth are Cousins. Descent, class and Martial strategies among the Kel Ahaggar , » Africa . 47 , (1977) , 242 — 252 .

Keresztes , p . « The Emperor Septimius : A precursor of Decius . » Historia 19 (1970) 365 — 78 .

Khalidi , T . Islamic Historiagraphy : The Histories of Mas ' udi . Albany : State University of New York press , 1975 , 180 pp .

Lange , Dier K , « eprogrès de L' Islam et Changement politique au Kanem du XI au XIII Siècle un Essai d'Interprètation . » Journal of African History . Vol . 19 , 4 , (1978) , 495 — 513 .

Lawless , R . I . « Tlemcen , Capital City of the Abd al — Wadids : A study of the Functions of a Medieval Islamic City . » Islamic Quarterly . Vol . 18 , 1 — 2 , (1974) , 14 — 20 .

Lewicki , T . « The Ibadetes in Arabia and Africa . » Journal of World History . 13 , (1971) , 51 — 132 .

Liebare , J . « Some Aspects of Social change in North Africa in punic and Roman Times . » Museum Africum . 2 , (1973) , 24 — 40 .

Little , H . and D . Jones « Coastal Settlement in Cyrenaica . » Journal of Roman Studies . 61 , (1971) , 64 — 79 .

Malgeri , F . La Guerra Libica 1911 — 1912 . Rome : Edizion di storia e Litteratura , 1970 , 429 pp .

Mansfield , peter . The Arab World : A Comprehensive History . New York : Crowell , 1976 , 572 pp .

Maurizio , Degl ' Innocenti , II Socialismo Italiano e La Guerra di Libia . Rome : Editori Riuniti , Riuniti , 1976 ,

Mercer , p . « palace and jihad in the early ' Alawi state in Morocco . » Journal of African History . 18 , (1977) , 531 — 53 .

Miege , J . « Le Libye et La Commerce transsaharien au XIX e Siecle . » Rèvue de L'occident Musulman et de La Mediterranee No . 19 , (1975) , 135 — 168 .

Mond , Theodore , De Tripoli a Tombouctou : Le dernier voyage de Laing : 1825 — 1826 . paris : Sociètè Francaise d'histore d'outremer : paul Geunthner , 1977 , pp .

pesco , A . et al . pre — Historic Rock Art of the Libyan Sahara . Southton , Wisconsin Oleander press , 1974 .

Relations Internationales et sous dèveloppement : La Tunisie 1857 — 1864 . Uppsala : Univ . of Stockholm , 1978 , 194 pp .

Rochat , G . II Colonialismo Italiano . Torino : Leoscher , 1973 , 224 p .

Sebag , p . « Sur une chronique de beys Mouradites . II Guilleragues et de La Croix . » Institut des belles Lettres Arabes . No . 139 , (1977) , 3 — 51 .

Stambouli , F . and A . Zghat . « Urban Life in pre — colonial Africa . » British Journal of Sociology Vol . 27 , (1976) , 1 — 20 .

Strezenlecka , B . « Camps Romaines en Afrique du Nord. » Africana Bulletin . 14, (1971), 9 — 34 .

Togan , Z . « The Concept of critical Historiagraphy in the Islamic World of the Middle Ages . » Islamic Studies . 14 , (1975) , 175 — 84 .

Wendorf , F . and A . and A . Marks (eds) . problems in prehistory : North Africa and the Levant . Dallas : Southern Methodist University press , 1975 , 462 pp .

Yacono , X , « L'Histoire Moderne et Contemporaine du Maghreb dans Les Archives Arabes et Turques . » Rèvue Historique . No . 508 , (October — December 1973) , 403 — 416 .

Zimova , N . « Quelques aspects de La deuxième pèriode ottomane dans La Tripolitaine Archivos orien . Vol 41 , (1973) , 42 — 51 .

Zniber , M . « Considèration Historiques sur La problèmatique Arab e Actuelle . » Annales Marocaines de Sociologie . (1970) , 11 — 34 .

Politics and Government

Al — Nouri , Q . « Modern professionalism in Libya Attitudes of University Students . International Social Science Journal . (paris) , 27 , No . 4 , (1975) , 591 — 702 .

Allman, T. « Power and paradox in Libya. » Round Table. 65, (July 1975), 305 — 314.

Balaguer, Soledad and R. R. Wirth. Frente polisario : La Ultima Guerrilla. Barcelona Laia, 1976, 157 pp.

Breton, H. « L'idiologie politique du Règime Republicaine en Libye. » Annuaire De L'Afrique du Nord. 9, (1970), 231 — 41.

« Les Fondements de L'idèologie du colonel Mouammar El — Kadhafi. » Maghreb (March — April 1974), 21 — 27.

Buera, A. and W. Glueck, « Stage of Economic Development and the Managerial Elite : The case of Libya. » Interational Management Review, Vol. 18 No. 1 (1978) 33 — 42).

Burke, Edmund III « parties and Elites in North African politics : Algeria and Morocco Africa Today. 18, No. 4, (October 1971), 50 — 59.

Byman, Abigail, « The March on the Spanish Sahara : a test of International Law. » Denver Journal of International Law and politics. 6, (Spring 1976), 95 — 121.

Chambour, Raafal. power and Concept of the Libyan Revolution. Lausanne : Editions Mediterraneenes, 1977, 275 pp.

Chackerian, Richard and Fathaly, Omar « Local Leadership and Mass participation in Libya, » Indian political Science Review. 12, 1, (1978), 25 — 42.

Collen, L. and pam Seegobin, « Mauritius : Class forces and political power. » Review of African political Economy. (Jan. Ap. 1977), 109 — 18.

Deeb, M. « Islam and Arab Nationalism in the Qaddhafi's Ideology. » Jouranal of South Asian and Middle Eastern Studies. Vol. 2, 2 (1978), 12 — 26.

« Les deux Aspects du Socialisme Algerien. » Civilisations. Vol. 28, (1978), 2 — 30.

« Documents on the union of Arab Republics. » Journal of the Middle East. No. 1, (January 1974), 247 — 312.

Dwyer, Daisy H. « Cultural Concepts of Conflict and Variability in Conflict boundaries — a Moroccan Example. » Journal of Conflict Resolution. Vol. 20, No. 4, (October 1976), 663 — 686.

Fikry, M. « Relections on the popular and cultural revolution of Libya and colinel Qaddhafi. » Orient. Vol. 17, (1976), 21 — 46.

Gallab Moh. Genses of political States in Northern Africa. African Studies Review. (Cairo) Vol. 3, (1974), 1 — 6.

Gerteiny , Alfred G . « On the History , Ethnology and political philosophy of Mauritania . » Maghreb Review . Vol . 3 , Nos . 7 — 8 (May — August 1978) , 1 — 6 .

Gretton , John . The . Western Sahara : The fight for self for self — determination . London : Anti — slavery Society , 1976 , 53 pp .

Habib , H . politics and Government of Revolutionary Libya . Montreal : Le Cercle du Lirve de France , 1975 , 385 p .

Habiby , Raymond « Qadhafi's thoughts on true Democracy , » Middle East Review . (Summer 1978) , 29 — 35 .

Hopkins, N. S. "The Emergence of Class in a Tunisian Town .» International Journal of Middle East Studies . Vol . 8 , (1977) , 453 — 91 .

Hudson , Michael C . Arab politics : The Search for Legitimacy . New Haven : Yale University press , 1977 . 434 pp .

Khalid D . « The Arabs — Their Vision of History and political Action . » Islam in the Modern Age . 7 , 1 (1976) , 79 — 99 .

Koulytchizky , S . L' Autogestion , L' Homme et L'Etat : L'Experience Algèrienne . Paris and the Hague : Mouton , 1974 . 404 pp .

Lenczowski , G . « popular Revolution in Libya . » Current History . Vol . 66 No . 390 , (February 1970) , 57 — 61 .

Lewis , W . « Libya : The End of Monarchy . » Current History Vol . 58 , No . 341 (1970) , 34 — 48 .

Libya , Basis et Fondements de La Troisième Thèorie Mondiale . Tripoli : 1974 , 40 pp

Nafa , M . A . Libya — Company and Business Law . London : Arab Consultants , 1976 . 314 pp .

Nellis , J . R . « Socialist Management in Algeria . » Journal of Modern African Studies 15 , No . 4 (December 1977) , 529 — 4 .

« Nome (IL) dell' Islam : L'aventuroso Gheddafi . » Gli Stati . Vol . 3 , (1974) , 38 — 52

« La Republique Libyenne . » Notes et Etudes Documentaires , Nos . 3740 — 3741 (November 27 , 1970) , 1 — 52 .

Rezette , Robert . The Western Sahara and the Frontiers of Morocco . paris : Nouvelles editions Latins , 1975 , 185 pp .

Rondot , p . « La Libye du Colonel Gaddhafi : Unite Arabe et revolution Culturelle . » Revue Defense Nationale . (April 1977) , 37 — 53 .

« L' Union des Républiques Arabes . » Etudes . 336 (January 1972) , 37 — 59 .

Ross , Leslie and Novralo , « Bureaucracy in the Middle East : Some Cross — Cultural Relationships . » Journal of Comparative Adiministion . Vol . I , No . 3 , (November 1970) , 281 — 300 .

Sbih Missoum . Les institutions Adminitratives du Maghreb : Le Government de L'Algèrie du Marco , et de la Tunisie . paris : Hachette , 1977 . 285 pp .

Schissel , Howard « The Mauritanian Abyss . » The Middle East . (March 1978) , 25 – 26

« Socialist people's Libyan Arab Jamahiriyah . » Afrivcan Report . Vol . 22 , No . 4 , (July — August 1977) , 19 — 28 .

Suyin , H . « Algeria — profile of a nation . » Eastern Horizon . Vol . 10 , 2 (1971) , 49 — 51 .

« What the Little Green Book Tells Libyans . » New African . (June 1978) , 39 — 40 .

Philosophy and Religion

Basetti , Sani , G . « Considerazioni sul « Documento filnale » dell'incontreo Islamo — Cristiano di Tripoli in Lipoli in Libia (1976) . Renovatio . Vol . 11 (1976) , 337 — 349

Bassignano , Maria Sivia , Il Flaminato nelle province romane dell'Africa . Rome : L'erma Bretschneider 1974 , 430 pp .

Brett , Michael (ed) Northern Africa : Islam and Moderniszation . London : Frank Cass , 1973 , 177 pp .

Cook , Michael and patricia Crone , Hagarism : The Making of the Islamic World . Cambridge : Cambreidge University press . 1978 , 268 pp .

Eickelman , D . F . and B . Drajoui , « Islamic Myths from Western Morocco . » Hesperis — Tamuda . 14 (1973) , 195 — 225 .

Ihsan , Manazir . Islam : Faith and practice . Leicester , United kingdom : The Islamic Foundation , 1977 , 48 pp .

Mason . John Island of the Blest : Islam in a Libyan Oasis Community . Athens , Ohio : Ohio University papers in International Studies , African Series , No . 31 , 1977 , 163 pp .

Rondot , pierre . « L'Islam dans la politique des ètats du Maghreb . » politique etrangere Vol . 38 , No . 1 , (1972) , 41 — 50 .

Welkinson, J. C. «The Ibadi Imama. » Bulletin of the School of Oriental and African Studies . Vol . 39 , (1976) , 535 — 51 .

Social Sciences

Abdelkafi , Jellal . « Tunis : Les Condition de L urbanisation . » Maghreb Machrek . 80 , (1978) , 63 — 73 .

Accad, Evelyne. Veil of Shame : The Role of Women in the Contemporary Fiction of North Africa and the Arab World . Sherbroke , Quebec : Editions Na'aman , 1978 , 182 pp .

« Interrrelationship between Arab Nationalism and Feminist Consciousness in the North African Novels Written by Women . » Ba Shiru . Vol . 8 , 2 , (1977), 3-12.

Adamson , Kay . « Approaches to the Study of Women in North Africa : As reflected in Research of various scholares . » Maghreb Review , Vol . 3 , Nos . 7 — 8 . (May — August 1978) , 22 — 31 .

Allan , J . « An unusual view of early Twentieth Century Benghazi . » Society of Libyan Studies Annual Report . 7 , (1975 — 1976) , 57 — 60 .

Al — Qazzaz , Ayad Women in the Arab World . An Annotated Bibliography . Austin Center of Middle East Studies , University of Texas at Austin , 1977 .

Birks , J . S . and C . A . Sinclair , « The Libyan Arab Jamahiriya : Labour Migration Sustains Dualistic Development . » Maghreb Review . Vol , 4 No . 3 , (May — June 1979) , 95 — 102 .

Bouvier , L . F . « Africa and its population Growth . » Population Bulletin 30 No . 1 , (1975) , 2 — 27 .

Brown , L . Carl . From Madian to Metropolis : Heritage and Change in the Near East City . princeton , New Jersey : Darwin press , 1973 , 343 pp .

Chater , K . « La ville tunisiènne au XIXème Siècle . » Thèorie et rèalitès . » Cahiers de Tunisie . Vol . 26 , Nos . 3 — 4 , (1978) , 85 — 108 .

Coulson . N . J . Succession in the Muslim Family . Cambridge : Cambridge University press , 1971 , 287 pp .

Denti , E « African Labour Force 1960 — 1980 . » International Labour Review . 104 (1974) , 181 — 203 .

El — Sanabary , N . The Education of Women in the Arab States : Achievements and problems , 1950 — 1970 . » Berkeley : University of California 1974 .

Elwan , S . The Status of Women in the Arab World . New York : League of Arab States , 1974 .

Gardi , Rene . Indigenous African Architecture . Tran . by S . Mac Rae , New York : van Nostrand Reinhold , 1973 , 248 pp .

Gordon , David C . Women of Algeria : An Essay of Change . Cambridge , Mass : Harvard University Middle Eastern Monographs , No . 19 , 98 pp .

International planned parenthood Federation , Family planning and population policies in the Middle East and North Africa Region . Beirut : 1974 , pp .

Issad , M . « L'arbitrage en Algèrie . » Rèvue de L'arbitrage . (1977) , 219 — 49 .

Johnson , Katherine M . Urbanization in Morocco . New York : Ford Foundation , 1971 , 135 pp .

Lawless , Richard I . Ilemcen : Continuity and Change in an Algerian Islamic Town . London: Bowker , 1976 , 173 pp .

et al. « New Directions in Tunisian Emigration: Windfall or pitfall » Maghreb Review . Vol . 4 No . 3 , (May — June 1979) , 78 — 81 .

Maher , Vanessa . Women and property in Morocco . New York : Cambridge University Press , 1974 , 238 pp .

Mahmood , S . Family Law Reform in the Muslim World . Bombay : New Tripathi , 1972 , pp .

Mernissi , Fatima . Beyond the Veil : Male — Femal dynamics in a Modern Muslim Society . New York : Schenkman , 1975 , 132 pp .

mortimer , M . « The feminine image in the Algerian novel of French Expression » Ba Shiru (Madison) 8 , 2 , (1977) , 51 — 62 .

Peters , E . « Form particularism to Universalism in the Region of the Cyrenaica Bedovin . » British Society of Middle East Studies Bulletin . Vol. 3, (1976), 5 — 14.

Provansal , D . « Le phénomène Marab outique an Maghreb . » Geneve — Afrique . 14 No . 1 , (1975) , 59 — 77 .

Seddon , David , « Labour Migration and Agricultural Development in Northeast Morocco : 1870 — 1970 . » The Maghreb Review Vol . 4 , No . 3 , (May — June 1979) , 69 — 77 .

Throne , M . and J . Montague , « Special Characteristics of Population Policy in the Middle East and North Africa . » International Journal of Health Services , Vol . 3 , No . 4 (1973) , 779 — 790 .

Vallin , J . « Les Population de L'Afrique au Nord du Sahar . Maroc , Algerie , Tunisie , Libye , Egypte . » Population . (Paris) , 25 , (1970) , 1212 — 1234 .

Villes et Societes au Maghreb , etudes sur L'urbanisation . paris : Edition du Centre Nationale de la Recherche Scientifique , 1974 , 232 pp .

General

Abdulrazzak , Fawzi. Arabic Historical Writing , 1973: An Annotated Bibliographey . Cambridge , Mass . USA Harvard University Press , 1974 , 147 pp .

Abdulrazzak Fawzi. Arabic Historical Writing 1975 and 1976. An Annotated Bibliography, London : Mansell , 1979 , 210 pp .

American Historical Association . Recently published Articles . Vol . 1 , No . 1 , (February 1976), No. 2 , (June 76) , No. 3 , (October 1976).

Anthony , John . North Africa in Regional and International Affairs : A Bibliography . Washington , D . C . : Middle East Institute , 1974 29 .

Atiyeh , George . The Contemporary Middle East 1948 — 1973 . Boston : G . K . Hall , 1975 , 664 pp .

Auchiterlonie , p . « Some Recent Italian publication on the World of Islam » . British Society for Middle East Studies Bulletin . Vol . 4 No . 1 , (1977) , 57 — 60 .

Bacharach , J . « The Modern Arab World : A Select Bibliography . » Middle Esatern Review . Vol . 11 , No . 1 , (1978) , 51 — 55 .

Barbar , Aghil . Urbanization in the Arab World : A Selected Bibliography . Monticello III . of Planning Librains Exchange Bibliography , No. 1198 , 1977, 18 pp.

Bryson , Thomas A . The United States Middle East Diplomatic Relations 1784 — 1978 . An Annotated Bibliography . Metuchen , N . J . and London : The Screcrow Press , Inc . 1979 , pp .

Danial , Norman . The Cultural : problems in the Exchange of Ideas . Edinburgh : The Edinburgh University press , 1975 , 227 p .

Dean , Brian and C . Joan , Area Handbook of Mauritania . Washington , D . C . : The American University , 1972 , pp .

Despois , Jean , Maghreb et Sahra paris : Socitét de Géographie , 1973 , 429 pp .

Grimwood — Jones , D . et la Arab — Islamic Bibliography . Atlantic Highland , New Jersey : Humanities Press , 1977 , 292 pp .

Hurewitz , J . C . The Middle East and North Africa in World politics . A Documentary Record . Vol . I : European Expansion , 1535 — 1914 , Vol . II : British and French Supermacy a1914 — 1945 , New Haven and London : Yale University Press , 1975 , 1979 , 616 pp . 861 pp .

Littlfield , D . W . The Islamic Near East and North Africa : An Annotated Guide to Books in English . Littleton , Libraries Unlimited , Inc . 1977 , 375 pp .

Louis , Andre . Bibliographie Ethno — Sociologique de La Tunisie . Tunis : Editions , Institut des Belles Lettres Arabes , 1977 , 400 pp .

Nomachi , Kazuyoshi . Sahara . With photos . New Abbott England : Westbridge Books , 1978.



Ostle, R. « Literature in North West Africa, » in North West Africa. A political and Economic Survey (ed.) Wilfrid Knapp, (3 rd ed.) (1977), 403 — 19.

Schertz, L. P (ed.) International Training in Agricultural Economic Development (1976), 72 — 77.

Simon, Reeva S. The Modern Middle East : A Guide to Research tools in the Social Sciences. Boulder, Colorado : Westiew press, 1978, 283 pp.

Toupet, Ch. and L. R. Pitte, La Mauritania Paris : PUF, 1977, 127, pp.

Travis, Carole. and Mariam Travis, Periodicals from Africa : A Bibliography and Union List of Periodicals Published in Africa. Boston : G. K. Hali Company, 1977, 619 pp.

Varley, D. H. A Bibliograhpy of Italian Colonization in Africa. London : Dawsons of Pall Mall, 1970, 92 pp.

Who's who in the Arab World 1974 — 1975. Beirut : Publitec Publications, 1974, 173 pp.

مصادر البيبلوغرافية لهذا العدد

(1) Library of Congress, Library of Congress Accession List, East 1970 — 1979. Washington D. C. : Library of Congress.

(2) Abdulrazzak, Fawzi, Arabic Historical Writing 1975 and 1976. London : Mansell, 1979, 210 oo.

(3) Middle East Journal (Washington D. C. 1970 — 1979).

(4) مجلة البحوث التاريخية. (طرابلس — ليبيا)، العدد الأول، (يناير ١٩٧٩).